قصة وتاريخ
الحضارات العربية

أول موسوعة من نوعها حديثة وبالالوان تعالج نشأة البلدان العربية واحداثها حتى ايامنا هذه

١٥ ـ ١٦

تاريخية ـ جغرافية ـ حضارية وادبية

اليمن
عمان
قطر

قصة

و

تاريخ

الحضارات العربية

١٥ ـ ١٦

Edito Creps, INT- 1998 -1999

BEYROUTH ,TEL :01/586207 - 01/586219 - 03/240824 - FAX 009611584391

جميع حقوق النشر و الطبع و الإقتباس محفوظة للناشر في جميع أنحاء العالم

Tous droits reserves dans le monde
Reproduction même partielle interdite

All rights reserved throughout the world
No part of this publication may be reproduced in any form

القسم الاول

اليمن

ميرنا ابراهيم

مقدمة عامة

شهد الألف الثاني قبل الإسلام حضارة عربية راقية في جنوب الجزيرة، وكانت قد وصلت هذه الحضارة إلى أوجها في بداية الألف الأول قبل الميلاد، أي في عهد الملكة بلقيس (ملكة سبأ التي خلد ذكرها القرآن الكريم) التي كانت تسيطر على اليمن والحبشة في آن واحد عندما تم لقاؤها بملك أورشليم سليمان الحكيم في أحد موانىء البحر الأحمر.

والمراحل التي مرت بها ممالك معين وسبأ وحمير وسائر الدول المتفرعة عنها، تشير إلى أن الحَضارة التي عرفها العرب في اليمن تعتبر من أقدم الحضارات العالمية، وأن بني قحطان من الساميين، كانوا من قادة الحياة المتطورة في بداية معرفتنا للتاريخ، كما أن بعضهم وصل إلى سدة الحكم، وأصبح من الأسر المالكة في العهد الفرعوني القديم بوادي النيل. وفي عهد حمورابي في بلاد ما بين النهرين.

والموجات البشرية التي صعدت من الجنوب وانتشرت في سائر أنحاء الشمال من شبه جزيرة العرب، جاءت من بلاد اليمن منبع القحطانيين العرب. كما أن الممالك المتحضرة التي قامت في مختلف أنحاء الجزيرة العربية على أطراف العراق وفي نجد وعلى الخليج وفي صحراء سوريا وشرقي الأردن لم تكن في الأصل سوى مستعمرات عربية يمنية تطورت إلى مستوى الممالك في وقت من الأوقات، وتركت أخبار مدنيتها وآثارها الرائعة. وما آثار البتراء، وهي في الأصل أحد مراكز التجارة اليمنية، إلا نموذجاً عما وصلت إليه مدينة العرب القديمة قبل الإسلام في هذا المركز المعد لتوزيع تجارتها في الشمال.

ومن العناصر التي سخّرها الله لسرعة انتشار الدين الإسلامي، دخول

اليمن في الإسلام دون تردد. ثم مساندة اليمنيين لأولى امبراطوريات الإسلام في العهد الأموي واستمرار الموجات البشرية الصاعدة من الجنوب سائرة في ركب الإسلام عاملة على تطعيم الأمبراطورية الإسلامية بالعنصر البشري المتحضر المنظم في مختلف الميادين والمجالات العامة.

ويعود الفضل الأكبر في تعريب هذا الجزء الكبير من العالم الإسلامي بالدرجة الأولى إلى استيطان اليمنيين في الممالك الإسلامية ولتفوق هذا العرق العربي أو تجانسه مع السكان الأصليين الذين قد يكون بعضهم من بقايا الموجات اليمنية التي وصلت قبل الإسلام إلى الممالك الإسلامية الجديدة.

كما أن انتشار العنصر العربي القحطاني المتحضر في شرقي الامبراطورية الرومانية البيزنطية كان من العوامل التي ساعدت على دعم الحكم العربي الأول في بلاد الشام ومكنته من سرعة التطبع في مراكز حضارة الإغريق والرومان.

وسكّان اليمن رجال تجارة وصناعة وتعدين وزراعة وعمران وفن وأعمال إنشائية ضخمة فهم يملكون الأساطيل ويعرفون أسرار الملاحة ويؤسسون المراكز التجارية والممالك البعيدة. فهم أهل حضر وأصحاب محافد وقصور، وألقاب ملوكهم تستند إلى ممتلكاتهم المتحضرة. وعندما انضم إليها البدو الذين كانوا يسمون أعراباً أصبح يضاف إلى ألقابهم التي كانت: ملك سبأ، ثم أصبحت ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات، إلى أن صار يضاف إليها وأعرابهم في النجاد وتهامة «طودم وتهمتم»، والمراد بذلك القبائل الرحل التي في المناطق الداخلية والساحلية.

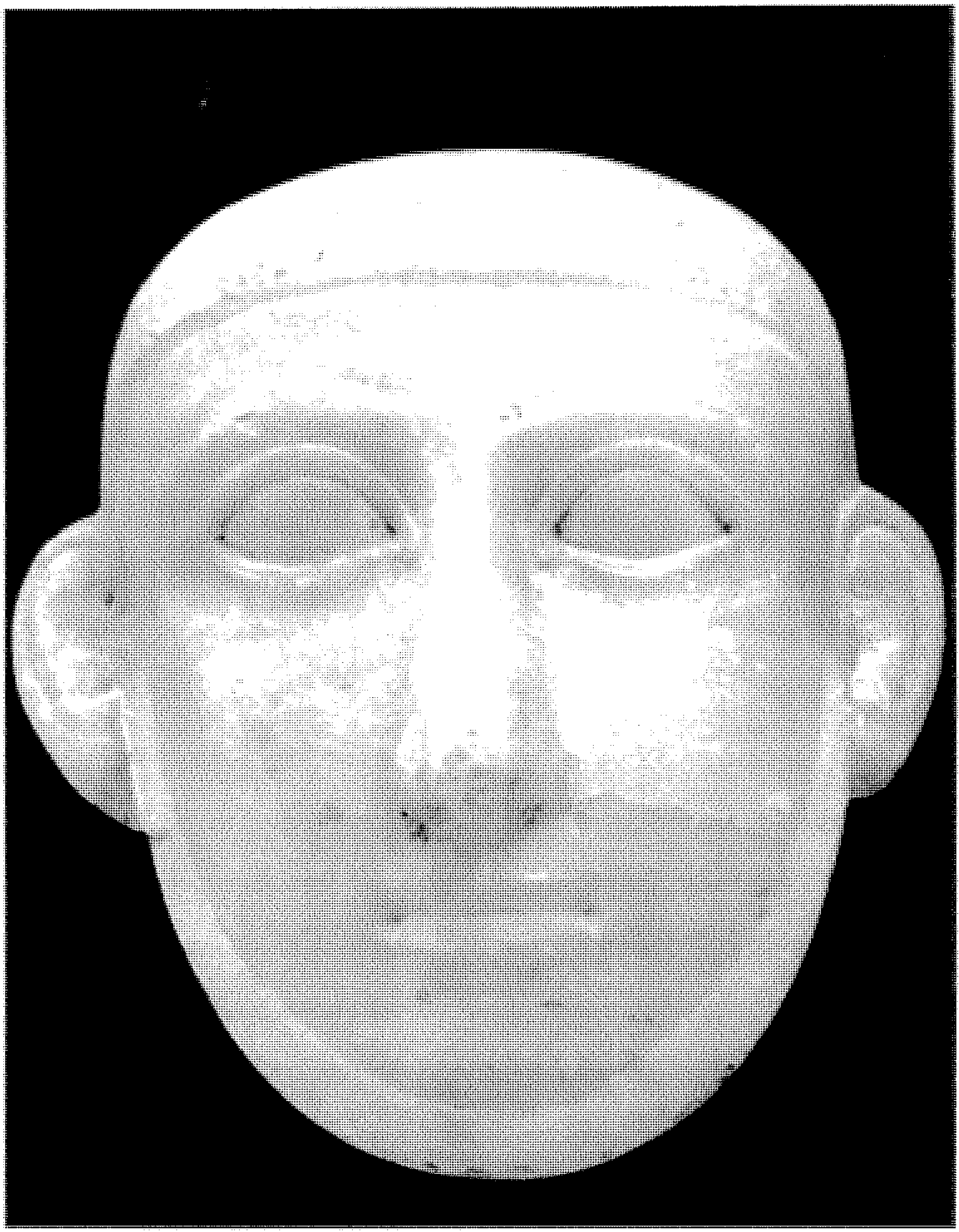

نموذجان من آثار سبأ . رقم ١ .

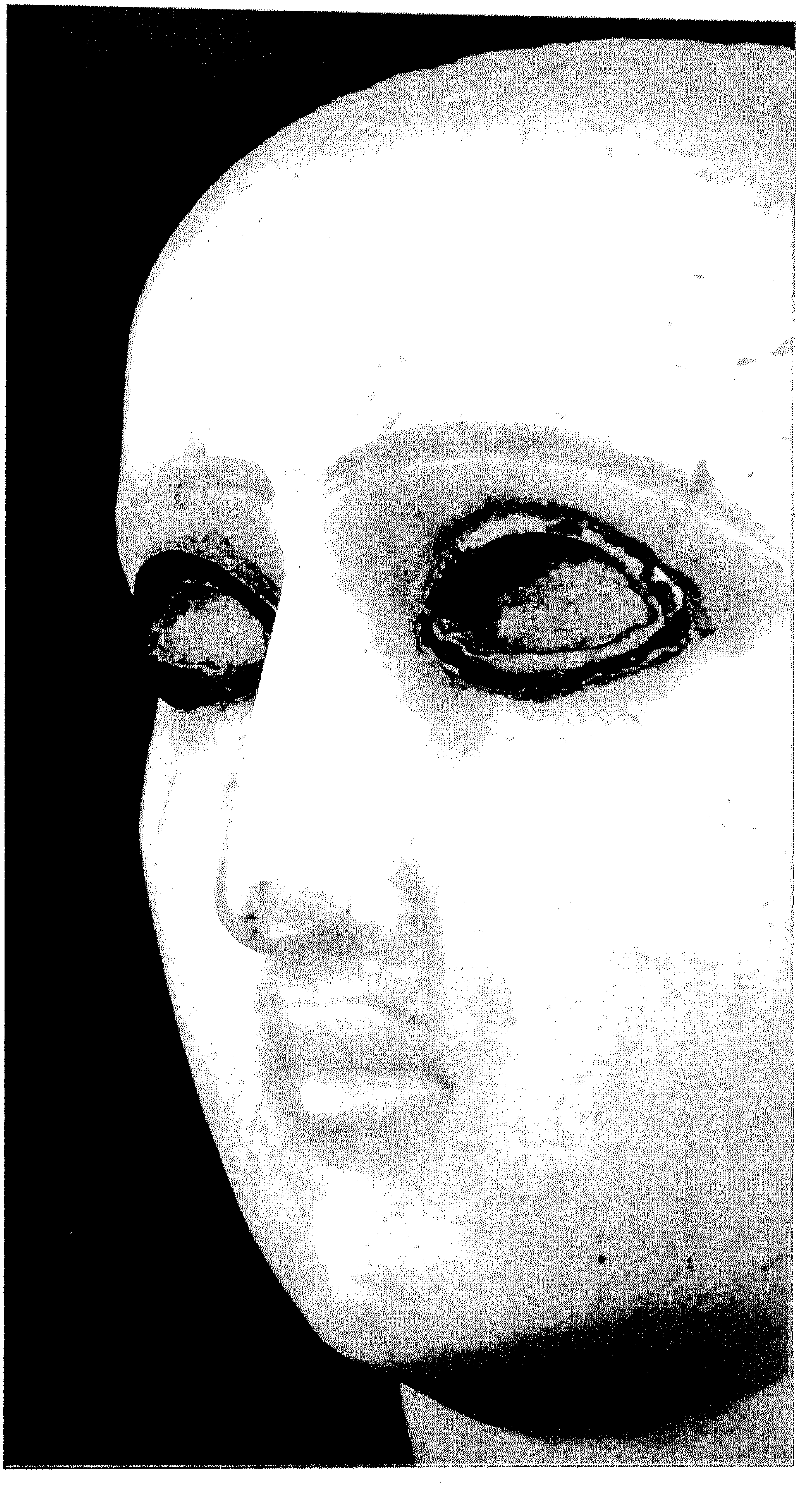

ش ٢

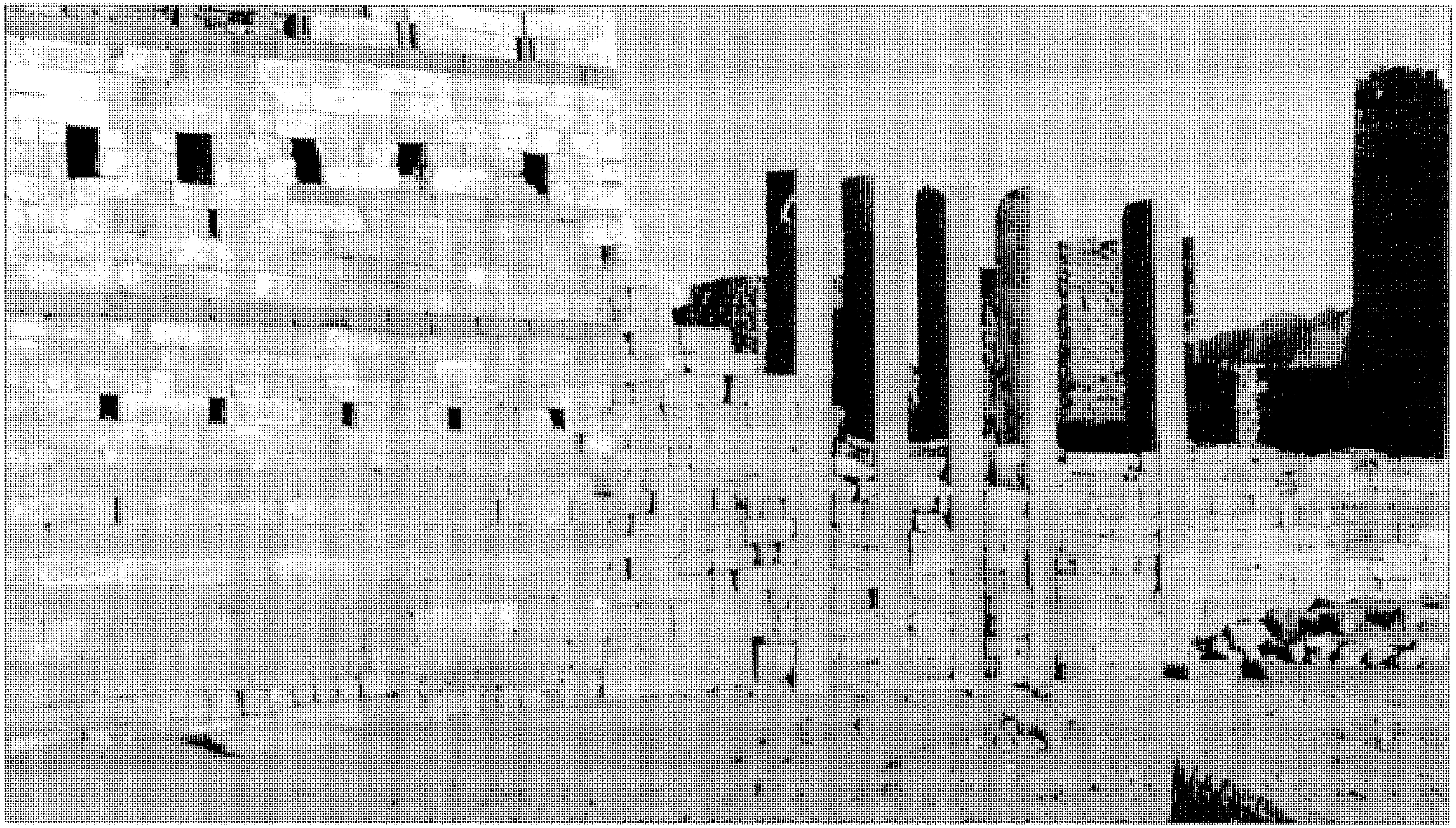

بقايا بناء أثري في اليمن

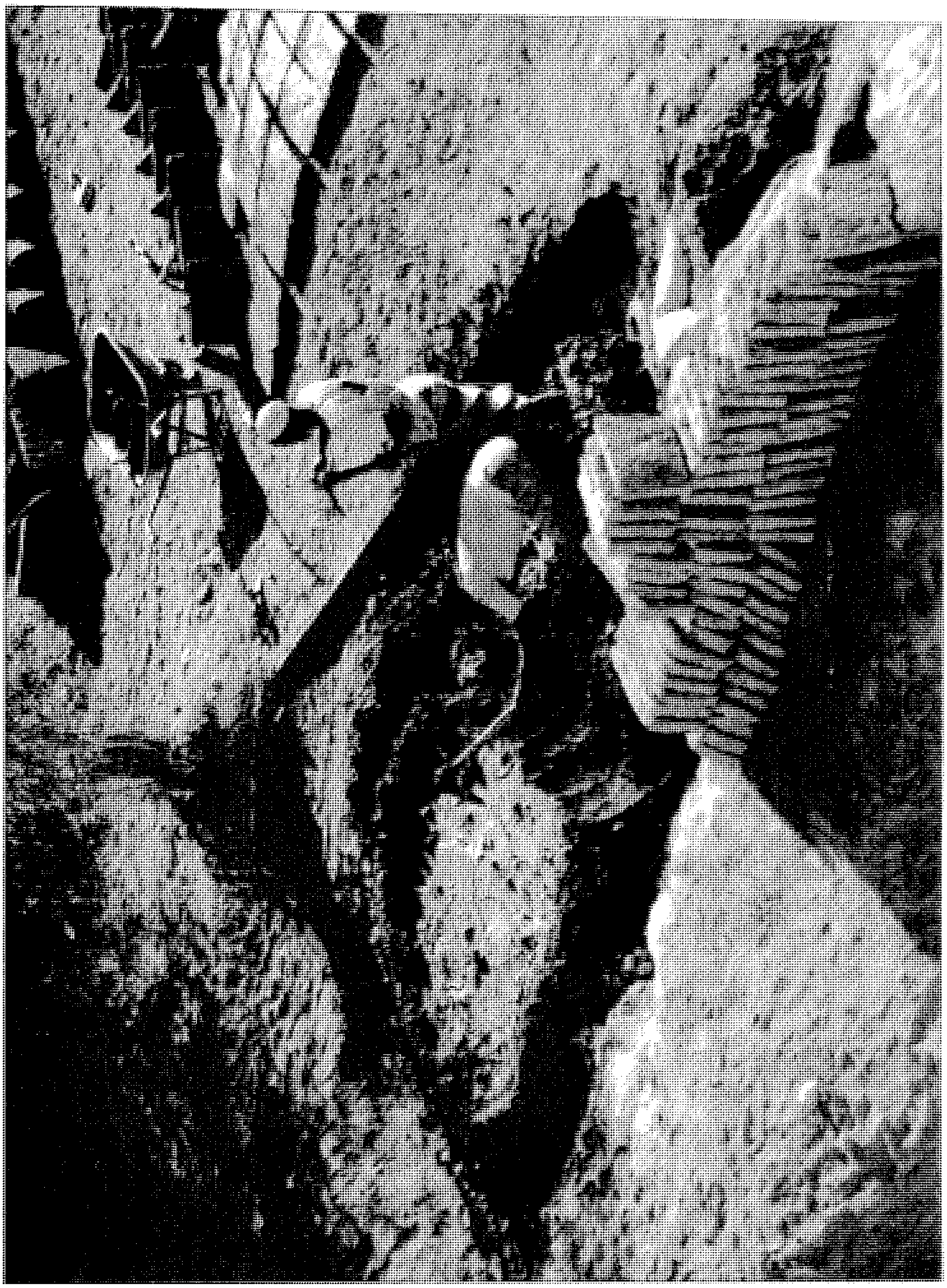

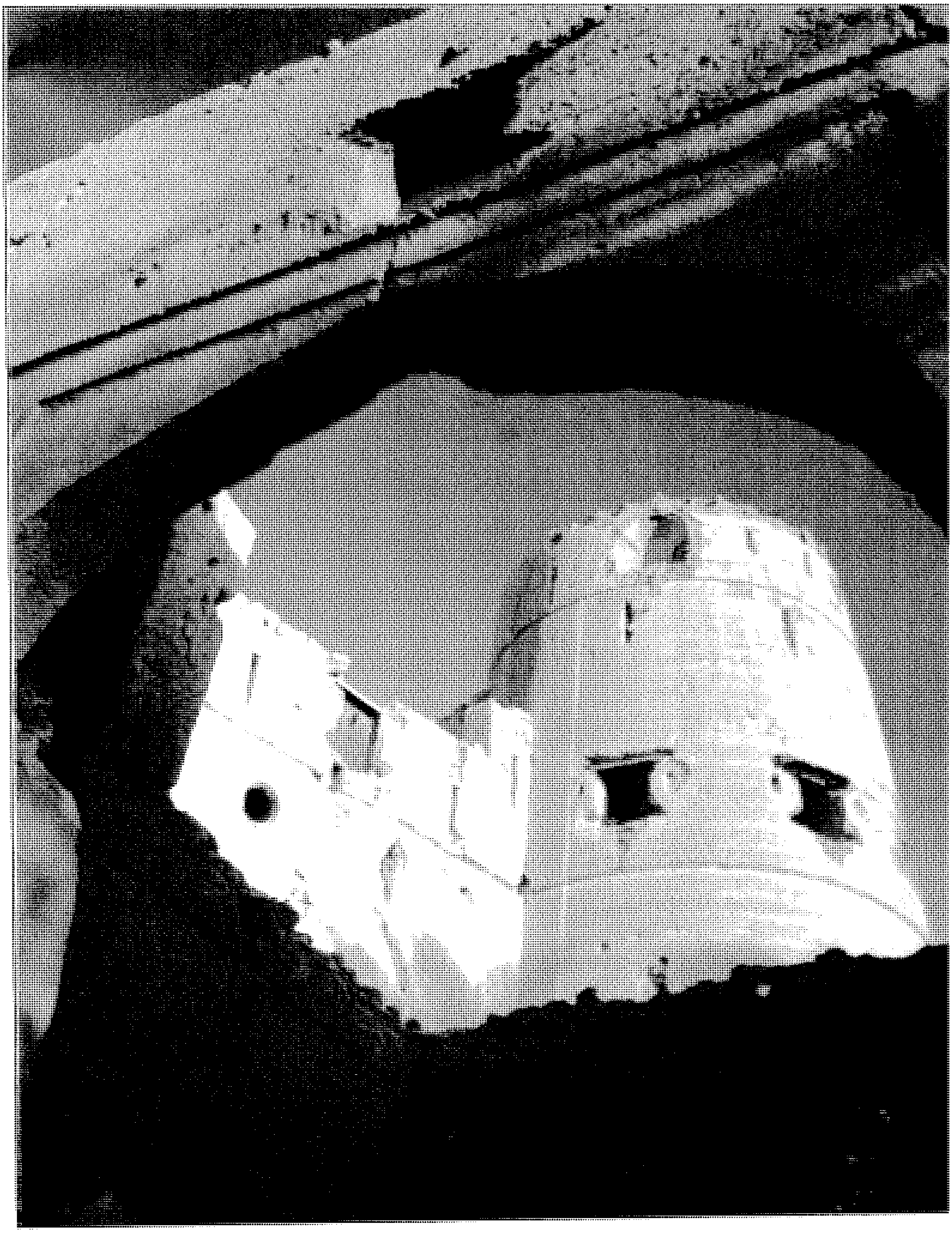

قلعة أثرية

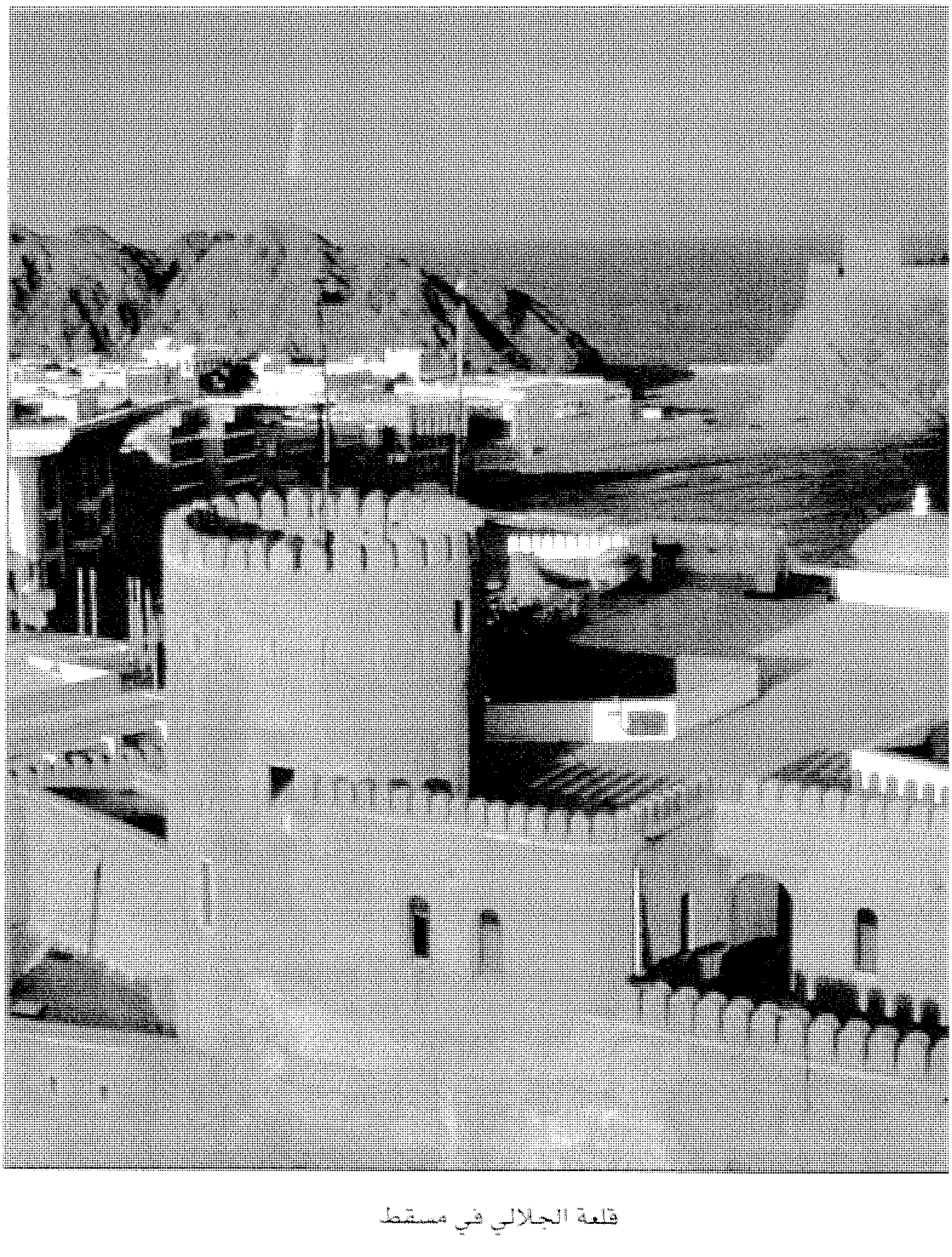

قلعة الجلالي في مسقط

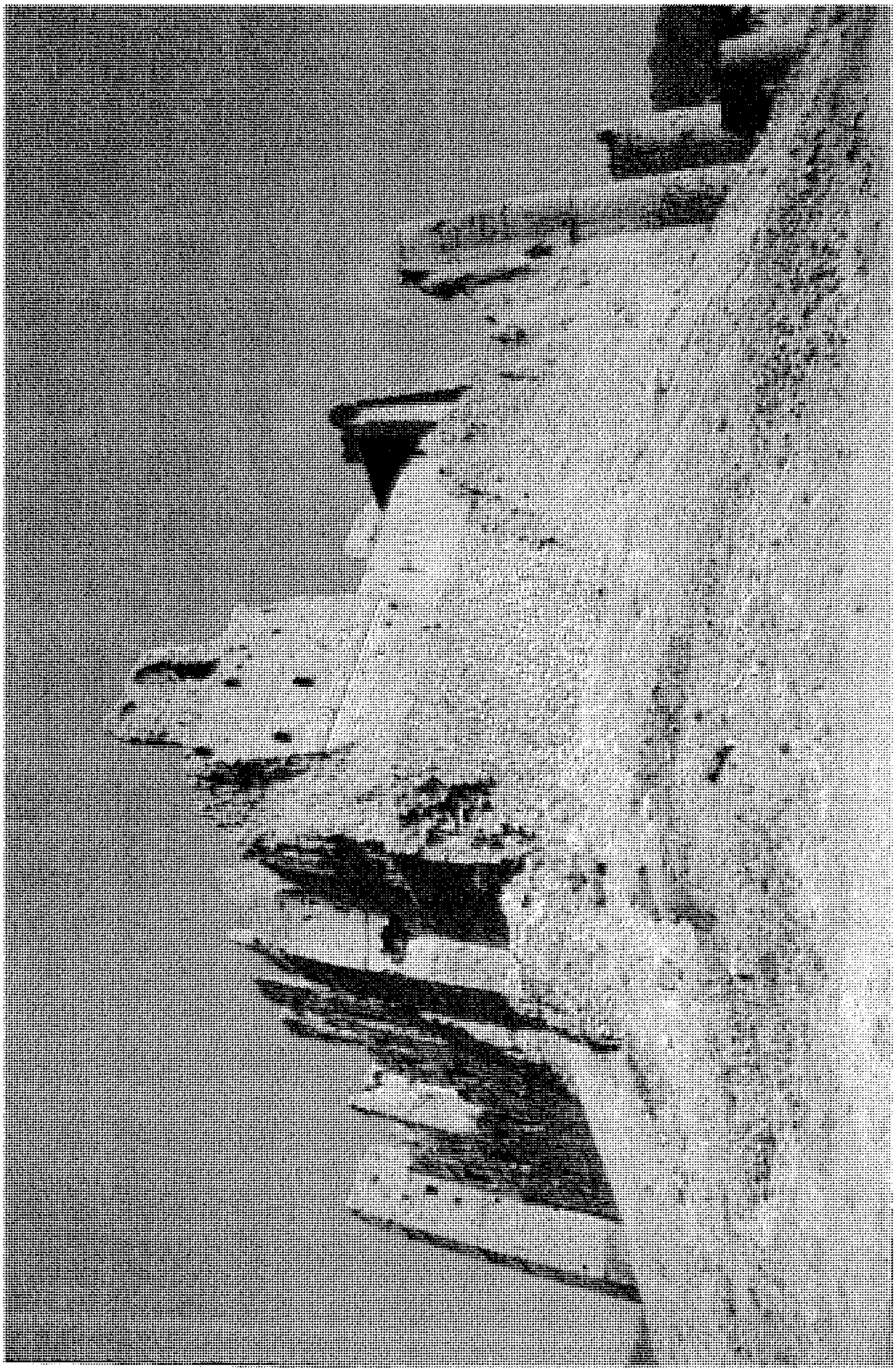

قلعة بهلا

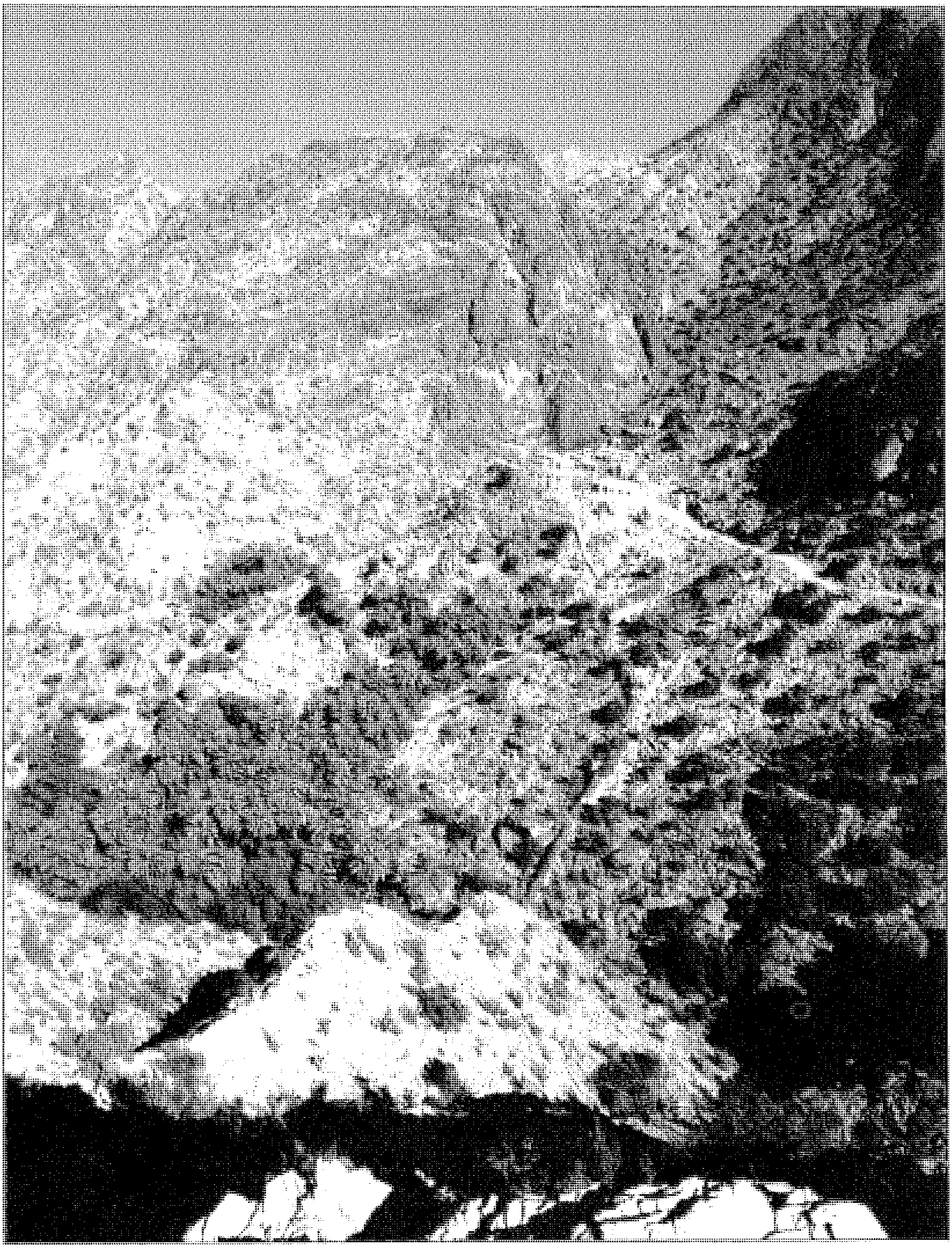

إحدى القرى الجبلية

من المناظر الجميلة في عُمان

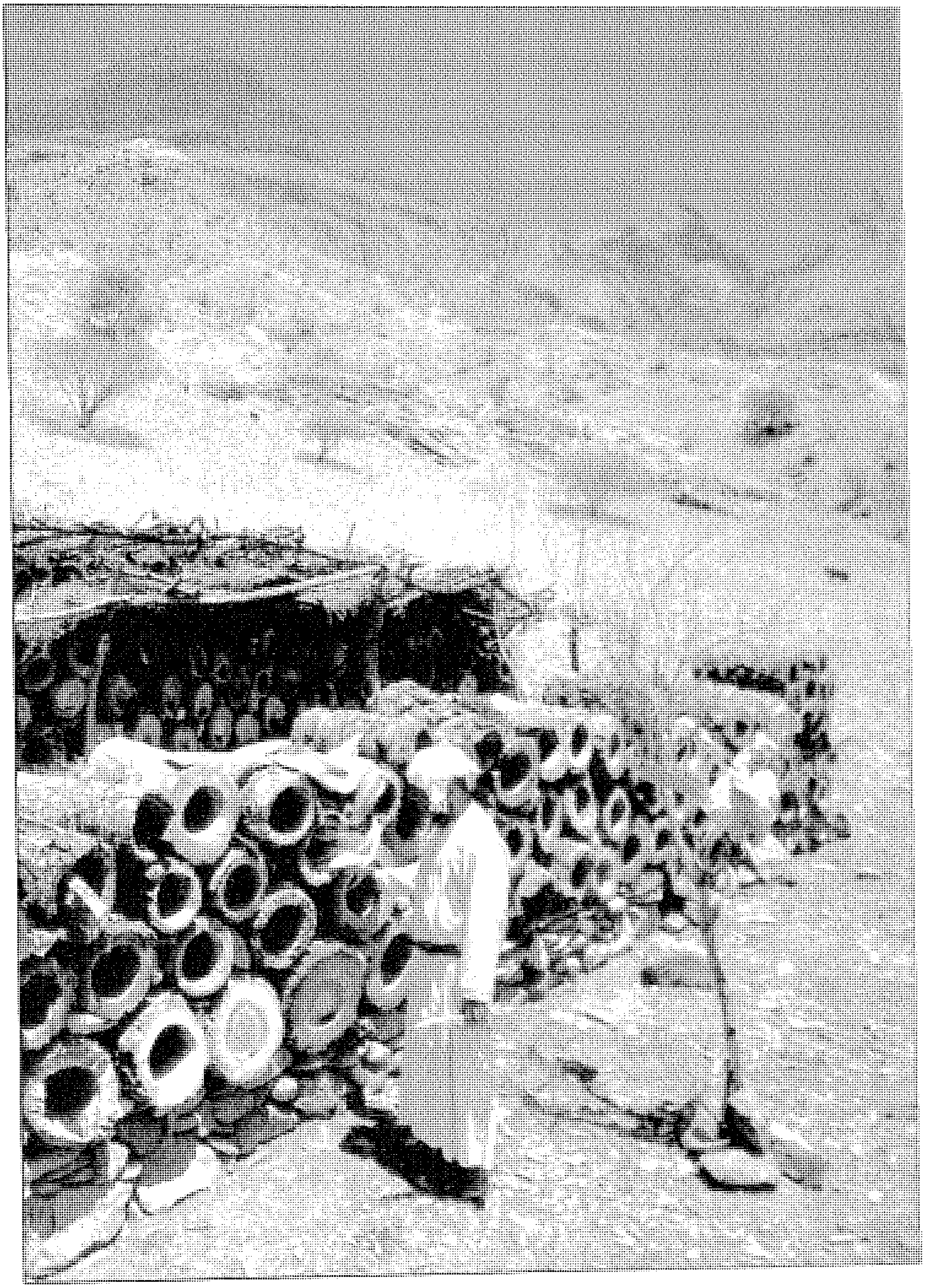

تربية النحل في وادي بني عوف

صناعة السلال

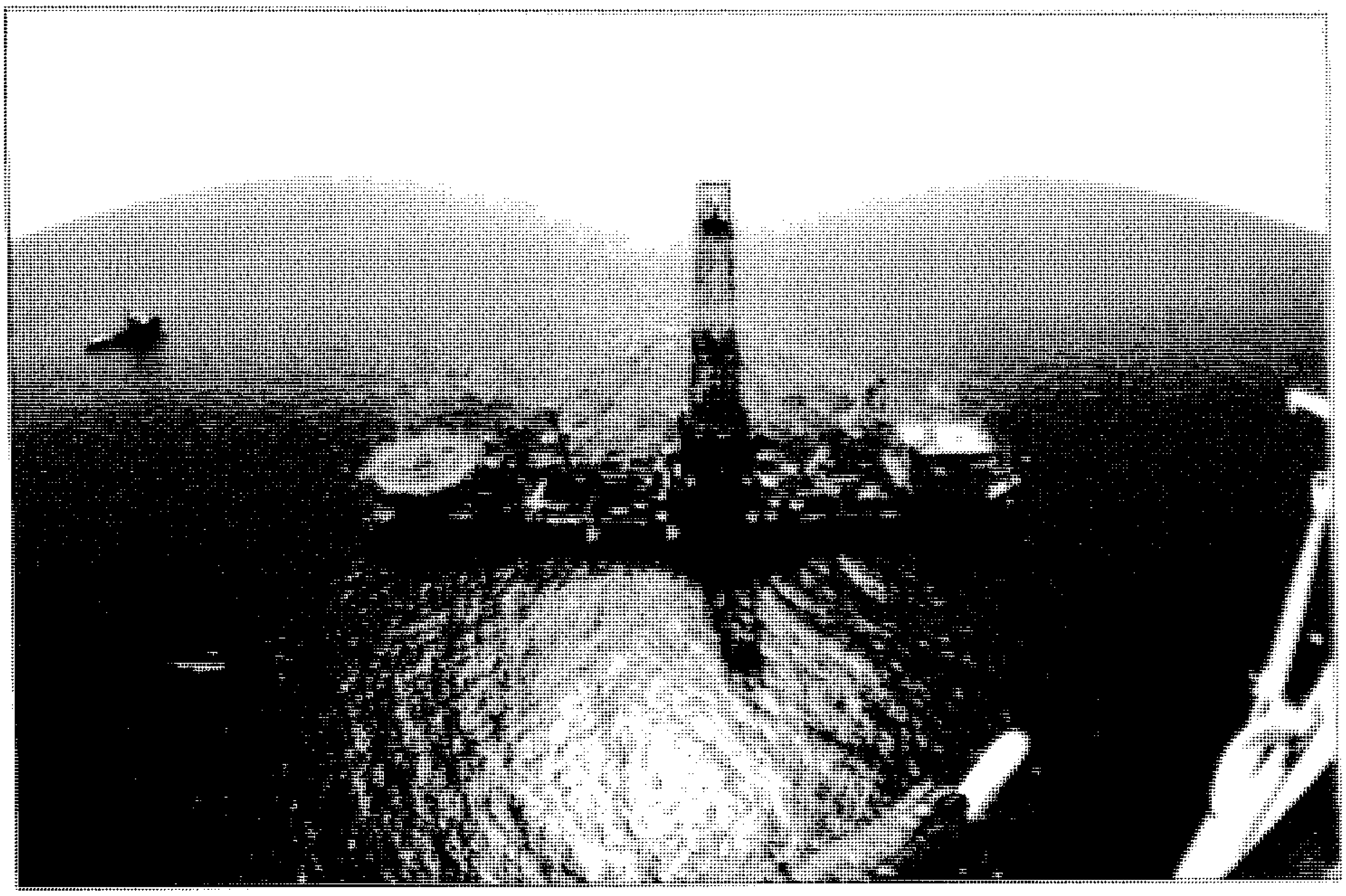

التنقيب عن النفط في البحر ...

... وفي البر

لمحة جغرافية

إن موقع اليمن الجغرافي في جنوب جزيرة العرب المتصل بالمحيط الهندي على مسافة لا تقل عن ثلاثة آلاف كيلومتر بالنسبة لليمن الطبيعية يجعلها خاضعة للإقليم الخاص بالمناخ الهندي المتصل اتصالاً مباشراً بتأثير الرياح الموسمية التي تتجه في الشتاء من البر إلى البحر، وفي الصيف من البحر إلى البر، ممّا يحوّل المناطق المجاورة للمحيط الهندي إلى أراضٍ جافة مشمسة في الشتاء وممطرة في الصيف.

وتنفرد اليمن بذلك بين البلدان العربية بالاستفادة من الأمطار عند الحاجة إليها، أي في الصيف، وهذا ما يجعل الربيع الفعلي في اليمن في فصل الخريف، أي بعد الأمطار الصيفية.

لماذا سُمّيت باليمن

ورد اسم اليمن في النصوص السبئية القديمة «يمنات» و«يمنت»، بما معناه الخير والبركة، أي ما ترجمه الرومان إلى «أريبيا فيلكس»، وتعني العربية الخيرة أو العربية السعيدة، وهي دلالة على غنى تلك البلاد ومدى حضارتها. وقدّم المؤرخ «بلينوس» الروماني Pliny في القرن الأول للميلاد شرحاً يتعلق بهذه التسمية حيث قال: «كسبت بلاد العرب نعت «سعيدة» لأنها فياضة بحاصلات يستعذبها أهل الترف ويباهون في اقتنائها جهازاً لموتاهم ويقصد بذلك اللبان بالقول: «هكذا انصرف المترفون إلى حرق هذه الحاصلات أمام أجساد أعزائهم الراحلين إلى دار الفناء بعد أن كان استعمالها قبلاً ينحصر في مراسم العبادة لآلهتهم. وتبتز الهند وقبائل سارا وعرب الجزيرة من أحوال امبراطوريتنا مبلغ مليون «ستريه» ـ النقد الروماني القديم ـ في كل حول، هذا على أقل حساب، وتلك ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا».

حدودها

لقد حدد «غلاسير» النمساوي الرقعة الجغرافية لليمن القديمة بكامل الرقعة في جنوب جزيرة العرب الممتدة من عسير إلى المحيط الهندي ومن البحر الأحمر إلى الخليج. وكان ملك تلك البلاد قبل عام ١١٥ ق.م. يلقب بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات، وبعد ذلك غلب اسم «يمنات». على المملكة ثم أصبحت «يمن» وكان الملك يلقب «بمكرب» وتخضع لحكمه ولايات أو إمارات، مما جعل البلاد تقسم إلى محافد (جمع محفد) وإلى «قصور».

أما العرب فقد قسموا اليمن إلى مخالف والمخلاف يشتمل على مدن ومحافد وقرى. وأشهر مخاليف اليمن (وعددها ٨٤) وفقاً لما جاء ذكره بتاريخ اليعقوبي من أهل أواسط القرن الثالث هجري، هي مخلاف شبوه، ومخلاف مأرب ومخاليف المعافر والسحول وذي روعان وجيشان ورداع وذمار والهان وحراز وهوزن وحضور وإقيان وخولان وغيرها.. وقد فصّلها «الهمداني» (٩٤٥م) في مؤلفه «وصف جزيرة العرب» في أوائل القرن الرابع للهجرة بقوله: إن حدود اليمن تبدأ من وادي تثليث ووادي الدواسر في الشمال إلى الليث على ساحل البحر الأحمر وشرقاً إلى عمان وجنوباً إلى بحر عدن وألحق بها الجزر المحاذية لها وهي في البحر الأحمر، جزر فرسان بموازاة «جيزان»، وجزر الأرمك بموازاة «اللحية»، وجزر كمرا بموازاة «العليف»، وجزر جبل زقر والحنيش الصغير والحنيش الكبير بموازاة «زبيد»، وجزيرة بريم «ميون»، وجزر فاطمة على مدخل باب المندب.

وفي بحر العرب من المحيط الهندي: جزر خوريا موريا شرقي جبل ظفار جنوب غربي المهرة وجزيرة «مصيرة» جنوب عمان. كما ألحقت بها جزيرة «سقطرة» في المحيط الهندي. وهكذا تقع هذه المساحة الشاسعة على الكرة الأرضية بين الدرجة ١٢ والدرجة ٢١ شمالاً وبين الدرجة ٤١ و٥٤ شمالاً «غرينتش» أما عُمان التي تحدّ اليمن شرقاً فهي بين الدرجتين ٥٤ و٦٠ طول شمالي غرينتش و١٧ و٤٦ عرضاً شمال الكرة الأرضية.

وبعد أن شملت الممالك المعينية والسبئية والحميرية كامل جنوب جزيرة العرب، وكانت ألقاب ملوك حمير تحتوي على تعداد للمناطق

الخاضعة لحكمهم فنقول مثلاً: «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابهم في النجاد وتهامة». وبذلك تكون اليمن الطبيعية هي البلاد الواقعة جنوب الحجاز ونجد والممتدة بين البحر الأحمر بمحاذاة نهاية جبال عسير وباب المندب غرباً إلى خليج العرب وبحر العرب شرقاً.

المساحة

تزيد مساحة اليمن الطبيعية على مليون ونصف المليون كيلومتر مربع، ويتألف أكثر من النصف من مناطق صحراوية خالية تماماً من السكان. ومساحة الربع الخالي وحده تعادل ٧٠٠,٠٠٠ ألف كيلومتر مربع.

اقسام اليمن الطبيعية

يمكن تقسيم اليمن الطبيعية إلى خمسة أقسام:

١ ـ تهامة، البحر الأحمر والوديان.

٢ ـ الجبال المشرفة على البحر الأحمر (جبال السراة).

٣ ـ السهول الداخلية وجبالها.

٤ ـ جبال الجنوب وحضرموت وتهايمها.

٥ ـ الصحارى والربع الخالي.

المناخ

يختلف مناخ اليمن باختلاف المناطق الطبيعية الرئيسية ويتحول ويتبدّل على مسافات قصيرة ويتنقل من المناخ الاستوائي إلى معتدل ومعتدل بارد. كما أن الهضاب والجبال الغربية تتمتع بأفضل أنواع المناخ لأن ارتفاعها يحميها من رطوبة الساحل (تهامة) وأمطارها الغزيرة تحولها إلى مناطق خضراء دون أن تحجب عنها الشمس يوماً بكامله طول العام. وعرض هذه المنطقة الجبلية نحواً من ٦٠ إلى ٧٠ كم، وهذه المنطقة التي تنعم بالشمس دون الحرارة وبالأمطار دون دوامها، أعطت لليمن ألقابها العديدة: «اليمن الخضراء» و«اليمن السعيدة» و«بلاد اليمن والبركة» و«البلاد المقدسة» و«العربية السعيدة» الخ... ومن مدنها يريم وأب وتعز وذي سفال وحجة ومناخة وغيرها...

اليمن في الألفين الأولين قبل الإسلام

اتسمت اليمن بالحضارة والرقي في هذه الحقبة الثمينة من تاريخ العرب في مهده بجنوب الجزيرة العربية. ورغم أنه لم تحصل أية حفريات أو أبحاث أثرية تستحق الذكر في الآثار الظاهرة في تلك البقاع والكتابات أو النقوش التي تم العثور عليها في بلاد «اليمن السعيدة» أو «العربية الغنية» كما جاء ذكرها في التوراة.

وإبان مجد اليمن في هذا التاريخ، كانت المناطق الجبلية المشرفة على البحر وسهولها ووديانها معرّضة للأمطار الصيفية الموسمية. وكانت بلاد زراعة واستقرار. فمن رغب من سكانها بزيادة الثراء انتقل إلى الأطراف القاحلة حيث التجارة والمغامرة والأسفار وموانىء الصحراء الزاهرة. ويمكن اعتبار مجد اليمن القديم قائماً في المرحلة التي جمعت بين دولتي معين وسبأ مع العلم بأن الحكم في اليمن ينقسم إلى ثلاث دول رئيسية: هي المعينية والسبئية والحميرية.

الدول المعينية

سميت كذلك بالنسبة إلى مدينة معين الواقعة في المنطقة الشرقية من الجوف في اتجاه الربع الخالي. وقال ابن خلدون نقلاً عن البيهقي، أنّ بناة هذه الدولة ينتسبون إلى «يَعرِب» بن قحطان، ويعرفون بالعرب المتعربة، ويعتقد البيهقي أن يَعرب بن قحطان هو أول حاكم عربي عرف بأهميته وحمل لقب ملك. وذلك بعد أن اشتدّ بأسه واتسع ملكه، وأنه أول سيّد حيّاه قومه تحية الملك، كما قال نشوان بن سعيد الحميري (وهو من أهل القرن الخامس للهجرة) في القصيدة الحميرية.

وقد اتّسعت الدولة الأولى الكبرى المعينية من الخليج إلى شاطىء الحجاز، وقد أعطى أولاد يعرب أسماءهم لبعض المقاطعات لعُمان وحضرموت.

وذكر العرب بعد قحطان «عبد شمس» الملقب «بسبأ» وزعموا أنه سمي كذلك لكثرة سبيه ونسبوا إليه بناء السدّ الشهير بأرض مأرب واعتبروا أن في عهده تنتهي الدولة المعينية وتبدأ الدولة السبئية. ويظهر أن «عبد شمس» (سبأ) ورث الدولة المعينية التي أصبحت في عهده دولة سبأ وأوصلها إلى أوجها ببناء السد الشهير وانتقلت بذلك العاصمة من معين إلى مأرب، بجانب السد العظيم، ثم تحولت دولة معين إلى سبأ التي تمثل أوج المجد للحضارة العربية قبل الإسلام.

وبعد دولة سبأ وعند وصول الملك إلى حمير، وهو أحد أحفاد عبد شمس، انتقل مركز الملك إلى الجنوب الغربي من اليمن واتخذوا مدينة «ظفار» عاصمة لهم، ليبدأ بذلك العصر الحميري. وسمى العرب القسم الأخير من دولة حمير دولة التبابعة التي انتهى عهدها بانتصار الأحباش على اليمن سنة ٥٢٥ ميلادية، وظل الأحباش، ملوك أكسوم يحكمونها إلى عام ٥٧٥ ميلادية.

من هنا اعتبر بعض المراجع اليونانية والرومانية الحبشة جزءاً من الممالك السبئية، وأن بلقيس ملكة سبأ الشهيرة في التاريخ كانت تحكم البلدين معاً (ملوك الحبشة يعتبرون أنفسهم حتى هذه الأيام بأنهم من أحفاد سليمان وبلقيس).

دولة سبأ

لقد كانت هذه الدولة تذكر بكثير من الفخر والاعتزاز من ضمن أخبار العرب، وكثيراً ما سموا أولادهم سبأ تمجيداً لها. ولم يذكر اليونان دولة سبأ إلا حوالي تاريخ الميلاد، وحددوا بأن عاصمتها هي «ماريابا» أي «مأرب». إلا أن ذكر السبئيين قد جاء قبل ذلك بكثير على قرميدة من عهد ملك أشور سرجون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ق.م) حيث ورد فيها اسم «يثعمر السبئي» من

بين حكام الأمم التي أدت لسرجون الجزية. ويشار إلى أن السبئيين كانوا يرفعون لملك أشور جزية عن بضائعهم التي ينقلونها إلى ممتلكاته الشاسعة، ويثعمر هو الذي جاء ذكره منقوشاً على سد مأرب بأنه بنى الصدف الأيمن للسد.

ومن الواجب ذكر سبأ الاتحادية، فلوحة جبل «اللوذ» التاريخية التي عثر عليها في السنوات الأخيرة ضمن الآثار المكتشفة على ذلك الجبل المشرف على مدخل الجوف، يفهم من النقوش التذكارية عليها أنه تم في وقت ما اتحاد بين دولتي معين وسبأ قبل أن تأخذ الأخيرة دور معين بكامله.

وقد ترجم الأستاذ رايكمنز من جامعة لوفان البلجيكية اللوحة المكتشفة في جبل اللوذ بما يلي: «هذا الخط لكارب ع بن ذمار على مكرب سبأ وقد نقرت هذه النقوش عندما احتشد الناس على شرف الرب، «اثتار ذوذبيان» وقدم بهذه المناسبة كارب عَ الوتر للرب قرباناً من البخور على مرأى من الناس وذلك بمناسبة تأسيس الوحدة بين الشعب والرب والحاكم، وبمناسبة عقد الاتحاد والحلف بينه وبين رؤساء «معين» وعند ضمهم للاتحاد، لهذا أطلق على اللوحة تسمية «اللوحة الاتحادية».

وتمكن المؤرخون من خلال اكتشاف هذه اللوحة أخيراً، من تسليط نور جديد على تاريخ الدولة السبئية التي مرّت مع معين بمرحلة اتحادية قبل أن تنفرد بالسلطة، كما أشاروا إلى أن دولة معين كانت قائمة لمدة من الزمن في المناطق الداخلية ومتمركزة بمنطقة الجوف عندما كانت سبأ في الوقت نفسه تسيطر على المناطق الأخرى، ومنها مناطق الجبال الجنوبية، ذو ريدان وما إليها إلى أن تفككت معين، وجاء الوتر بن ذمار على ملك سبأ إلى الجوف وهو ابن مؤسس مدينة ذمار، فوحّد البلاد بتأسيس دولة اتحادية بينه وبين رؤساء معين.

ولما عاش يثعمر في القرن الثامن قبل الميلاد، وجاء ذكر ملك سبأ في أيام سليمان، اعتبر أن العصر الذهبي للحضارة العربية قبل الإسلام وأوج المدنية اليمنية المعروفة هي في أوائل الألف الأول قبل الميلاد. وقد تمّ بالنقل عن الآثار والنقوش التي عثر عليها تسجيل لأسماء ٢٧ حاكماً، بعضهم

بلقب مكرب وعددهم ١٥، والبعض الآخر لقبه ملك وعددهم ١٢، وكانت ترافق أسماءهم هذه ألقاب خاصة بكل منهم وهي مثلاً: «وتار» أي عظيم، و«بيين» أي ممتاز، و«ذرج» أي شريف، و«يوهنعم» أي المحسن، و«ينوف» أي السامي، و«اليفع يفيس» أي الشهير، و«صديق» أي الصادق، و«اليفع يا سراي» أي السعيد، و«يثيع» أي المنقذ. وقد تم اعتبار دولة سبأ بأنها مركز ومصدر لتمدّن العرب قبل الإسلام. غير أنها انتهت في العام ١١٥ق.م. بانتقال عاصمة الملك إلى ريدان «ظفار» جنوباً إلى الغرب من يريم، وبذلك تبدأ الدولة الحميرية.

دولة حمير

كانت ريدان أو «ظفار» قبل حمير إحدى مراكز سبأ المهمة لغناها الطبيعي بفضل مواردها الزراعية وجودة مناخها، وكان صاحبها يدعى «ذو ريدان». وقد جاء ذكرها عند اليونان عام ٢٠ق.م. كما قسّم علماء الآثار هذه الدولة إلى قسمين أو إلى مدّتين متعادلتين تقريباً بين ١١٥ق.م. و٥٢٥ق.م. أي إلى عهد «ذي نواس»، وهذا ما يعادل ٦٤٠ سنة للمرحلتين. فملوك المرحلة الأولى كان لقبهم «ملك سبأ وريدان» وتنتهي هذه المدة بعهد «شمر برعش» (٢٧٥ إلى ٣٠٠ب.م) حيث تبدأ طبقة المدة الثانية التي أصبح لقبهم فيها ملك «سبأ وريدان وحضرموت»، وذلك بعد ضمهم حضرموت إلى ملكهم.

أسماء ملوك الطبقتين الأولى والثانية

إن حاكم مصر الروماني يوليوس غالوس الذي قام سنة ٢٤ق.م. بقيادة حملة على اليمن في عهد يوليوس قيصر ووصل إليها، بعد أن خسر معركة طاحنة في وادي الجوف، زائراً لا فاتحاً، قد وافق على وصوله إلى مأرب، وهو أقصى حدّ وصل إليه، في حكم إيليزاروس. وفي هذه الدولة الحميرية عاش أبو كرب أسعد بن ملك يكرب ٢٨٥ ـ ٣٢٤ب.م. الذي نسبت إليه أعمال الضرائب والعجائب والفتوحات الخيالية وأنه غزا أذربيجان وهزم الترك وبني سمرقند ووضع الأتاوة على القسطنطينية وحاصر روما. وأعماله هذه

حصلت في مرحلة معلومة من التاريخ الغربي، إلا أنها تدلّ على عظمة هذا الملك وكثرة فتوحاته.

الصراع الديني والنضال القومي ضد الأحباش

وصلت اليهودية إلى اليمن عن طريق الحجاز وبدأ الصراع بين الديانات الموروثة وبين الدين الجديد وذلك بعد تشتيت روما لليهود وهدم معبد أورشليم في عهد «تيتوس». وتعقّد الصراع الديني بدخول النصرانية المعترك حيث قام تنافس بين اليهودية والنصرانية التي كانت قد دخلت اليمن من عدة منافذ ومنها العراق بواسطة الطرق البريّة وطرق الخليج البحرية وبواسطة السفن اليونانية والرومانية عن طريق أفريقيا حيث تنصّر الأحباش.

وانتصرت اليهودية في تلك المنافسة على النصرانية بتولي «ذو نواس» العرش، وكان قد تهوّد، وهو الذي تسميه المراجع اليونانية والسريانية «دميانوس». وباضطهاد «ذو نواس» النصارى عام ٥٢٥. غزا ملوك أكسوم في الحبشة اليمن وأقاموا عليها حاكماً نصرانياً هو أبرهة الأشرم الحميري. ثم استقل أبرهه باليمن بعد أن انتصر على القائد الحبشي «أرياط» وقتله واسترضى «النجاشي» الذي اعتبره نائباً له على اليمن. ولقب أبرهه نفسه «بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات وأعرابها في النجاد وفي تهامة. وتحوّل الحكم في اليمن في عهد أبرهه الحميري من اليهودية إلى النصرانية حيث بُنيت الكنائس وظل سلطان ملوك الأحباش بواسطة المسيحية مسيطراً على اليمن إلى أن ثار عليهم سيف بن ذي يزن، وحرر بلاده بعد أن استعان بالفرس. وهكذا تمكّن الأحباش ما بين ٥٢٥ و٥٧٥م. من حكم اليمن بعد نزوح ملوكهم عنها قبل عدة قرون.

اليمن من أربعة شعوب

تشمل بلاد اليمن أربعة شعوب حسبما يقول سترابون: المعينيون وعاصمتهم قرنة، والسبئيون وعاصمتهم مأرب، والقتابيون وعاصمتهم تمنة والحضارمة وعاصمتهم شبوه. ويأن المعينيين كانوا يحملون التجارة إلى البتراء مدينة الأنباط (شرقي الأردن).

وقد امتد نفوذ المعينيين حتى وصل إلى شواطىء البحر الأبيض المتوسط وشواطىء خليج العرب وجزر بحر العرب، وهكذا تكون قد شملت كل جزيرة العرب وما يحيط بها. وكانت هذه الدولة كالدول الفينيقية ودولة الأنباط في الشمال دولة تجارية لها طرقها ومستعمراتها الموزعة في كل مكان وميناء.

وفي عهد الدولة الحميرية حاول ملوك الأحباش (أي الساميون العرب) الذين يمثلون الطبقة الحاكمة في أثيوبيا بعد أن نزحوا إليها، العودة إلى اليمن وإخضاعها أو إعادة ضمها إلى ملك واحد (وذلك في أوائل القرن الثاني للميلاد). حيث حمل النجاشي على شواطىء اليمن لكنه غلب على أمره بعد أن تعاون اليمنيون على قهره. وتوالت الحروب بين الأحباش واليمنيين، وقد تمكّن ملوك الحبشة لأكثر من مرة من حكم ضفتي البحر الأحمر (أي اليمن والحبشة) إذ عثر المنقّبون على كتابات باللغة الحبشية، مؤرخة بنهاية القرن الثالث تقول: «ملك أكسوم وحمير وريدان وسلحين (سلحين هو قصر في مأرب).

وقد اتفق المؤرخون على أن ملوك الأحباش هم من اليمنيين الذين هاجروا إلى الحبشة حيث أسسوا لهم مستعمرة، وكانت بلاد الأحباش في عهد بلقيس تؤلف مع اليمن مملكة واحدة، الأمر الذي يفسّر انتساب أباطرة الحبشة إلى ذرية الملك سليمان بزواجه من بلقيس التي زارت ملك أورشليم في إبان مجد ازدهار التعاون التجاري بين جنوب الجزيرة وشمالها بواسطة البحر الأحمر بحراً والقوافل براً، في القرن العاشر قبل الميلاد.

ولم يتمكّن ملوك «أكسوم» من الاستقرار في اليمن إلى أن جاء عام ٣٣٠ ـ ٣٤٥ب.م. حيث قام العلي اسكندي ملك «أكسوم» بمحاربة الهدهاد ملك «حمير» وأخته بلقيس الفارعة (وهي غير بلقيس التي زارت الملك سليمان). ثم خلف العلي اسكندي العلي عميدة الذي تمكن بمساعدة قيصر الروم من الاستيلاء على اليمن (٣٤٥ب.م) وكان القيصر «قسطنطينوس» عاملاً على نشر المسيحية في العالم وعلى مناوأة الفرس في جزيرة العرب. ودام الملوك المتمركزون في الحبشة وعاصمتها «أكسوم» حكاماً على اليمن

يعتبرونها في ممتلكاتهم من عام ٣٤٥ إلى ٣٧٤م. حيث عادت إلى أصحابها الحميريين على يد الملك يكرب يوهنعم. وما زالت في قبضة الحميريين وهم من عبدة «ذو سموت (إله السماء الواحد) إلى أن ضعف شأنهم وعاد ملوك أكسوم عام ٥٢٥م. إلى اليمن ليجدوا فيها أميراً حميرياً ثائراً هو سيف بن ذي يزن والذي طلب نصرة كسرى الزردشي ضد الأحباش المؤيدين من أمبراطور الروم المقيم في عاصمته القسطنطينية، فنصره بعدد من جنده ليطرد الأحباش، وعيّن قائداً لهم «وهرز» الذي كتب لكسرى يقول: «إني قد ملكت للملك، اليمن وهي أرض العرب القديمة التي تكون فيها العرب ملوكهم». وعمل ملك سيف بن ذي يزن اليمن بعد ذلك انتقاماً وتقتيلاً بالأحباش حتى قتلوه غدراً. وقد تردد ذكر هذه الحادثة القومية في المحافل الشعبية، ويقول بعض الروايات أن «سيف بن ذي يزن» عندما وجد جيشه قد غلب على أمره، دفع بجواده إلى البحر حيث مات بطلاً دون أن يتمكّن العدو من إذلاله.

وانتقلت العاصمة إلى صنعاء في عهد ملوك «أكسوم» ومن بعدهم الفرس والحميريين المتعاونين معهم.

وقد دام حكم الأحباش «ملوك أكسوم» ٧٤ عاماً، عشرين لأرباط و٢٣ لأبرهه و١٩ ليكسوه و١٢ لمسروق. وبعد طرد الأحباش بمعاونة الفرس ظلت البلاد في تأرجح بين النفوذ الفارسي والأكسومي مع الغلبة لفارس حتى عام ٦٢٨م. (السادس للهجرة) حيث اعتنقَ بازان عامل الفرس على اليمن الدين الإسلامي.

وقد ذكر العرب ١٢٣ تبعاً، مجموع حكمهم ١٧٠٠ سنة، ممّا يؤكد بأنهم لم يحكموا بالتتابع، بل حكم بعضهم أو أغلبهم في آن واحد مناطق مختلفة. وقد حدد أحد المؤرخين مدة الدولة المعينية من عام ١٢٠٠ق.م. إلى ٦٥٠ق.م. ودولة سبأ من القرن التاسع ق.م إلى ١١٥ق.م مما يجعل تشابكاً بين وجود المعينيين والسبئيين، الأمر الذي تفسّره لوحة جبل اللوذ.

اليمن بلاد البخور والعطور

يعتبر أبناء الجنوب العربي (سترابو) «أنهم أغنى العرب يقتنون الرياش الفاخر ويتمتعون بكل أسباب الرخاء والترف ويكثرون من آنية الذهب والفضة والفراش الثمينة ويزينون جدران منازلهم بالعاج والذهب والفضة والحجار الكريمة. وسبب غناهم اتجارهم بغلال بلاد العرب والهندي فيحملونها على القوافل إلى الغرب أو بحراً إلى بابل. ولهم سفن ضخمة تسير في المحيط الهندي ومراكب تسير في الأنهر يصلون بها إلى بابل، ويصعدون في دجلة إلى مدينة «أوبيس» ومنها تنقل البضائع الهندية والعربية وتنتشر في بلاد مادي وأرمينيا وما يحاذيها. وبلاد اليمن هي بلاد ثروة ورخاء ومواطن اللبان والطيوب الأخرى وأهلها يحبون الحرية ويتمتعون بها كل التمتّع، حسبما قال أرنستنيس اليوناني (١٩٥ق.م) وبلينوس الإغريقي الروماني (٧٩م) الذي قال عن لسان يوليوس غالوس «فاقت السباي الجميع ثروة بما يتوافر في أرضها من أدغال ذات عطور ومناجم ذهب ومياه للري، وهي تنتج العسل والشمع بكثرة»، إلى أن يقول: «فلو تحريت هذه الأقطار تماماً علمت أنها أغنى بلدان الأرض قاطبة بما يتوارد إليها من كنوز دولة الرومان ودولة الفرثيين (فارس).

المدن اليمنية وفن العمارة

إن توسّع النشاط التجاري ووجود طبقة ثرية جداً، ونتيجة نوع العيش المترف والغنى الفاحش، دفعت أهل اليمن إلى الاهتمام بالمدن وبنيانها وتحصينها فبنوا القصور والقلاع لينعموا فيها بالترف وتستقر نفوسهم بالأمن ضمن نطاق أسوارها.

وفن العمارة في الألف الأول قبل الميلاد كان على جانب عظيم من الرقي وقد توارث أبناء اليمن الكثير من خصائص هذا الفن إلى يومنا هذا حيث أن فن العمارة الحاضر في اليمن ذو طابع خاص به لا مثيل له في أي مكان آخر من البلدان العربية وسواها.

أما فن بناء السدود الذي كان من خصائص أهل اليمن فقد اندثر تماماً مع اضمحلال هذا البلد ومدنيته القديمة.

وكانت المدن محاطة بأسوار شأنها شأن جميع المدن القديمة، وبعض تلك الأسوار كانت مستديرة أو شبيهة بالشكل المستدير عندما كانت طبيعة الأرض تسمح بذلك. أما اليوم، فأغلبية الحصون والأبراج في اليمن تميل إلى المحافظة على الشكل المستدير.

ومدن اليمن القديمة عديدة جداً، اندثر أغلبها وما بقي منها إلا القليل، وأكثره في طور النزع أو أنه مسخ إلى درجة القرية. ونذكر من هذه المدن:
- براقش التي تقع في منطقة الجوف وتطل على معين وكلاهما من عواصم المعينيين. وكانت براقش واسمها أيضاً «بثيل»، مركزاً دينياً. ويعود الفضل في اكتشاف هاتين المدينتين إلى العلامة الفرنسي هاليفي.

- مأرب: وهي التي انتقل إليها المجد في عهد السبئيين، فهي المدينة المجاورة للسد المشهور باسمها، وتشكل اليوم مركزاً للمواصلات الحكومية مبنياً على أنقاض المدينة التاريخية التي كانت تحتوي على الأبنية والقصور، ومنها قصر سلحين وقصر الهجر وقصر القشيب (الهمداني).

- تمنه أو تمنع: عاصمة القتابين، التي نقبت عنها بعثة وندل فيليبس في بيجان وعثرت على بعض آثارها.

- شبوه: أو سبوتا في آداب اليونان والرومان فهي لا تزال كمأرب محتفظة باسمها وهي اليوم مركز صحراوي على الطريق الداخلية بين مأرب وحضرموت.

- تريم: لا تزال قائمة على الطريق القديمة المجاورة للبحر السافي.

- شبام: هناك أكثر من مدينة تعرف بهذا الاسم، ولكن المشهورة في حضرموت.

- ظفار: أو سيفار عاصمة حمير، اندثرت ولم يبق منها غير تل مستدير بشكل قمة بجوار مدينة تريم على الطريق بين أب وصنعاء.

- موزا: أو المخا، تمّ القضاء عليها في بداية هذا القرن على أثر قصفها بمدفعية الأسطول الإيطالي ١٩١٢ في الحرب مع العثمانيين وعادت إلى الحياة أخيراً بعد بناء رصيف سنسول في البحر والمباشرة بفتح طريق عريضة

عصرية لتصلها مع تعز وأب إلى صنعاء، طولها ٣٣٠ كيلومتراً.

وحافظت المخا على صنعتها كميناء لليمن على البحر الأحمر، حيث أصبحت في القرنين السابع عشر والثامن عشر أنشط مراكز التجارة مع شركات الملاحة والتجارة الأوروبية، وكان يؤمها حينذاك البرتغاليون والهولنديون لينقلوا منها البن اليمني الفاخر الذي سمي باسمها وأصبح معروفاً في العالم الغربي بكلمة «موكا» إلى يومنا هذا.

ـ صرواح: إحدى العواصم المعينية المندثرة تحتوي على آثار قديمة وبانيها هو عمر ذو صرواح وهو من مأرب. وهناك صرواح أخرى ببلاد أرحب. وكذلك نجران وحيران وميفع فهي من مدن اليمن التي اشتهرت قبل الإسلام.

ولكن المدينة التاريخية الوحيدة التي حافظت على مكانتها هي صنعاء عاصمة اليمن، وفيها مواقع الأبنية التاريخية كقصر غمدان في مكان اسمه القصر، ومنطقة اسمها اليوم القليس نسبة إلى الكنيسة التي بناها برهة الحميري نائب النجاشي.

السدود

أكثر ما يمكن لليمني أن يباهي به الأمم العريقة الأخرى بتاريخه القديم هو تشييده للسدود التي أحيت الأراضي ورفعت الدخل القومي، إذ لم يترك أبناء اليمن وادياً يمكن استثمار جانبيه بالري، إلا وحجزوا مياهه التي تكثر في مواسم الأمطار وتنعدم في غيرها. وهكذا تكاثرت السدود كبيرها وصغيرها حتى تجاوزت المئات.

أما أسماء السدود، باستثناء المجموعة التي تشكل سد مأرب، فهي كثيرة منها: سد أرحب أو رحيم وهي من مجموعة سد مأرب، سد قصعان، سد ريوان وهو سد قتاب، سد شحران، سد طمحان، سد عاد، سد سحر، سد ذي رعين، سد نضار وهران، سد الشعباني، سد المليكي، سد النواشي، سد لجح وهو سد عرايس، سد ذي شهال، سد المهباد، سد الخانق في صعده، دمره إبراهيم بن موسى العلوي بعد هدمه صعده، سد ريعان، سد سيّان وغيرها...

وسدود بلاد عنس وهي:

سد خيرة، سد في ظاهر دعان (ذكره مولر) سد شبام، سد بيت كلاب (في ظاهر همدان).

مخطط سد مارب الشهير

إن الإشارة إلى سد مأرب وانهدامه في القرآن الكريم دلالة بالغة على أهمية هذا السد وعظمته، وهو الذي أدى إلى وجود جنّتين عن يمينه وشماله، اندثرتا مع انهدامه وتفرق القوم بعده «أيدي سبأ».

أما تاريخ بناء هذا السد الضخم الذي كان مؤلفاً من عدة سدود فيعود إلى بداية عهد ملوك سبأ الملقبين بمكرب. وقد عثر على أبنية السد على كتابات تؤكد بأن عدداً من ملوك سبأ ساهموا في بنائه أو توسيعه أو ترميمه، مما يؤكد بأن السد كان قائماً في القرن الثامن ق.م عندما أدخلت عليه تحسينات لتسهيل الري. لذا يقدر أن السد بني في بداية الألف الأول ق.م. أو بين ٨٥٠ و٩٠٠ق.م.

اليمن الاقتصادية

إن الممالك اليمنية الأولى، وخاصة «معين» و«سبأ»، وما رافقها من ممالك تجارية صغيرة، كانت تستند إلى الإنشاء والزراعة والتجارة، حيث أنها حولت اليمن الطبيعية إلى منطقة ازدهار نادر تعتمد لدرجة كبيرة على تجميع الثروة التجارية التي عرفوا كيف يستغلونها لتطوير البلاد وتقدمها.

وكانت سبأ تنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق حتى أصبحت في القرون الأولى قبل الميلاد أكبر وسائل الاتصال في تلك الأمم، فكانت السلع والأطياب تأتي من الهند والحبشة إلى شواطىء العرب فينقلها السبئيون على قوافلهم إلى مصر والشام والعراق. ولم يكن عالم التجارة يستغني عنهم فزهت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتدّت سيادتهم إلى أطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً، وحفروا الترع وبنوا السدود وحولوا الرمال إلى تربة خصبة وبنوا القصور والمحافد والهياكل وتفننوا في تزيينها وشادوا حولها الأسوار واغترسوا الحدائق حتى صارت البادية التي يهلك سالكها من العطش الآن جنة آهلة عامرة.

اليمن في العهد الإسلامي

إن اليمنيين في عهد الإسلام كانوا أول من ناصر النبي العربي ﷺ في المدينة، ودخول اليمن في الاسلام كان تلقائياً ويفسّر ذلك بأن الديانات الوثنية في اليمن كانت موحدة، إذ كانوا من أتباع ذي سموت، أي إله السماء. والتفسير العنصري في سرعة اعتناق اليمني للإسلام قد يكون أقوى من ميل اليمني للتوحيد. وهو أن اليمن في القرن السادس للميلاد كانت تتأرجح بين الزردشتية الفارسية واليهودية الدخيلة والمسيحية، فجاء دين الإسلام عربياً، وكان أول من اعتنقه وناصره اليمنيون في المدينة.

وهكذا انضمت إلى الإسلام طاقة اليمني الضخمة في مجال الفكر والنشاط وسعة الإطلاع والفتوحات، إذ كان اليمني في عهد حمير، قد تحول إلى فاتح كثير المغامرات العسكرية والفتوحات والاستيطان في البلدان البعيدة.

وما أن بدأت الفتوحات الإسلامية حتى كان اليمني من أوائل المجاهدين، وكان قادته من المشاهير في الحروب، ولم يقل شأنهم في حقل الفكر وحسن الإدارة عن نشاطهم العسكري ومقدرتهم على التنظيم.

ويشار إلى أن العرب الذين استقروا في الأراضي الزراعية في المغرب والأندلس هم من اليمنيين، لأنهم كانوا من أهل الزراعة فلما وجدوا مخلفات الرومان من الأعمال الزراعية والإنشائية، اهتموا بها وتمركزوا في مناطقها، فكانت منهم المدنية والذهنية التي ازدهرت في الأندلس بفضل ما جلبوه معهم من طاقات ومعرفة.

أما الخدمات الضخمة التي قدمها اليمنيون للعالم بعد الإسلام، فهي نشر الدين الحنيف بالطرق الذهنية التبشيرية وبواسطة الاتصال الشخصي والإقناع عن طريق التجارة والسياسة. إضافة إلى قيمة الرسالة الفكرية

الإنسانية الضخمة التي قدّمها ابن اليمن عن غير طريق الفتوحات للعالم أجمع، نظراً لما يتمتع به اليمني من أهمية في أندونيسيا وجزرها والملايو اليوم، ومن وجود عدد كبير من السلاطين ورجال المال والزعامة من أصل يمني ومن أسر وقبائل معروفة لا زالوا على اتصال بها وبصورة خاصة في جنوب اليمن بمقاطعة حضرموت.

وكانت اليمن عند ظهور الإسلام قد خسرت الكثير من مكانتها السابقة وذلك بعد أن اضمحلت تجارتها العالمية وانشغل الحميريون بالقتال والفتوحات وخاصة حروبهم مع الأحباش الذين سيطروا على اليمن عقب الخلافات الدينية التي قامت بين الوثنية والمسيحية واليهودية ثم تدخل الفرس. إلى أن أتى انهدام سد مأرب في هذه الفترة قبيل ظهور الإسلام وهجرة القبائل اليمنية وتفرقها «أيدي سبأ» ليدل على فقدان الاستقرار واضطراب الأحوال. حيث أن انهدام السدّ يعتبر كرمز لانهدام الحضارة اليمنية القديمة الضخمة، مما أدى أيضاً إلى انهيار السدود العديدة الأخرى والمنشآت الزراعية والصناعية وغيرها من الإنجازات التي كانت قائمة في فترة الازدهار الطويلة التي قد تعود بدايتها إلى ما يقارب الألفي سنة قبل الإسلام.

وهكذا، عندما قام النبي العربي بدعوته السماوية فرّج الكرب عن صدر اليمنيين. وكان أول من ناصره قبيلتا الأوس والخزرج من الأزد اليمنيين وهم من الذين نزحوا إلى المدينة المنورة بعد حادثة سيل العرم التي ترمز إلى تدهور الحضارة اليمنية.

دخول اليمن في الإسلام

ما جاء العام السادس للهجرة حتى وصل الإمام علي بن أبي طالب مبعوثاً من النبي العربي ﷺ إلى نجران وهمدان فأسلم أهلها ثم تبع علياً عدد من المبعوثين إلى مختلف المناطق اليمنية التي أسرعت جميعها لاعتناق الدين الحنيف ومبايعة رسول الله ﷺ. وتمّ في هذه المرحلة بناء المسجدين اللذين لا يزالان قائمين في اليمن وهما مسجد صنعاء الكبير ومسجد الجند في اليمن الأوسط بمدينة الجند التاريخية.

ومع سير اليمن في ركب الإسلام انطوت قوى العرب المتمدنين ذوي الحضارة العريقة تحت لواء الدين الجديد، وأصبحت اليمن سنداً لهذا الدين ودرعاً عظيم الأثر في انتشار الإسلام وتنظيم أمور المسلمين وامبراطوريتهم الضخمة.

وما جاء عهد أبي بكر بعد وفاة الرسول ﷺ حتى وصل إليه من اليمن واحد وعشرون ألفاً من المجاهدين الذين ألفوا الركيزة الأولى لجيوش الإسلام المنظمة. وقد وجه أبو بكر نصف هذا الجيش إلى العراق والنصف الآخر إلى الشام. وبعد أن تمّت انتصارات المسلمين الأولى اتجهت أنظار جميع اليمنيين وهم الذين اعتادوا الأسفار، ثم الفتوحات الإقليمية في عهد الحميريين، إلى البلدان الخاضعة للإسلام لمتابعة المساهمة في الفتوحات والأعمال التنظيمية لها، وقد أنشأوا الممالك أيضاً في مختلف الأنحاء، وكانوا قبل الإسلام قد أسسوا لهم المستعمرات الواسعة ومنها الحبشة التي حولوها فيما بعد إلى مملكة زاهرة. . . ثم امبراطورية فاتحة، كما أسسوا دولة بني غسان في حوران وشرقي الأردن وغيرها في العراق وفي نجد.

وقد استند خلفاء دمشق في عصر بني أميّة إلى نبوغ اليمني في الحروب والأعمال الإدارية، وكذلك في النشاط الزراعي والصناعي. وقد أدّى استناد الأمويين على اليمنية إلى استمرار الخلاف بين القيسيين واليمنيين قروناً عديدة، ولم تنته هذه الخلافات والحروب في سوريا ولبنان إلا في القرن الماضي.

تأثير التوسع الإسلامي على اليمن

إن اليمن التي أسرعت باعتناق الإسلام وتوحدت إدارتها في القرنين الأولين للإسلام بخضوعها لعمال الخلفاء الراشدين، ثم لعمال الأمويين لم تجن خيراً ملحوظاً من تلك الوحدة، ولم تستعد شيئاً من ازدهارها ومجدها السابقين، لأن الامبراطورية الإسلامية التي امتدت حدودها بسرعة خيالية إلى أطراف الدنيا المعمورة كانت بأشد الحاجة إلى أبنائها العرب أصحاب الكفاءة في مختلف الميادين. ولما كان ابن اليمن أكثر العرب تطوراً ورغبة في

الاغتراب ومعرفة للشعوب المجاورة وربما للغاتها، فمن الطبيعي أن تكون العناصر الطموحة الممتازة من أبناء قحطان هي التي رافقت الانتصارات الإسلامية واستوطنت مناطقها الزاهرة الغنية واحتكرت تجارتها الواسعة واستثمرت أراضيها الزراعية.

وعندما قامت الدولة الأموية وازداد استناد بني أميّة إلى اليمنيين، حصلت إحدى مشاكل الانقسامات الداخلية للامبراطورية الإسلامية، وهو الخلاف المستحكم بين القيسيين اليمنيين أو بين العدنانيين والقحطانيين، وعادت الخلافات العربية إلى الظهور، حيث لم يتمكّن الإسلام من القضاء عليها نهائياً الأمر الذي شجّع بني أمية بالاستيلاء على الخلافة.

وكان النصيب الأكبر من الغلبة لليمنيين لأن ممالك القحطانيين التي انتشرت في شمال الجزيرة كانت على درجة أوسع من سواها في حسن التنظيم، ومن هذه الممالك: بنو غسان في سوريا وبنو المنذر في العراق وكنده في نجد. وكانت هذه الممالك تنتسب إلى قبائل يمنية هاجرت بعد تهدم السد عقب «سيل العرم» في القرن الأول قبل الميلاد، لأن السد لم ينهدم نهائياً إلا قبيل الإسلام في عهد أبرهة الحبشي الذي رمّمه.

ومن أسماء الأسر اليمنية المشهورة التي استقرت في شمال الجزيرة: بنو عاملة وهم سكان جبل عامل في جنوب لبنان، وآل إرسلان وآل علم الدين وآل أبي اللمع في جبل لبنان، وبنو الثعل في عريش مصر، وجزام في مصر، وعرب بني صغر والجبارات بشرقي الأردن وفلسطين. ومن المسيحيين المنتسبن إلى الغساسنة آل المعلوم والعزيزات وعطية ونادر، والدنادشة وآل الشريف وآل الغنام في منطقة تلكلخ ووادي خالد في شمال لبنان (حدود سوريا). وأما في حمص وجوارها فتنتسب أغلب الأسر العريقة إلى القبائل اليمنية، وتوجد في ضواحي دمشق قرى زراعية يعود أصل كامل سكانها إلى أسر يمنية، ولا يزال البعض يحتفظون بتفاصيل تاريخهم.

وهناك اثنان من عباقرة اليمن الذين أقاموا في سوريا ولبنان وهما:

١ ـ الأمير الفلسطيني روح بن زنباع الجزامي الذي قال عنه عبد الملك

بن مروان إنه «جمع روح طاعة الشام ودهاء العراق وفقه أهل الحجاز».

٢ ـ عبد الرحمن عمرو الأوزاعي، صاحب المذهب الذي يحمل اسمه، ولد في بعلبك ٧٠٧م. وتوفي في بيروت عام ٧٧٤م، وقد دفن في جنوب بيروت في المكان المسمى بالأوزاعي حيث يوجد للإمام اليوم مقام ومسجد. وقد عمل أهل الشام بمذهب الإمام الأوزاعي أكثر من مئتي سنة وكان أمره بالشام أعز من أمر السلطان.

الحكم في العهد الإسلامي

توالى على حكم اليمن في عهد النبي، ثم في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويون، وكذلك في عهد العباسيين، عدد كبير من الولاة. ووصل عددهم في عهد النبي ﷺ إلى ٢١، وفي عهد بني أمية إلى ٢٢ (من ٦٦١ ـ ٧٥٠م)، وفي عهد العباسيين ناهز عددهم الأربعين عاملاً وقد استقل أحدهم محمد بن عبد الله بن زياد بالبلاد.

فلما استلم الخلافة العباسية المعتمد بن المتوكل ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ (٨٧٠ ـ ٣٩٢م) عين عاملاً جديداً له على اليمن هو يعفر بن عبد الحريم الحوالي الحميري ٢٦٣هـ. لكن الأخير لم يستطع السيطرة على البلاد، لا سيما وأن العامل في عهد المأمون محمد بن عبد الدين زياد كان قد استقل بالحكم وأنشأ مدينة زبيد عاصمة في تهامة بعد أن اختطها لنفسه واستقل بها عن سلطة بغداد وخلفه أبناؤه من بعده. وهكذا انقسمت اليمن بين بني زياد وبني يعفر.

وبينما كان بنو زياد يحكمون في تهامة تمكن بنو يعفر من حكم المناطق الداخلية الشمالية باسم العباسيين حيث تمركزا في شبام ثم في صنعاء.

ولما انتهت دولة بني زياد بقيام الأمير نجاح مولى بني زياد وهو من الأحباش بالاستيلاء على دولة بني زياد، تمكن من تأسيس مملكة في تهامة والجنوب وسيطر عليها هو وذريته نحو مئة وخمسين عاماً وارثاً بذلك بني زياد.

دعوة الهاشميين

عندما استقلت اليمن عن بغداد في عهد المأمون على يد بني زياد في الجنوب، وكان بنو يعفر في الشمال، بدأ تفكك البلاد وقيام الممالك المختلفة فيها، بحيث أصبحت مرتعاً للفوضى والإضطرابات والخلافات القبلية والقتال المستمر مما حمل بعض الرؤساء في الشمال على دعوة الهادي يحيى بن الحسين وهو من الأشراف الهاشميين لتولي أمرهم (٢٨٠هـ). وإنقاذهم من الفوضى التي كانوا فيها. لكن الشريف الهادي عاد أدراجه بعد أن وجد مدى المتاعب التي تجابهه وشدة الخلاف القائم بين الناس وعدم حصوله على البيعة الكاملة والنصرة اللازمة.

وبعد أربع سنوات (٢٨٤هـ) ولما لم يصل القوم إلى نتيجة فيما بينهم عادوا إليه مجتمعين ونصبوه إماماً عليهم في صعدة. وبعد عشر سنوات (٢٩٤هـ) استدعاه أهل صنعاء إليهم. لكن إدخال هذا العنصر الجديد بقصد حل الخلافات الداخلية لم يؤد إلى زوالها، بل كان مع الزمن عاملاً جديداً من عناصر الخلاف.

ومنذ بداية عهد الأئمة اضطر الإمام الهادي لدخول المعارك العديدة ضد آل يعفر وآل الضحاك وآل طريف وغيرهم، وقد عدد المؤرخون ثمانين معركة من المعارك التي خاضها هذا الإمام مع الحكام والزعماء المحليين.

ولم يكتف الهاشميون ومؤيدوهم الزيود بالقتال في المناطق الداخلية بل دخلوا المعارك ضد الكثير من السلاطين ومنهم علي بن الفضل القرمطي الداعي للطريقة الباطنية الإسماعيلية. وكذلك ضد جميع الدول الأخرى التي قامت في اليمن بعد استدعاء الهاشميين، ومنها الدول أو أصحاب المذاهب الآتية:

*** بنو الصليحي ٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ، ١٠٦٦ ـ ١١٣٨م:**

كان أولهم علي بن محمد الصليحي ٤٣٩ ـ ٤٥٨هـ وهو من أصل حميري وينتمي إلى كهلان. وقد قام بالدعوة إلى الخلفاء الفاطميين في مصر في عهد الخليفة المستنصر (٤٣٧ ـ ٤٨٧هـ).

وبدخول الصليحي من وراء الفاطميين المعركة في اليمن، ازداد التشعب في المذاهب والفوضى في الحكم، وتحصن الصليحي بجبل مسار بحراز، كما تحصن الهاشميون ومؤيدوهم في صنعاء وذمار، وبنو يعفر في قمم الجبال وبنو نجاح في تهامة. إلا أن الصليحي تمكن من فتح صنعاء والتغلب على بني يعفر في الجبال، كما احتل زبيد بعد قتل سلطانها الأمير نجاح بواسطة السم ليتمكن من فتح ذمار وأب وتعز وعدن.

وفي عام ٤٤٤هـ انتصر الصليحي على الإمام أبو الفتح الديلمي بعد عدة معارك دامية وقتل الإمام أبو الفتح في آخر تلك المعارك واستتبّ الأمر للصليحي إلى حد كبير، وقد ولاه المستنصر آمراً على مكة بالإضافة إلى اليمن.

وعلي بن محمد الصليحي هو أول من تمكن من السيطرة رمزياً على مساحة واسعة من الأراضي اليمنية بعد آل زياد ويعفر، علماً أنه لم يتمكن من القضاء على أخصامه العديدين وخاصة مؤيدي الهاشميين ومذهبهم الزيدي الذي عاد أتباعه إلى محاربة الصليحيين بعد وفاة السلطان علي، فحاربوا ابنه المكرم بن علي ٤٥٨ ـ ٤٨٤ ثم سبأ بن أحمد بن المظفر لتستمر بذلك الحروب الأهلية.

أروى بنت أحمد الصليحي

في عام (٤٩٢هـ ـ ١٠٩٩م) وصل إلى الحكم أول سيدة في العهد الإسلامي، ليس في اليمن وحسب، بل في العالمين العربي والإسلامي. فبعد وفاة المكرم بن علي الصليحي (٤٨٤هـ ـ ١٠٩١م) ابن مؤسس الدولة التابعة للفاطميين في مصر مذهبياً واسمياً، كان قد أسند الوصية في الملك إلى زوجته أروى بنت أحمد الصليحي، وفي الدعوة لإمامة المذهب الفاطمي إلى أحد أعوانه ابن عمه سبأ بن أحمد بن المظفر. وبعد أن تزوج سبأ أروى وعاش معها نحواً من ثماني سنوات، توفي واستقلت السيدة الملكة أروى بالملك (ولقبها البعض ببلقيس الصغرى)، واختارت لها عاصمة في أجمل مناطق اليمن وأخصبها «ذي جبلة» (على بعد ٨٠ك من تعز). وقد جمعت هذه السيدة بين الدهاء وسداد الرأي والإقدام فدبرت مقتل سعيد الأحول من

سلاطين آل نجاح الذي عاد لاحتلال زبيد في تهامة بعد أن نظمت ضده معركة ظافرة مدبرة، كما جهزت جيشاً على ابن بخيت الدولة قدّر بعشرين ألفاً، وانتصرت عليه بعد تمرده وسيق إليها طائعاً مستغفراً.

وفي عام ٥٣٢هـ (١١٣٨م) توفيت السيدة أروى بعد حكم دام نحواً من أربعين عاماً، كان حافلاً بالأعمال الجليلة والمباني والإنشاءات العامة كالطرقات ومشاريع جر المياه وعمارة المساجد والمعاهد والمنشآت والأعمال الخيرية العديدة. وخضعت لها كما خضعت لزوجها ووالده مؤسس الدولة من قبله أغلبية المناطق اليمنية الجنوبية. وقد يكون حكم هذه المرأة الفريدة هو أفضل حكم عرفته اليمن في العهد الإسلامي.

وقد أوصت هذه الملكة بالملك من بعدها إلى عمالها آل الزريع الذين كانوا يحكمون عدن وما حولها من مقاطعات كانت خاضعة في السابق لأحمد بن جعفر الصليحي، والد السيدة أروى.

* بنو زريع ٤٧٠ ـ ٥٦٩هـ، ١٠٧٨ ـ ١١٧٤م:

كانوا يحكمون عدن باسم خليفة مصر تحت حكم الصليحيين إلى أن أوصت لهم السيدة أروى بالملك فاتّسع سلطانهم بعد وفاتها.

وكان قد تحارب الهاشميين ومؤيدوهم من الزيديين مع مختلف الدول التي قامت في اليمن، ومنها دولة بني زريع ومن سبقهم من الصليحيين ومن عاصر هؤلاء وغيرهم، وكان حكمهم يمتد ويتقلص نحو الداخل، فإما أن يكون مركزهم الرئيسي صعدة، أو يكون عند امتداد حكمهم صنعاء. وكانت قد قامت في هذه المرحلة دولة بني حاتم واستولت على صنعاء ثم استولى عليها الإمام المتوكل بن سليمان ٥٣٢هـ ١١٣٨م.

* بنو حاتم ٤٩٤ ـ ٥٦٩هـ، ١٠٩٩ ـ ١١٧٤م:

قامت هذه الدولة في منطقة صنعاء التي كانت في سجال دائم مع الأئمة ثم توسعت جنوباً بعد أن طلب آل زريع النجدة من بني حاتم ضد حركة عبد النبي بن مهدي ووصلوا إلى أب والجند وتعز منتصرين، واستمر سلاطين بني حاتم يحكمون المقاطعات الوسطى حتى وصل السلطان توران

شاه الأيوبي ٥٦٩هـ ـ ١١٧٤م. إلى اليمن واحتلها وأخضع جميع سلاطينها لحكمه باستثناء الزيديين في أقصى الشمال والشمال الغربي.

* بنو مهدي ٥٥٣ ـ ٥٦٩هـ، ١١٥٨ ـ ١١٧٤:

أسس هذه الدولة أحد رجال التقى والورع علي بن محمد الرعيني، وهو من المناطق الجبلية المجاورة لتهامة، وقد ساءه أن يكون الحكم في زبيد آل نجاح في أيدي الأحباش فقام بالدعوة ضدهم. وبعد موت ملكتهم (أم فاتك) تمكن من الاستيلاء على زبيد. ولكن ابنه مهدي بن علي خلفه، وبعد وفاته خلفه أخواه عبد النبي وعبد الله اللذان حاربا آل زريع من عدن وانتصر لها آل حاتم من صنعاء إلى أن قامت دولة الأيوبيين.

ائمة اليمن واستمرار الحروب الأهلية

أشار المؤرخ اليمني أحمد حسين شرف الدين إلى أن عدد الذين تولوا الحكم هم ستة وستين إماماً، من أشهرهم المتوكل يحيى شرف الدين وابنه المظهر، والمنصور القاسم والمتوكل إسماعيل بن القاسم الذي توحدت اليمن الطبيعية في عهده ١٦٨١ ـ ١٦٨٦م.

وما أن وصلت اليمن إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي (١١٧٤م ـ ٥٦٩هـ)، حتى كانت بعد تعاقب الحكام على أجزائها مثالاً للخلاف والفرضى. فبنو يعفر المستندون إلى العباسيين، وبنو زياد المتمردون على بغداد، وبنو نجاح من الأحباش، وبنو الصليحي الفاطميو المذهب والتبعية، وبنو زريع من بعدهم، وبنو حاتم في الجبال والرعيني في زبيد، وعلي بن معن في عدن ولجح والكرندي الحميري في منطقة صبر والعدين وعبد الله بن حسين التبعي في شرقي بعدان، وبنو وائل في منطقة حبيش وبنو المناحي علي الجند وغيرهم. . . فضلاً عن الخلافات على مبايعة الأئمة في الشمال أو مبايعة عدة أئمة في وقت واحد، والخلافات المذهبية الأخرى ومنها مذهب علي بن الفضل ومذهب الإمام محمد بن إبراهيم طباطبا على يد إبراهيم بن موسى الذي دمر صعدة وسدّها الحميري، والمذهب الفاطمي الباطني والمذهب الإسماعيلي.

وفي أعقاب هذه الفوضى وعدم الاستقرار دخل عنصر جديد خارجي وهو إرسال صلاح الدين الأيوبي أخاه توران شاه الذي احتل زبيد ثم عدن ثم أب وجبله وصنعاء. وبعد عودته، أرسل أخاه الآخر طغمكين.

* بنو أيوب ٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ ١١٧٤ ـ ١١٢٩م:

وفي عهد الأيوبيين هدأت الأحوال نسبياً في اليمن وتوحدت السلطة لا سيما في الجنوب. واستمرت الأوضاع كذلك إلى أن تحسن في عهد خلفاء بني أيوب من أهل اليمن وهم بنو رسول.

* بنو رسول ٦٢٦ ـ ٧٥٨هـ، ١٢٢٩ ـ ١٤٥٤م:

اتسعت مساحة سلطتهم حتى شملت كامل جنوب اليمن وحضرموت، ولولا حروب الرسوليين مع بعض الأئمة في الجوف وخاصة الإمام المهدي وولده المظفر، لأمكن القول إن بني رسول وحّدوا اليمن لفترة من الزمن بعد أن كانت مجزأة مدة أربعة قرون، وتلاهم في حكم الجنوب ومحاولة حكم الشمال عمالهم على عدن الذين ورثوهم وهم بنو طاهر.

* بنو طاهر ٨٥٨ ـ ٩٣٣هـ، ١٤٥٤ ـ ١٥١٧م:

لقد ثاروا على آل رسول وحاربوا سلطان الشحر (حضرموت)، كما حاربوا الأئمة في الشمال وخاصة الإمام المنصور الناصر بن محمد الذي حصلت بينه وبين الظافر الأول عامر بن طاهر حروب عديدة جاءت لمصلحة الظافر الذي أخرج الإمام الناصر من ذمار ومن صنعاء، لكن الأمور انتهت بمقتله في صنعاء بعد معركة حامية، وضع بعدها الإمام محمد بن الناصر إماماً على صنعاء.

وتعددت حروب عامر عبد الوهاب في عهده مع أبناء عمه وقبائل تهامة الزرانيق وغيرهم، وكان ظافراً فيها حيث تمكن من احتلال صنعاء على رأس ١٧٠ ألف مقاتل (٩١٠هـ). وإذا كان آل رسول قد حكموا كامل جنوب اليمن وحضرموت وقسماً من الشمال، فإن الظافر عامر عبد الوهاب تمكّن من حكم اليمن الطبيعية بأغلبيتها، ولم يخرج عن طاعته إلا بعض المناطق الغربية المحصورة، حيث كان يقيم الإمام المتوكل يحيى بن شرف الدين.

إلا أن وحدة الحكم واتحاد البلاد في اليمن وفي العالم العربي لم تكن تسير على ما يرام، حيث دخل عنصر جديد آخر ليعمل على الإساءة إلى هذه الوحدة، فما أن خضعت البلاد بأغلبيتها لحكم الظافر عامر عبد الوهاب حتى وصلت قوات السلطان قانصوه الغوري من مصر واحتلت الساحل اليمني وكانت مزودة بالأسلحة النارية المجهولة عند اليمنيين. وساهمت الخلافات الداخلية والمطامع في نشوب حرب طاحنة.

وفي حرب الظافر غير المتكافئة مع الجراكسة بسبب الأسلحة النارية، كانت الغلبة للجراكسة في جميع المعارك التي خاضها عامر خاصة التي جرت مع قائدهم الأمير (برش باي). وبعد مطاردة طويلة للسلطان اليمني في طول البلاد وعرضها، تمكّنت قوات الاسكندر بن محمد من القبض عليه وذبحه في العام ٩٢٣هـ.

ويعد السلطان عامر بن داوود الذي انحصرت سلطته في الجنوب وهو آخر آل طاهر بدأ التدخل الأجنبي في اليمن وذلك بدخول الأتراك المعترك اليمني. وكما أن المتوكل المحصور في الغرب والمغلوب على أمره أمام الظافر، لجأ إلى طلب العون من الجراكسة والكتائب المصرية ضد السلطان اليمني، فهذا ما فعله عامر بن داوود بالنسبة إلى الإمام شرف الدين، بعد أن حاصر آل طاهر، في أقصى الجنوب، عندما طلب بدوره معونة الأتراك ضد الإمام ليتمكّن من استعادة ملك آل طاهر. وإن استعان الأول بالجراكسة من مصر ضد منافسه، فلقد استعان الثاني بالأتراك وأدخلهم البلاد.

الغزو العثماني الفاشل

فتح الباب أمام الغزو العثماني من الداخل فاحتل قائدهم سليمان باشا الأرناؤوطي عدن وقضى على آل طاهر الذين دعوه لمناصرتهم ضد الإمام شرف الدين ١٥٣٨م. واحتلت القوات العثمانية صنعاء في العام ١٥٤٧م، ولجأ الإمام شرف الدين إلى كوكبان وابنه المطهر إلى «ثلا»، وبذلك تكون قد بدأت الحروب بين الأئمة والعثمانيين وتحول الغزو العثماني إلى حرب قومية عربية ضد الأجنبي وأصبحت كلمة «تركي» كأنها شتيمة، والقيادة لتشكل رمزاً للوطنية اليمنية والقومية العربية.

ورغم تفوق الأتراك بالمعدات الحديثة وحسن النظام، فقد خسروا بالنهاية الحرب مع الوطنيين الذين استعادوا عاصمتهم صنعاء بعد معارك وقتال عنيف وبطولات خارقة. وغادر العثمانيون البلاد مدحورين بعد معركة «شعوب» على أبواب صنعاء حيث قتل قائدهم مراد بك، ولاحق المطهر الأتراك المهزومين إلى تعز وعدن (١٥٦٨م). لكن أسياد القسطنطينية وسائر المشرق عاودوا الكرة على اليمن بعد أن جمعوا قواتهم المرابطة في مصر، فاحتلوا صنعاء مجدداً عام ١٥٧٠م بعد معارك طاحنة. ودامت الحرب بين الطرفين إلى أن توفي المطهر سنة ١٥٧٣م. إلا أن موته لم يطفىء الشعلة المذهبية أو الوطنية القومية العربية، لأن القوم في الداخل شيعة والأتراك سنّة. فقام الإمام المنصور القاسم بن محمد في العام ١٥٩٨م بحشد القبائل، وتعددت المعارك ضد الأتراك في الشمال. وللمرة الثانية غلب الأتراك على أمرهم (١٦٣٦م) في عهد الإمام محمد بن القاسم الذي طرد العثمانيين أخيراً، وتابع ولداه المؤيد ثم المتوكل رسالته، فوحدا اليمن الطبيعية إلى حد كبير ووصل نفوذ الأخير إلى حضرموت.

وما أن تخلصت اليمن من الأتراك، حتى عادت الخلافات الداخلية وخاصة تلك التي حول البيعة للإمامة، إذ قلما تمكن إمام واحد من الحصول

على بيعة كاملة، وقد حصلت مبايعات لعدد من الأئمة في وقت واحد، كما بويع في إحدى الحالات خمسة أئمة، وذلك بعد وفاة المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد ١٢٥١هـ.

وبقيت اليمن تتصارع في خلافاتها التقليدية ويفككها وعدم استقرارها، إلى أن عاد العثمانيون إلى اليمن سنة ١٨٤٩م وعاودوا الكرة مجدداً بالحروب مع أهل اليمن الذين لم يخضعوا لهم وخاصة في شمال البلاد حيث اضطر الأتراك في النهاية لتوقيع صلح مع الإمام يحيى بن حميد الدين سنة ١٩١١م. وخسر الأتراك بعد ذلك معركة شهاره التي غنم فيها اليمنيون الكثير من الأسلحة والعتاد. واضطر «الباب العالي» لأن يرسل إلى صنعاء المشير عزت باشا الألباني ليفاوض أهل اليمن على الصلح. وتم الاتفاق بين الإمام يحيى المقيم في شهاره وبين المشير عزت باشا على إجراء المفاوضات في نقطة وسط بين صنعاء وشهاره، تمّ اختيارها في «دعّان» بالقرب من عمران.

وقد أدت هذه المفاوضات إلى عقد اتفاقية «دعّان» التي تعطي للإمام حق الإشراف على شؤون القضاء والأوقاف وتعيين الحكام والمرشدين وتشكيل هيئة شرعية، كما تقرر مبدأ جباية الواجبات (العشور) وغيرها على الطريقة الشرعية. ونصّت الاتفاقية أيضاً على لزوم دفع مبلغ من الجنيهات الذهبية شهرياً إلى الإمام مقابل هذا الصلح الذي أطلق يده في المجالات المحددة وفي المناطق الشمالية التابعة للمذهب الزيدي الذي يجعل من الإمام رئيساً روحياً للزيود. وهذا التدبير العثماني لم يحرم السلطة في صنعاء من ممارسة الشؤون الإدارية على كامل اليمن وخاصة المناطق الجنوبية منه إلى أن سقطت هذه السلطة الإدارية فعلاً بعد معاهدة فرساي عام ١٩١٩ عندما اضطر الأتراك للنزوح عن اليمن بطريق عدن تلبية لأوامر من الآستانة.

وقد اشتهرت اليمن بأنها «مقبرة الأتراك»، نظراً لنضال أهلها ضد الغزو العثماني وحروبهم المستمرة وغير المتكافئة مدة تزيد على ١٥٠ عاماً وعلى عدة مراحل، ليحصلوا بعد ذلك على سمعة مشهود لهم بها عالمياً في الوطنية والبطولات الخارقة.

اليمن في السنوات الأولى للاستقلال

أحرزت اليمن الاستقلال التام بعد سقوط الامبراطورية العثمانية بنتيجة الحرب العالمية الأولى. واضطرت للدفاع فوراً عن استقلالها الذي أحرزته دون تطاولات الدول الغربية الطامعة في موقع اليمن الاستراتيجي المهم.

واستولت القوات البريطانية في كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٨ على الحديدة ولحيا وعدد من المدن الأخرى في تهامة اليمنية، وعزلت بذلك منطقة الجبل المهمة جداً من الناحية الاقتصادية عن تهامة. وتزعم النضال ضد التدخل البريطاني الإمام يحيى الذي نقل في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ مقره في شهاره إلى صنعاء وأعلن نفسه ملكاً، وأصبح الحاكم المطلق للمناطق الجبلية من اليمن. وقد أعلن أنه لا يعترف بشرعية الاتفاقيات الأنكلو ـ تركية (١٩٠٢ ـ ١٩٠٥، ومعاهدة ١٩١٤) التي رسمت الحدود بين مستعمرات بريطانيا وتركيا في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية وأدت إلى اقتطاع المناطق الجنوبية من اليمن، لتتحول هذه المناطق فيما بعد، بالإضافة إلى تهامة، مسرحاً للاشتباكات المسلحة بين القبائل اليمنية والقوات البريطانية. وقد واجه البريطانيون الإمام يحيى بحاكم إمارة عسير محمد الإدريسي الذي سلموا له تهامة الشمالية مع ميناء لحيا. واحتفظ البريطانيون بالحديدة وأعلنوا عن استعدادهم لإعادتها إلى الإمام مقابل الاعتراف بالاحتلال البريطاني للجنوب العربي. إلا أن المحاولات العديدة التي بذلتها السلطات البريطانية لتحصل على اعتراف الحكومة اليمنية بحقوق بريطانيا في إمارات محمية عدن وفي تهامة اليمنية لم تكلل بالنجاح.

ورداً على «عدم تسامح» الإمام، سلم البريطانيون في العام ١٩٢١ القسم الأوسط من تهامة مع ميناء الحديدة إلى صنيعتهم حاكم إمارة عسير.

عندئذٍ، احتلت القوات اليمنية عدداً من إمارات محمية عدن. وأصبحت اليمن نتيجة لاحتلال قوات بريطانيا ومن ثم قوات عسير لتهامة الساحلية، معزولة عن العالم الخارجي فوقعت في حصار اقتصادي وسياسي، وأصاب البن الركود، وهو المحصول الزراعي اليمني الأساسي، بسبب الانقطاع عن الأسواق الخارجية. وأغلقت حقول الملح في الصليف وهي أكبر مؤسسة للصناعة الاستخراجية.

كما أصاب الخلل الصلات التجارية بين مختلف المناطق نتيجة للاحتلال الأجنبي والعمليات الحربية في الجنوب وانتفاضات القبائل التي حركها الأجانب، الأمر الذي جعل البلاد بحاجة ماسة إلى السلع الصناعية والمواد الغذائية الحيوية.

إن سياسة بريطانيا العدوانية وأمير عسير الذي حرضته، قد قوبلت بمقاومة سكان اليمن الجبلية وسكان تهامة أيضاً. كما أثار احتكار عسير للتجارة مع المناطق الداخلية في اليمن، تذمر كبار التجار في المدن الساحلية ومصدري البن في المناطق الجبلية. فضلاً عن تذمر سكان المناطق اليمنية المحتلة من عبء الضرائب الباهظة التي فرضتها سلطات عسير نتيجة خضوعها لمصالح بريطانيا الاقتصادية. إلا أن نضال الإمام يحيى في سبيل توحيد البلاد كان يستجيب لمصالح التجار وبعض الفئات من الإقطاعيين، من خلال إلغاء حكومته العقبات الجمركية الداخلية وتشجيعها للتجارة مع مختلف القبائل. وبسبب رؤية الجماهير الشعبية الواسعة في نشاط الإمام أملاً في التخلص من النير الأجنبي المزمن ومن النزاعات الإقطاعية، كانت المهمة السياسية الأساسية للإمام يحيى هي تأسيس دولة إقطاعية مركزية ذات نظام تيوقراطي مطلق وتضم كافة الأراضي اليمنية.

وفي مستهل عام ١٩٢٥، تهيأ في اليمن جو ملائم للنضال الموفق في سبيل توحيد البلاد، واشتدت أزمة إمارة عسير بسبب النزاعات الإقطاعية داخل العائلة الحاكمة فيها. وفي الوقت نفسه، كانت لا تزال حرب الحجاز نجد مستمرة في العام ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ التي شغلت الأوساط الاستعمارية البريطانية. لذلك قرر الإمام الشروع بتحرير تهامة في مستهل عام ١٩٢٥،

حيث واجهت اليمن مفارز إقطاعيي عسير المشتتة بمتطوعة مركزية كسبت خبرة حربية غنية في المعارك ضد القوات العثمانية وفي الاشتباكات مع الانكليز. وحظيت القوات اليمنية بتأييد سكان تهامة الذين كانوا يعانون من سياسة النهب والسلب التي انتهجها أمير عسير. وفي العام نفسه انتقلت تهامة بأسرها إلى الحكومة اليمنية. وقد أدى تدخل الحجاز ونجد بعد توحيدهما وتحوّل عسير إلى محمية لهما في العام ١٩٢٦، إلى منع استمرار تغلغل الفصائل اليمنية في أعماق أراضي عسير.

واصل الإمام يحيى، بعد إنجاز الحرب بين اليمن وعسير، تعزيز سلطته داخل البلاد واستعداده للدفاع، حيث عيّن في كافة المناطق اليمنية نوابه وعامليه. وخلال الإعداد للكوادر الإدارية افتتحت عدة مدارس حكومية دينية ودنيوية. وفي صنعاء افتتحت المكتبة العامة الرسمية العام ١٩٢٦، كما صدرت أول صحيفة يمنية في عهد الاستقلال هي جريدة «الإيمان». ورغم إجراء محاولة لإعادة تنظيم القوات المسلحة في البلاد إلا أن الوضع ظل متوتراً بسبب الحصار الاقتصادي الذي لم يتوقف في الواقع، وانعدام الصناعة الحديثة، وبسبب النزعة الانفصالية والخيانة لدى شيوخ القبائل اليمنية، وعدم تمتّع يحيى بن محمد بالحنكة في السياسة الاقتصادية، لأنه لم يسمح بتأسيس مصانع ومعامل حديثة وبشق الطرق وتأسيس البنوك خشية تزايد نفوذ الدول الأوروبية في المملكة.

العلاقات اليمنية الإيطالية والبريطانية

استخدمت إيطاليا التناقضات الخطيرة بين اليمن وبريطانيا وعدم شعبية هذه الأخيرة في الجنوب العربي لأغراضها التوسعية ولإضعاف مواقع بريطانيا في هذه المنطقة. وفي العام ١٩٢٦، عُقدت أول معاهدة لليمن مع دولة أجنبية في صنعاء وذلك بعد مباحثات طويلة الأمد، هي معاهدة «الصداقة والتجارة» الإيطالية ـ اليمنية. وطبقاً لهذه المعاهدة، اعترفت إيطاليا باستقلال اليمن التام والتزمت بتقديم مساعدة لها بإرسال الإخصائيين الفنيين. كما وافقت على أن تبيع لليمن جملة من البضائع الضرورية للغاية، بما فيها الأسلحة. وأعلنت الحكومة اليمنية بدورها عن رغبتها في استيراد التجهيزات

والمواد التقنية من إيطاليا. وقد توجه ممثلون شخصيون عن الإمام إلى إيطاليا وأريتريا مع مجموعة من الشباب لدراسة التلغراف والإذاعة والطب. وأرسل عدد من اليمنيين للدراسة في المدارس العسكرية الإيطالية، بما فيها مدارس الطيران. كما طرحت عدة مشاريع لبناء معامل النسيج وإنشاء مناجم الفحم الحجري. إلا أن الآمال بالمعونة الاقتصادية الواسعة من قبل إيطاليا لم تتحقق. فالإخصائيون الإيطاليون الذين أرسلوا إلى اليمن مارسوا أعمال التجسس والمغامرات السياسية أكثر مما مارسوا تقديم المساعدة الفنية. لذا أتت نتائج التعاون الاقتصادي مع إيطاليا ضئيلة للغاية. حيث مارست الشركات الإيطاليا تصدير التجهيزات القديمة والسلع الرديئة إلى اليمن وبيعها بأسعار باهظة.

ولم تتحقق آمال اليمن في دعم إيطاليا لنضالها ضد العدوان البريطاني. حيث بلغت المرحلة الأولى من الخلاف الأنكلو - إيطالي في الصراع من أجل اليمن أوجها في ١٩٢٦ - ١٩٢٧، وانتهت بتوقيع اتفاقية روما في مستهل ١٩٢٨، والتي التزمت الدولتان بموجبها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لليمن. ولم يكن أيّ من الجانبين ينوي التمسك فعلاً بشروط هذه الاتفاقية. فبعد مرور بضعة أسابيع من توقيعها وجهت بريطانيا إنذاراً إلى الإمام طالبته بإخلاء الإمارات في محمية عدن والاعتراف بسلطة بريطانيا في هذه المنطقة. وبعد أن رفض الإمام هذا الإنذار، قام سلاح الجو البريطاني في ٥ - ٢٢ آذار (مارس) ١٩٢٨ بقصف عدد من المدن اليمنية على الحدود، ليعود ويستأنف القصف في حزيران (يونيو) من العام نفسه. كما حاصر الأسطول الحربي البريطاني مداخل الموانىء اليمنية، ومارست الاستخبارات البريطانية العمل التخريبي بين شيوخ القبائل اليمنية الإقطاعيين وخصوصاً في المناطق التي يسكنها الشافعيون. وقد تذمر الأهالي الكادحون من شدّة ازدياد عبء الضرائب الأمر الذي استفاد منه الإقطاعيون ذوو الميول الانفصالية. وازدادت من جديد في أواسط ١٩٢٨ تمردات بعض القبائل ضد السلطة المركزية، وخصوصاً انتفاضة قبائل زرانيق طوال عامين في منطقة بيت الفقيه، حيث تسلمت السلاح من إيطاليا وبريطانيا، كما دبرت الأخيرة انتفاضة قبائل حاشد في شمال اليمن. وقد خرقت القوات البريطانية مجدداً حدود اليمن في

أواخر حزيران (يونيو) وأوائل تموز (يوليو) من العام ١٩٢٨. إلا أن القصف لم يطاول مدن الحدود اليمنية الجنوبية والمدن المختلف عليها، بل وصل إلى المراكز المهمة في البلاد مثل تعز وذمار. وبغية نشر الرعب، أخذ البريطانيون يبثون الإشاعات عن قصف صنعاء والحديدة قريباً، مما جعل السكان يغادرون بالطائرات هاتين المدينتين إلى الجبال.

وفي آب (أغسطس) ١٩٢٨ أخمدت انتفاضة قبائل حاشد، أما تمرد القبائل في منطقة بيت الفقيه الذي كان أكثر حدّة وأطول مدة، فلم يتسنّ دحر قواته الأساسية إلاّ عند منتصف ١٩٢٨. إلا أن قوات الإمام استطاعت أن تحصر التمرّد بعد أن عزلت هذه القبائل عن البحر، عندما كانت تتسلم السلاح البريطاني، وطوقتها من كافة الجهات. فاضطرت هذه القبائل إلى اعتماد الصلح المؤقت، وانتهت انتفاضتها الأولى على هذا النحو. وهكذا، خاب الأمل الرئيسي للبريطانيين في نجاح الانتفاضات الداخلية وإضعاف سلطة الإمام. ورغم أن انتصارات البريطانيين الحربية كانت ضئيلة أيضاً، فإن قصف المدن اليمنية ترك تأثيراً معنوياً معيناً على الشعب اليمني وعلى زعماء البلاد.

وبعدما تأكد الإمام يحيى من استحالة تحقق آماله في الحصول على مساعدة فعلية من إيطاليا اضطر إلى إخلاء قسم كبير من إمارات عدن المختلف عليها. وتوجهت حكومته إلى الممثل السوفياتي في جدة باقتراح إقامة العلاقات الودية. وبذلك عقدت معاهدة الصداقة والتجارة بين اليمن والاتحاد السوفياتي في الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٨. وفكّت هذه الاتفاقية الحصار الديبلوماسي والاقتصادي عن اليمن بعد أن أرسل الاتحاد السوفياتي إليها كمية كبيرة من المنتوجات والتجهيزات الممتازة.

وكانت اليمن في أواسط العشرينات قد أحرزت بعض النجاحات في تطوير اقتصادها حيث أنشئت أول محطة كهربائية صغيرة وعدة مطاحن ومحلجة القطن وورشة لصنع السلاح.

اليمن والأزمة الاقتصادية العالمية

تركت الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٣) على اليمن آثاراً سلبية، حيث انخفض لدرجة كبيرة سعر الفضّة التي كان يستند عليها النظام النقدي للبلاد. وتقلص كثيراً تصدير المنتوجات الزراعية اليمنية، وخصوصاً البن، الذي عانى آلاف الفلاحين من الجوع في مناطق زراعته.

وعادت لتتمرد من جديد القبائل في منطقة بيت الفقيه عام ١٩٢٩ على سلطة الإمام، ولكن قوات الحكومة ألحقت بها الهزيمة، وانتهى النزاع في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٩ باستيلاء هذه القوات على بيت الفقيه وهي المدينة الرئيسية لهذه القبائل.

وقد أشعل استفزاز البريطانيين نار النزاع على الحدود السعودية ـ اليمنية، واشتدّ بذلك تدهور الحالة في البلاد. وكانت الاشتباكات التي بدأت على الحدود في أواخر العشرينات من أجل عسير ونجران، قد سويت مؤقتاً ضمن اتفاقية ١٩٣١ السعودية ـ اليمنية التي نصّت على تسليم منطقة جبل حرض إلى اليمن لتبقى مسألة منطقة نجران معلّقة. وكان كل من ابن سعود ويحيى يدركان خطر دسائس بريطانيا الساعية إلى حرمان كلتا المملكتين من السيادة وفرض حمايتها عليهما.

وقد عرقلت بريطانيا التقارب وإقامة علاقات حسن الجوار بين اليمن ومملكة «الحجاز ونجد» (العربية السعودية اعتباراً من ١٩٣٢) غير أن المملكتين استطاعتا عن طريق الديبلوماسية المعقّدة تحاشي العوائق التي خلقها البريطانيون في طريق التقارب بينهما. وفي عام ١٩٣٢ ظهرت أزمة جديدة على الحدود اليمنية ـ السعودية، بسبب تمرد أمير عسير السابق حسن الإدريسي على ملك العربية السعودية، ولكن قوات ابن سعود سرعان ما

دحرت فصائل المتمردين بينما لجأ الإدريسي إلى أراضي اليمن وحاول من هناك قيادة عمليات الأنصار في عسير، في وقت استخدمت فيه الأوساط الاستعمارية البريطانية هذا الأمر على نطاق واسع، حيث ظهرت في عدة صحف بريطانية أنباء استفزازية تقول إن حكومة اليمن تدعم التمرد ضد ابن سعود. وانتهت بالإخفاق محاولات الطرفين للتوصل إلى حل وسط في المؤتمر الذي عقد في مدينة ميدي اليمنية.

الحرب اليمنية ـ السعودية

في المرحلة التي استفادت منها بريطانيا من صعوبات الوضع في اليمن، استطاع حاكم عدن الكولونيل ريلي أن يوقع المعاهدة الأنكلو ـ يمنية في ١١ شباط (فبراير) ١٩٣٤، وقد اعترف البريطانيون باستقلال اليمن مع تحفظات تفيد ولو بشكل غير نهائي، بأن تنتقل إلى السلطة البريطانية المقاطعات المختلف عليها. كما تقرر تحديد المصير النهائي لإمارات عدن في غضون ٤٠ عاماً بعد إبرام المعاهدة. والتزم الطرفان للمدة التي تسبق هذا الموعد بالحدود القائمة في لحظة إجراء المفاوضات. إلا أن النزاع اشتد من جديد في تلك الأثناء على الحدود بين اليمن والعربية السعودية. وبعد شهر من توقيع المعاهدة الأنكلو ـ يمنية انتهت بالفشل أعمال المؤتمر السعودي ـ اليمني الذي بدأ انعقاده في أبها (عسير). فاندلعت الحرب اليمنية ـ السعودية في شباط (فبراير) ١٩٣٤.

وفي غضون شهر ونصف الشهر، احتلت القوات السعودية تهامة اليمنية حتى الحديدة، بعدما استفادت من الخلافات بين الكتل الإقطاعية في اليمن. وكان ضغط بريطانيا غير الراغبة في تقوية العربية السعودية، وكذلك رغبة ابن سعود في إقامة علاقات ودية مع الإمام يحيى، قد جعلا شروط معاهدة الصلح التي وُقّعت في الطائف يوم ٢٠ أيار (مايو) ١٩٣٤ سهلة بالنسبة لليمن التي تخلت عن ادعاءاتها بعسير وقسمت منطقة نجران المختلف عليها مناصفة بين البلدين. وغيرت أحداث ١٩٢٨ ـ ١٩٣٤ تناسب القوى في اليمن لمصلحة بريطانيا التي استطاعت أن تضعف مواقع إيطاليا في هذه البلاد.

وفي أواخر الثلاثينات لوحظ شيء من الانعطاف في السياسة الخارجية اليمنية. فقد تابعت الحكومة اليمنية قبل كل شيء تعليق آمالها على الاستفادة من التناقضات بين بريطانيا وإيطاليا، وأبدت في الوقت نفسه اهتماماً بالتقارب مع البلدان العربية، حيث انضمت في العام ١٩٣٧ إلى معاهدة «الصداقة والأخوة العربية» بين العراق والسعودية. وأخذت بعثة عسكرية وصلت من العراق، تمارس إعادة تنظيم الجيش اليمني، وتعززت العلاقات الودية مع الاتحاد السوفياتي من جهة أخرى في العام ١٩٣٨، وذلك بتمديد معاهدة ١٩٢٨ لعشر سنوات.

وقبيل الحرب العالمية الثانية اشتد الخطر كثيراً على اليمن من جانب إيطاليا. ففي ٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٣٥، وقعت في روما اتفاقية لافال ـ موسوليني التي تنازلت فيها فرنسا لإيطاليا عن جزيرة دميرة الواقعة على مقربة من مضيق باب المندب. وفي ٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٣٥، اقتحمت القوات الإيطالية الحبشة واحتلتها بعد حرب دامية. وفسخت إيطاليا اتفاقية لافال ـ موسوليني. وأبدت مطامعها في جيبوتي التي كانت أهم ميناء في الصومال الفرنسي عند مدخل مضيق باب المندب.

وفي ١٦ نيسان (أبريل) ١٩٣٨ تم توقيع اتفاقية بريطانية ـ إيطالية جديدة التزمت فيها الدولتان بالحفاظ على الوضع القائم في ساحل الجزيرة العربية كلها وفي الجزر الصغيرة، والتخلي عن محاولات توسيع المواقع بصورة مباشرة أو غير مباشرة في شبه الجزيرة العربية. إلا أن إيطاليا لم تلتزم بهذه المعاهدة، فقد استولت على عدد من الجزر الصغيرة في البحر الأحمر على مقربة من الساحل اليمني. وبغية إضفاء طابع «شرعي» على هذا الغزو، سعى الإيطاليون إلى الحصول على موافقة الإمام على امتلاكهم لهذه الجزر.

اليمن في سنوات الحرب العالمية الثانية

أحرز الإيطاليون في بداية الحرب العالمية الثانية، بعض الانتصارات في منطقة البحر الأحمر. وفي آب (أغسطس) ١٩٤٠ احتلت القوات الإيطالية الصومال البريطاني وطوقت الصومال الفرنسي حتى جهة البر. ثم استطاعت

أن تستولي على قسم من مستعمرة كينيا البريطانية ومركزين للحدود في السودان. وأصبح في يدي إيطاليا كل الساحل الأفريقي في القسم الجنوبي من البحر الأحمر وخليج عدن. وكان الإيطاليون يسعون إلى تحويل اليمن إلى رأس جسر للتغلغل في شبه الجزيرة العربية، وحاول رجال الاستخبارات والديبلوماسيون الإيطاليون الذين استقروا في اليمن أن يجتذبوها إلى جانب دول «المحور». إلا أن الدور الحاسم على مسرح العمليات الحربية هذا، لعبه في آخر المطاف، تفوق الأسطول البحري البريطاني على الأسطول الإيطالي، وكذلك امتلاك بريطانيا لقواعد عسكرية شديدة التحصين مثل قاعدتي السويس وعدن.

وحشد البريطانيون عند أواخر عام ١٩٤٠ في شرقي أفريقيا قوات كبيرة، وشنوا الهجوم المضاد في كانون الثاني (يناير) ١٩٤١. وفي أيار (مايو) استسلمت القوات الإيطالية في الحبشة. كما فقدت إيطاليا نتيجة الحرب العالمية الثانية امبراطوريتها الاستعمارية في شرق أفريقيا.

وبعد قطع العربية السعودية علاقاتها الديبلوماسية مع إيطاليا في مستهل ١٩٤٢، أرسل ولي العهد الأمير فيصل ممثليه إلى الإمام يحيى لحثّه على تصفية النفوذ الإيطالي في اليمن نهائياً. واتخذت الحكومة اليمنية في ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٤٣ قراراً بقطع العلاقات الديبلوماسية مع إيطاليا واحتجاز كافة مواطني ألمانيا وإيطاليا المقيمين في اليمن.

وبالرغم من أن العمليات الحربية لم تجر في أراضي اليمن فقد ألحقت الحرب باقتصاد البلاد ضرراً كبيراً. ففي مستهل عام ١٩٤٠ توقف تصدير البن الذي هو المحصول البضاعي الوحيد، كما توقف كذلك استيراد البضائع الضرورية جداً للسكان مثل الدقيق والسكر والسمن والمنتجات البترولية... لتتفشى بذلك المجاعة في البلاد، فضلاً عن وباء التيفوئيد الذي أودى بحياة آلاف عديدة من اليمنيين.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها، تابعت الحكومة اليمنية خطواتها في طريق التقارب مع البلدان العربية. ففي أيلول ـ تشرين الأول (سبتمبر ـ اكتوبر) ١٩٤٤، ساهمت اليمن في مؤتمر البلدان العربية السبع في

الاسكندرية حيث اتخذ قرار تشكيل جامعة الدول العربية. كما انضمت إلى الجامعة العربية في أوائل أيار (مايو) ١٩٤٥ واستمرت في المساهمة في نشاطها منذ ذلك الحين. وعقدت الحكومة اليمنية في العام نفسه اتفاقية مع مصر بشأن تعزيز العلاقات التجارية والسياسية، كما وقعت في العام ١٩٤٦ اتفاقية تجارية مع العراق. وانضمت إلى هيئة الأمم المتحدة في العام ١٩٤٧.

وازداد التوسع الأميركي في اليمن في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية. وكانت سياسة الولايات المتحدة الأميركية في اليمن تمليها قبل كل شيء مصالح الاحتكارات البترولية الأميركية التي كانت تسعى إلى سبق بريطانيا في امتلاك احتياطيات البترول الكامنة في البلاد. وفي ٤ أيار (مايو) ١٩٤٦ وقعت أول اتفاقية يمنية ـ أميركية على أثر اعتراف الأميركيين رسمياً باستقلال اليمن. وطبقاً لهذه الاتفاقية أدخل مبدأ الدولة الأكثر رعاية، كما أقيمت العلاقات الديبلوماسية والقنصلية بين البلدين.

وفي ٢٤ أيار (مايو) ١٩٤٧ تم توقيع اتفاقية يمنية ـ أميركية جديدة بشأن تقديم قرض قدره مليون دولار إلى اليمن لمدة خمس سنوات لشراء فائض السلاح الأميركي. وأجرى أخيراً أحد أبناء يحيى بن محمد محادثات مع الحكومة في واشنطن سنة ١٩٤٧ بشأن تقديم قرض ومنح الشركات الأميركية امتيازات البترول في منطقة ساحل البحر الأحمر. إلا أن هذه المباحثات لم تسفر عن نتائج عملية لأن الملك يحيى كان يخشى تزايد النفوذ الأميركي في اليمن.

ولم يكن لبعض النجاحات التي أحرزتها اليمن على الصعيد الدولي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تأثير كبير على الوضع الداخلي في البلاد. وكان الملك يحيى الذي هو عبارة عن عاهل إقطاعي، قد أبقى على عزلة اليمن المصطنعة عن العالم الخارجي، حيث اعتبر كل تجديد أو إصلاح أو تحويل هو نتيجة للنفوذ الأوروبي وينطوي على خطر استيلاء الأجانب على المواقع الحساسة في اقتصاد البلاد وخطر نسف أسس الإسلام السائد في اليمن. ولم يسمح بتأسيس الشركات المساهمة الأجنبية في البلاد، ومنع إنشاء المصانع والمعامل ومد السكك الحديدية وشق الطرق. ولم يكن راغباً بعصرنة النظام

الإداري والمالي. وفي المرحلة الأولى، أيدت البرجوازية التجارية اليمنية نشاط الملك يحيى آملة في أنه سيساعد على التطور الرأسمالي السريع لليمن، ولكنه لم يبن فيها خلال سنوات الحكم الطويلة أي مصنع أو معمل واحد، ولم تمدّ أي سكة حديد أو طريق واحدة للسيارات أو يؤسس أي مصرف وطني. كما لم تسمح سياسة يحيى الداخلية الرجعية للبرجوازية اليمنية الضعيفة أن تغتني حتى في ميدان التجارة الخارجية والداخلية أو في تطوير الصناعة أو الرأسمال المالي. كما أنه لم يكن يوجد في اليمن قانون يضمن حرية التاجر الشخصية وأمواله. وسياسة الملك الداخلية عرقلت تطور القوى المنتجة في البلاد، مما حول اليمن المستقلة إسمياً إلى بلد تابع للدول الغربية اقتصادياً.

منظمة «اليمنيين الأحرار»

إن طغيان الملك المسيطر لم يسمح بوجود أية معارضة أو منظمة سياسية أو اجتماعية، الأمر الذي حثّ الكثيرين من اليمنيين المستائين على هجرة البلاد هرباً من نظام الإمام. حيث غادر الفلاحون والحرفيون الصغار والباعة بعد إفلاسهم، فضلاً عن هجرة مجموعة غير كبيرة من التجار الأغنياء المتنفذين الذين جمعوا الأموال وصاروا يبحثون عن حرية المبادرة.

وفي غضون بضعة عقود، تأسست جاليات يمنية كبيرة في مدن سواحل البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط. وأصبحت مستعمرة عدن البريطانية المركز الرئيسي للمهاجرين اليمنيين. من هنا ظهرت في النصف الثاني من عام ١٩٤٤ حركة سميت «اليمنيين الأحرار»، سرعان ما تحولت إلى منظمة سياسية.

وكان منظمو وزعماء «اليمنيين الأحرار» في بادىء الأمر من الإقطاعيين وكبار التجار والمثقفين، ولكن دور ممثلي الفئات الوسطى من سكان المدن والبرجوازية الصغيرة والعمال اخذ يزداد لاحقاً، فاكتسبت الحركة طابعاً أكثر جماهيرية. وكانت معارضة بعض فئات الطبقة المسيطرة للنظام القائم تدلّ على الأزمة العميقة في المجتمع اليمني.

ومارس «اليمنيون الأحرار» اعتباراً من شباط (فبراير) ١٩٤٥ نشاطاً دعائياً واسعاً ضد نظام التعسف المخيم على البلاد وحظي هذا النشاط بتأييد صحيفة «فتاة الجزيرة» الصادرة في عدن.

وظهرت منظمة وطنية يمنية أخرى في عدن هي «الجمعية اليمنية الكبرى». وقد جمعت مبالغ كبيرة وخصوصاً من التجار الشافعيين الأثرياء وأسست بها صحيفة «صوت اليمن» التي نشرت مقالات انتقادية شديدة اللهجة، كما مارست هذه المنظمة طبع الكتب والمؤلفات السياسية.

وفي عام ١٩٤٦ توحدت منظمتا «الجمعية اليمنية الكبرى» و«اليمنيين الأحرار»، وأصبح شعارهما الرئيسي استبدال الملكية المطلقة بملكية دستورية. وقد ازداد نشاط المنظمات الثورية والصحافة الحرة خصوصاً منذ أواسط ١٩٤٧.

وفي ١٧ شباط (فبراير) ١٩٤٨ قُتل الإمام يحيى على يد متآمرين، كان على رأسهم نسيب الملك عبدالله بن أحمد الوزير، وهو ديبلوماسي وسياسي مرتبط بمنظمات المهاجرين. وقد شكل حكومة جديدة، فنصب ملكاً وإماماً، ووعد بوضع دستور وتأسيس مجلس الأمة وإجراء الإصلاحات البرجوازية الليبرالية.

وتوجه الملك الجديد إلى حكومات الدول العربية وبريطانيا طالباً أن تقدم لحكومته الدعم المادي والمعنوي. ولكنه لم يحصل على أية مساعدة. وفي تلك الأثناء اجتذب ولي العهد الابن البكر للإمام يحيى، أحمد بن يحيى أغلبية القبائل الزيدية، فاحتل صنعاء في ١٣ أذار (مارس) من العام ١٩٤٨. وفي ١٥ أذار (مارس) نصب أحمد بن يحيى ملكاً وإماماً لليمن. أما عبدالله بن أحمد الوزير فقد أعدم مع كثير من مؤازريه، ليكون بذلك انقلاب ١٩٤٨ أول محاولة جدّية لتحرير البلاد من جمود القرون الوسطى ومن سلطة الأئمة المتعسفين.

وحاول أحمد بن يحيى في أول عهده بالحكم أن يظهر بمظهر نصير الإصلاحات الليبرالية، فقد وعد بإجراء جملة تحويلات وتخلى عن سياسة

الانعزال التقليدية. إلا أن الأحداث التالية سرعان ما أظهرت أن سياسة أحمد لا تختلف بشيء عن سياسة أبيه في كافة المسائل المبدئية.

واتخذ الملك الجديد فوراً الخطوات الرامية إلى تسوية العلاقات مع بريطانيا، ظناً منه أن ذلك سيساعده في تعزيز مواقعه في البلاد، وكان يأمل من وراء مساعدة بريطانيا، في تصفية منظمات المهاجرين الثورية التي ظلت عدن مركزاً لها كالسابق.

ولتعزيز العلاقات، بدأت المباحثات بشأن توقيع المعاهدة الأنكلو ـ يمنية الجديدة في تموز (يوليو) ١٩٤٨، واستمرت طوال عامين ونصف. وقد حال دون نجاح المباحثات النشاط التخريبي للسلطات البريطانية في إمارات اليمن الجنوبية وعدوان الإنكليز المباشر على الحدود الجنوبية للبلاد.

ومنذ ربيع ١٩٤٩ تدهورت العلاقات بين اليمن وبريطانيا وذلك حين شرعت الاحتكارات البترولية البريطانية في التنقيب عن البترول في إمارات محمية عدن المتاخمة لحدود اليمن. وجرت في العام ١٩٤٩ إلى جانب المباحثات أعمال مشتركة لتدقيق الحدود الفاصلة بين اليمن والممتلكات البريطانية في اليمن الجنوبية.

وكان البريطانيون يسعون في تلك الفترة إلى استمالة شيوخ قبائل الحدود اليمنية لكي ينضموا إلى المحميات البريطانية في اليمن الجنوبية. إضافة إلى تعرض قرى القبائل لأعمال القصف لأنها رفضت الانضمام إلى البريطانيين.

وفي ١٠ أذار (مارس) ١٩٥١ تم توقيع المعاهدة الأنكلو ـ يمنية في لندن، ونصّت على تبادل التمثيل الديبلوماسي، وتم الاتفاق بالخطوط العريضة على التعاون في ميدان التطوير الاقتصادي والثقافي لليمن، كما نصت المعاهدة على أن تقدم بريطانيا مساعدة في ميدان التعليم والصحة. ولم يتحقق من الناحية العملية إلا البند الخاص بتبادل التمثيل الديبلوماسي ورغم توقيع المعاهدة السلمية بين الطرفين، إلا أن العلاقات بينهما لم تخلُ من التوتر المستمر.

تعزز مواقع اليمن على الصعيد الدولي

تعرضت اليمن في ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ لضغط شديد من جانب الدول الغربية الساعية إلى اجتذابها إلى الأحلاف العسكرية في الشرق الأوسط. إلا أن حكومة اليمن التزمت بسياسة عدم الانحياز التزاماً ثابتاً، وشجبت حلف بغداد الذي شكله الغرب. ودخلت اليمن في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥ في مفاوضات مع مصر والعربية السعودية تكللت بعقد تحالف عسكري دفاعي في ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٥٦ لتبادل المساعدة في حالة وقوع عدوان على أحد الأطراف. وكان اتحاد هذه الدول العربية الثلاث خطوة مهمة في تعزيز استقلالها لمواجهة الدسائس المتزايدة التي تمارسها الدول الغربية.

وفي ٣١ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٥ عقدت في القاهرة اتفاقية بشأن استئناف معاهدة الصداقة السوفياتية ـ اليمنية لعام ١٩٢٨. وتطويراً لهذه المعاهدة وقعت في القاهرة يوم ٨ أذار ١٩٥٦ اتفاقية التجارة السوفياتية ـ اليمنية التي نصت على استيراد اليمن المشتقات البترولية والدقيق والأرز وسلع أخرى من الاتحاد السوفياتي وتصدير البضائع اليمنية التقليدية مثل البن والجلود الخام والفواكه المجففة ومنتوجات زراعية أخرى إلى الاتحاد السوفياتي.

وقام ولي العهد ونائب رئيس وزراء اليمن ووزير خارجيتها محمد البدر في حزيران (يونيو) ١٩٥٦ بزيارة رسمية إلى الاتحاد السوفياتي حيث صدر في موسكو بيان سوفياتي ـ يمني مشترك أشار إلى أن الاتحاد السوفياتي مستعد لتجهيز اليمن بشروط متهاودة بالآلات الزراعية ومختلف التجهيزات والمواد الإنشائية والبضائع الصناعية، مع تقديم مساعدة في تصميم وإنشاء عدد من المشاريع الصناعية. وقدم الاتحاد السوفياتي إلى اليمن قرضاً طويل

الأمد وبشروط متهاودة حسب اتفاقية التعاون الاقتصادي التي وقعت في ١١ تموز (يوليو) ١٩٥٦.

وكان قد بدأ إنشاء الميناء البحري في الحديدة في أذار (مارس) ١٩٥٨، الأمر الذي اتسم بأهمية فائقة بالنسبة للتطور الاقتصادي في اليمن. وبذلك تكون قد فقدت بريطانيا مرتكزاً جباراً للتأثير على اقتصاد البلاد، لأن التجارة الخارجية اليمنية كانت تجري كلياً في السابق عن طريق عدن.

وقد أنشىء ميناء الحديدة بمساعدة اقتصادية وفنية من الاتحاد السوفياتي، حيث وضع تصميمه مصممون من هذا البلد الذي قدم كامل تقنية الميناء والتجهيزات اللازمة له. وساهم في إنشائه إلى جانب العمال اليمنيين أكثر من ٣٥٠ أخصائياً سوفياتياً. وبدأ الميناء يؤدي وظيفته في ربيع ١٩٦١، بينما جرت مراسيم افتتاحه رسمياً في حزيران (يونيو) ١٩٦٢.

وأقيمت العلاقات الودية بين اليمن وجمهورية ألمانيا الديموقراطية وجمهورية بولونيا الشعبية وجمهورية رومانيا الاشتراكية وجمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية. وتم الاتفاق في آب (أغسطس) ١٩٥٦ على تبادل التمثيل الديبلوماسي بين اليمن وجمهورية الصين الشعبية، التي شقّت في اليمن خلال ١٩٥٩ ـ ١٩٦١ أول طريق حديثة معبدة للسيارات بين الحديدة وصنعاء على امتداد ٢٣٠ كيلومتراً.

وساهمت اليمن إلى جانب الدول الأخرى ذات السيادة في آسيا وأفريقيا في مؤتمر باندونغ التاريخي عام ١٩٥٥. وأعلنت في فترة العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الأول والثاني (اكتوبر ـ نوفمبر) عن تضامنها التام مع الشعب المصري.

آخر سنوات النظام الملكي

إن تعزيز التعاون مع الدول العربية على أساس مناوىء للغرب وإقامة العلاقات الودية مع البلدان الاشتراكية دفعا بريطانيا إلى القيام بدسائس جديدة ضد الشعب اليمني. وشرعت القوات البريطانية في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٦ وفجأة بقصف مدينة قطبة وعدد من القرى اليمنية الواقعة على الحدود. وكانت تنشب في الفترة من شتاء ١٩٥٦ حتى أذار (مارس) ١٩٥٨ اشتباكات مسلحة بين القوات المسلحة البريطانية واليمنية بين الحين والآخر، بينما تعرضت المدن والقرى والمراكز المحصنة في منطقتي البيضا وقطبة للقصف الجوي والمدفعي الوحشي وحوّل سلاح الجو البريطاني عدداً من مدن الحدود اليمنية إلى أنقاض.

ووجه ممثلو اليمن طوال ١٩٥٧ ـ ١٩٥٩ الشكاوى إلى الأمم المتحدة على بريطانيا بسبب الاستفزازات المستمرة التي دبرها البريطانيون في جنوب اليمن.

واشتد نشاط السياسة الأميركية في اليمن أيضاً، حيث كانت تحاول فرض «مبدأ ايزنهاور» عليها بعناد، إلا أن الملك أحمد بن يحيى رفض بحزم في ربيع ١٩٥٧ مقترحات الأميركيين بشأن المباحثات الثنائية على أساس «مبدأ ايزنهاور»، وبعد أن منيت الولايات المتحدة الأميركية بالإخفاق سياسياً، شددت من التغلغل الاقتصادي في اليمن.

ووصل إلى تعز في العام ١٩٥٩ ممثل إحدى شركات البترول الأميركية سميث الذي أجرى مباحثات مع الحكومة اليمنية بشأن إجراء التنقيبات الجيولوجية والبحث عن البترول في القسم الغربي من البلاد. وفي عام ١٩٦١ تسلمت شركة بترولية أميركية أخرى امتيازاً للتنقيب عن البترول

واستخراجه في تهامة والمنطقة البحرية المتاخمة لها. إلا أن أعمال التنقيب جرت حتى قيام ثورة ١٩٦٢ على نطاق محدود ولم تسفر عن نتائج إيجابية. وشقت بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية طريق السيارات المخاء ـ تعز ـ صنعاء.

وبالرغم من تعزز التعاون مع البلدان الاشتراكية والعربية ظلت اليمن حتى ثورة ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ بلداً مغلقاً، وظل قسم كبير من الاتفاقيات الدولية التي عقدها الإمامان حبراً على ورق.

وتابع أحمد بن يحيى في ميدان السياسة الداخلية نهج أبيه الذي لم يسمح بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي آن أوانها منذ زمن بعيد. وكانت الملكية الثيوقراطية اليمنية تعاني من أزمة عميقة، وقد امتد أجل النظام قليلاً بسبب السجايا الشخصية للإمام أحمد بن يحيى الذي كان مطلعاً بأفضل شكل على تقاليد وعادات القبائل، وكان يجيد الاستفادة من التناقضات بين الشيوخ، فكان يرغمهم على طاعته قسراً أو بالنعم التي يدفقها عليهم. وكانت الأغلبية الساحقة من سكان اليمن تكره النظام الملكي المطلق المسيطر على البلاد. فحتى بين طبقة الإقطاعيين كانت هناك فئة كبيرة مستاءة من النظام القائم وكانت راغبة في تغييره.

وهكذا لم يستطع أحمد أن يحل مسألة توحيد البلاد لأنه شأنه شأن أبيه، لم يحقق إصلاحات اقتصادية واجتماعية ملحة قادرة على تحطيم العزلة والتقوقع اللذين اكتنفا المقاطعات. وخلال هذه الظروف انتعشت من جديد حركة «اليمنيين الأحرار» وتأسست في عام ١٩٥٢ منظمة معارضة أخرى في عدن ذات شأن هي «الاتحاد اليمني» الذي طرح برنامجه الأول وهو تحقيق النظام الجمهوري.

انتفاضة الجيش والتحضير للثورة

اتصل «اليمنيون الأحرار» في عام ١٩٥٣ بالرائد أحمد يحيى السلاية الذي كان يتمتع بنفوذ كبير في الجيش. وقد ساعدوه في إعداد انتفاضة جديدة ضد النظام القائم. وطوّقت في ٣١ أذار (مارس) ١٩٥٥ وحدات حامية تعز بقيادة أحمد السلاية القصر الملكي وطالبت الملك أحمد بالتنازل عن السلطة لأخيه عبدالله الذي اتصل به «اليمنيون الأحرار». ودخل أحمد في مفاوضات مع الثوار وقدم إليهم بعض التنازلات محاولاً بكل الوسائل كسب الوقت وإثارة الخلاف فيما بينهم. وفي تلك الأثناء استخدم محمد البدر ابن الإمام أحمد في مكافحة انتفاضة الجيش الطريقة نفسها التي استخدمها والده في عام ١٩٤٨، حيث توجه إلى قبائل الشمال واستطاع أن يؤلف متطوعة قبليّة كبيرة. وسرعان ما استولت القبائل على تعز فأعادت سلطة الملك الذي انتقم من الثوار بوحشية. فقد أعدم زعيم الانتفاضة وستة ضباط آخرين وكذلك شقيقا الملك عبدالله وعباس اللذان أيدا الانتفاضة، فضلاً عن اعتقال ١٥٠ شخصاً. وتقديراً لخدمات ابن الملك البكر محمد البدر للعائلة المالكة، أوصى الملك بتعيينه ولياً للعهد.

وبعد قمع انتفاضة ١٩٥٥، أصبحت القاهرة إلى جانب عدن مركزاً للمهاجرين اليمنيين واكتسبت الحركة المعادية للإقطاع والملكية في اليمن بعض التقاليد الثورية، حيث كان الكثيرون من زعماء الجماعات السرية والمهاجرة من المساهمين في انقلاب ١٩٤٨ وانتفاضة ١٩٥٥، وبينهم العقيد عبدالله السلال الذي حكم عليه بالإعدام لمساهمته النشيطة في انقلاب ١٩٤٨، ثم استبدل حكم الإعدام بالسجن. وقضى السلال في سجن المعتقلين السياسيين في حجة سبع سنوات، ثم أطلق سراحه في علم ١٩٥٥. وكان رجال البلاط يأملون في اجتذاب هذا الضابط الذي يتمتع بشعبية في

الجيش إلى جانبهم، وبذلك يخلقون الانقسام في صفوف المعارضة. إلا أن السلال انخرط فوراً في النشاط المعارض. وقد استطاع أن يستجمع الضباط المخلصين ويرص صفوفهم ويستعيد نشاط المنظمة العسكرية السرية التي أصبحت تسمى منذ ذلك الوقت بمنظمة «الضباط الأحرار». وأقامت هذه المنظمة اتصالاً مستمراً مع المجموعات الثورية المهاجرة في عدن والقاهرة وجيبوتي (الصومال الفرنسي) ومصوع (أثيوبيا) وغيرها من المدن وتسلمت منها مساعدة مادية.

وكان السلال يتمتع بشهرة واسعة، ليس في الجيش وحده، بل في أوساط مدنية معينة، وصار له تأثير كبير على ولي العهد البدر الذي كان راغباً في التظاهر بالليبرالية. لهذا كان بحاجة إلى تأييد هذا الزعيم العسكري والثوري البارز.

لقد توسعت وتعمقت الحركة الثورية في اليمن بعد العام ١٩٥٥، وأخذت تكتسب بالتدريج طابعاً نوعياً جديداً، فقد ازداد الوعي فيها كثيراً. وكانت المعارضة حتى عام ١٩٥٦ تطالب بملكية دستورية وبإصلاحات في إطار الإمامة. وفي العام ١٩٥٦ عقد اجتماع لجماعة الضباط التقدميين والمثقفين اليمنيين الملتفين حول عبدالله السلال مع زعماء بعض القبائل الكبرى وممثلي أوساط المهاجرين حيث طرح لأول مرة برنامج النضال في سبيل الإطاحة بالنظام الملكي. ومنذ ذلك الوقت أصبح الاتجاه المعادي للملكية هو الرئيسي في الحركة الثورية اليمنية. كما درس أعضاء منظمة «الضباط الأحرار» بكل دقة خبرة النضالات الثورية السابقة وصاروا يجتمعون سراً بين الحين والآخر في جلسات مشتركة مع «اليمنيين الأحرار»، تارة داخل اليمن وتارة خارجها.

وأبدى «الضباط الأحرار» الاهتمام اللازم بالعمل بين القبائل، وذلك لأن تجربة كافة النضالات السابقة ضد الملكية أقنعتهم بأن مصائر الثورة اليمنية تعتمد بدرجة كبيرة جداً على موقف القبائل. وعقدت في عام ١٩٥٨ جلسة مشتركة جديدة لممثلي «الضباط الأحرار» و«اليمنيين الأحرار» مع شيوخ بعض القبائل، حيث انتهز قسم من قبائل الشمال برئاسة الأحمر، شيخ شيوخ

قبائل حاشد في صيف ١٩٥٩، فرصة سفر الملك أحمد إلى إيطاليا بغية معالجة بعض الأمور، فرفضت هذه القبائل الخضوع للحكومة المركزية. وسرعان ما علم الملك بالانتفاضة فعاد إلى اليمن بأقصى سرعة، واستطاع أن يخمدها. وقام أعضاء منظمة «الضباط الأحرار» في ٢٦ أذار (مارس) ١٩٦١ بمحاولة لاغتيال الملك أحمد، حيث جرت قبل ذلك عدة محاولات فاشلة لاغتياله. وقام بمحاولة الاغتيال في مستشفى الحديدة ثلاثة ضباط قتلوا لاحقاً. إلا أن الجراح التي أصيب بها الملك في ذلك اليوم كانت سبباً في وفاته في ١٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢.

وكان قد عقد في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦١ لقاء جديد بين ممثلي المنظمات الثورية في اليمن واتخذ قرار بتصفية النظام الملكي.

تجزئة اليمن

شكلت اليمن في الألف الأول والثاني قبل الإسلام امبراطوريات واسعة شملت جميع أجزاء اليمن الطبيعية وجاوزتها في أحيان كثيرة. أما في العهد الإسلامي فلم تتوحد اليمن بعد بداية العهد العباسي وقيام دولة بني زياد إلا في مرحلة من عهد الرسوليين بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر ميلادي (١٢٢٩ ـ ١٤٥٤)، حيث خضعت لإدارتهم حضرموت بكاملها وجميع مناطق عسير باستثناء بعض المناطق الداخلية في الشمال الغربي، وفي عهد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (١٥٠٦ ـ ١٥٥٨) عندما كادت تتم وحدة اليمن تحت حكمه لولا غزو الأتراك الأول لليمن سنة ١٥٣٨.

وبعد التوسع العثماني وبداية عهد الاستعمار الأوروبي كان مصير اليمن كمصير سائر الأقطار العربية، التجزئة والتفكك. فضلاً عن بقاء اليمن الطبيعية مجزأة، حيث قام حكم الشعب الذي أصبح من البديهي أن يطالب بوحدة القطر اليمني.

اليمن الشمالية

الثورة وإعلان الجمهورية

بعد استلام محمد البدر السلطة في ٢٠ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢، عين عبدالله السلال قائداً عاماً للجيش اليمني ورئيساً للحرس الملكي. وكشفت البيانات والإجراءات الأولى التي اتخذها الملك الجديد، الذي تظاهر قبل التتويج بأنه نصير للإصلاحات، عن أنه في الواقع لا ينوي تحقيق التحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وبعد بضعة أيام من تربع الملك الشاب على العرش أعلن أنه سيتابع سياسة أبيه، وبذلك يكون قد بدّد آخر الأوهام وسرّع في وثبة الجمهوريين.

واتفق عبدالله السلال مع العقيد حمود الجيفي في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ على أن يرسل الأخير وحدات الدبابات من الحديدة في طريق السيارات الجديدة بين الحديدة وصنعاء لدعم حامية صنعاء الثائرة. وقد نفذ العقيد وعده، فوصلت الدبابات إلى العاصمة في الوقت المحدد. وفي ليلة ٢٦ ـ ٢٧ أيلول (سبتمبر) هجمت الوحدات الثورية بأمر من القائد العام على قصر البشائر حيث يقع قصر الملك. وبعد أن طوقت قيادة الجيش القصر ووجهت المدافع نحوه طالبت الملك وحاشيته بالاستسلام.

ورداً على محاولة الحرس الملكي المقاومة، فتحت الدبابات النار على القصر ودمرت طوابقه العليا، وعند الصباح توقف إطلاق النار بعد أن قمعت مقاومة الفصائل الموالية للملك. وسيطر الجيش على أهم دوائر العاصمة، بما فيها دار الإذاعة. وأعلن أن محمد البدر قتل تحت أنقاض القصر، ولكنه سرعان ما اتضح أن البدر استطاع أن يهرب إلى العربية السعودية. فضلاً عن اعتقال جماعة غير كبيرة من أعداء الثورة، وأعدم عدد من غلاة أنصار

الملكية. كما أطلق سراح أكثر من ثلاثة آلاف معتقل سياسي.

وأعلن راديو صنعاء في ٢٧ أيلول (سبتمبر) عن حلول عهد جديد في تاريخ اليمن ودعا الشعب إلى دعم الثورة. فقد جاء في البيان رقم - ١ - للجيش أن الثورة التي أطاحت بنظام الأئمة الملكي القاسي أنقذت البلاد من أسوأ أعداء الشعب ومن أعداء العمال والفلاحين والباعة. وأعلن البيان أيضاً عن مساواة جميع القبائل والطوائف الدينية، وأنه لن تبقى تفرقة بين الزيديين والشافعيين والقحطانيين والهاشميين.

وقامت في الأيام التالية في جميع المدن اليمنية الكبيرة تظاهرات شعبية تأييداً للثورة. وهكذا حظيت الثورة التي فجرها الجيش بتأييد سكان المدن وأغلبية القبائل وتسلمت قيادة الجيش السلطة في البلاد كاملة. وجاء في البيان الرسمي لمجلس قيادة الثورة الذي تشكل برئاسة عبدالله السلال، أنه سيتمسك بسياسة الحياد الإيجابي وعدم التدخل في شؤون البلدان الأخرى وعدم الانحياز إلى الأحلاف وأنه سيحترم ميثاق هيئة الأمم المتحدة وميثاق جامعة الدول العربية.

وفي ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢ أعلن عن تأسيس الجمهورية العربية اليمنية. ونتيجة انتصار الثورة تسلمت السلطة جبهة موحدة لكافة القوى المناوئة للنظام الملكي. وقد ضمت ممثلي البرجوازية الصغيرة والمتوسطة (التجارية) في المدن والفئات المتوسطة والطبقة العاملة الشابة بالتحالف مع بعض جماعات الإقطاعيين وشيوخ القبائل وعلماء الدين. ولقد وجهت ضربة جديّة إلى أسس الإقطاعية بالرغم من أن قسماً كبيراً من طبقة الإقطاعيين والشيوخ ظل محافظاً على مواقعه الاقتصادية والسياسية.

وكان الاتحاد السوفياتي أول دولة كبرى اعترفت بالجمهورية العربية اليمنية. وعلى أثره اعترفت بها البلدان الاشتراكية الأخرى والأقطار العربية والدول في آسيا وأفريقيا التي أعربت عن رغبتها في التعاون معها. غير أن الولايات المتحدة الأميركية لم تعترف بالجمهورية إلا في أواخر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٢.

وصدر دستور مؤقت في ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٦٣. أما في ٢٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٤ فأقر الدستور الدائم الذي أعلن أن الجمهورية العربية اليمنية «دولة عربية إسلامية مستقلة ذات سيادة»، وأن الإسلام هو دين الدولة وأن الشريعة هي أصل كل القوانين. ونص الدستور على أن تعود السلطة التشريعية في البلاد، إضافة إلى حق مراقبة السلطة التنفيذية التي هي بيد رئيس الجمهورية الذي هو رئيس الدولة أيضاً إلى المجلس الاستشاري. ويعيّن رئيس الجمهورية نائبه ورئيس مجلس الوزراء والوزراء. وقد أصبح عبدالله السلال أول رئيس للجمهورية.

الحرب الأهلية

أثارت ثورة اليمن الاضطراب والذعر ليس فقط في الأوساط الحاكمة في المملكة العربية السعودية والأردن، وفي المحميات البريطانية في الجنوب العربي بل لدى البريطانيين والأميركيين أيضاً.

وعمل ملكا العربية السعودية والأردن منذ الأيام الأولى للثورة على بعث الملكية في اليمن وعلقا آمالهما على محمد البدر وعمه الأمير حسن بن يحيى. وعند حدود اليمن أخذت تتكون في العربية السعودية فصائل أعداء الثورة والمرتزقة. وقد تسلم الملكيون اليمنيون المساعدة المادية والأسلحة كاملة من الحكومة السعودية والسلطات البريطانية في عدن. وأخذ الملك سعود يبعث بالذهب والسلاح الأميركي إلى قبائل الزيديين على الحدود في شمال وشرق اليمن للدفاع عن الإمامة.

وبعد انتصار الثورة ازدادت الاستفزازات والأعمال العدائية من أراضي المحميات البريطانية على الحدود الجنوبية لليمن واكتسبت نطاقاً واسعاً. وكانت الأحداث على الحدود تتحول من حين لآخر إلى معارك مع القوات البريطانية أو قوات اتحاد الجنوب العربي. وكان البريطانيون يسعون إلى قمع الحركة المعادية للغرب في اليمن بواسطة العرب أنفسهم، وبالدرجة الأولى السلاطين والأمراء والشيوخ في محميات عدن البريطانية. وقد قدمت السلطات البريطانية في عدن مساعدة كبيرة إلى أمير بيحان، حيث أرسلت إليه

السلاح والذخيرة والمدربين. ورداً على ذلك أغلقت السلطات اليمنية السفارة البريطانية في شباط (فبراير) ١٩٦٣.

واتخذت حكومة الجمهورية العربية اليمنية جملة إجراءات مهمة تستهدف تعزيز النظام الجمهوري واستقراره. وبغية النضال ضد ثورة الردة الداخلية والخارجية، قررت الحكومة تشكيل الحرس الوطني ودعت الشعب إلى الانخراط في صفوفه للذود عن حياض الجمهورية. وقد لبّى هذا النداء كثير من الشبان اليمنيين إضافة إلى تدريب المتطوعين على الشؤون العسكرية حسب برنامج مختزل، ثم أرسلوا إلى الحدود الشمالية والشرقية لمقاتلة القبائل المؤيدة لعودة الإمامة وكذلك فصائل المرتزقة المنطلقة من العربية السعودية. وعلى أثر ذلك اتخذ المؤتمر الذي عقدته الحكومة في صنعاء لشيوخ القبائل قراراً بتأسيس مجلس الدفاع الوطني من ١٩٠ شيخاً لحماية الحدود الشمالية والشرقية للجمهورية. ولعبت هذه الخطوة التي قامت بها الحكومة دوراً في تعزيز صلاتها بالجماهير الشعبية واجتذاب القبائل ذات الميول الانفصالية إلى جانب النظام الجمهوري. ولعب دوراً لا يقل عن ذلك أهمية تشكيل جيش يمني موحد ذي قيادة موحدة بدلاً من الجيوش الثلاثة التي كانت قائمة قبل الثورة، وهي الجيش الوطني وجيش الدفاع (من متطوعي القبائل الزيدية) و«الجيش المظفر» (الحرس الملكي). وقد أدت هذه الإجراءات التي اتخذت في الأيام الأولى للثورة إلى تعزيز النظام الجديد واستقراره وأصبحت الحكومة الجمهورية تسيطر على أهم المدن والموانىء والمواصلات في البلاد.

وقدمت الجمهورية العربية المتحدة مساعدة كبيرة إلى اليمن في مكافحة ثورة الردة حيث أرسلت إليها القوات المسلحة للدفاع عن النظام الجمهوري. وقد وجهت القوات الجمهورية بالاشتراك مع وحدات الجمهورية العربية المتحدة ضربات إلى القبائل المعادية للثورة وقوات المرتزقة التي بعث بها الملك سعود والتي حاولت أن تحتل أهم المراكز في البلاد.

ومنذ الأيام الأولى للحرب تجلّت السيطرة التامة لسلاح الجو الجمهوري على أجواء البلاد. وأحرز الجيش الثوري عدة انتصارات كبيرة

على الملكيين على الحدود الشمالية والشرقية لليمن في مناطق مدن صعدة ومأرب وحرض وغيرها. وانتقل إلى صف الثورة كثير من المرتزقة والمتطوعين من القبائل المتمردة. ولم تتحمل قوات الملكيين الاشتباكات السافرة مع الجمهوريين، فاضطرت للانتقال إلى عمليات حرب العصابات. ومع ذلك اكتسبت الحرب حتى صيف ١٩٦٣ طابعاً طويل الأمد، وذلك بسبب المساعدة المادية والعسكرية الهائلة التي قدمتها العربية السعودية وبريطانيا إلى الملكيين. وقد اجتذب أنصار الملك المخلوع بعض الشيوخ المتنفذين في شمال وشرق اليمن، وذلك بشراء الذمم والتهويل وإثارة النعرات الطائفية والاضطرابات فضلاً عن الدسائس التي استخدمت على نطاق واسع. ومما سهل انتقال بعض القبائل إلى معسكر الرجعية أن الحكومة الثورية المشغولة بالحرب لم يتسع لها الوقت لكي تحقق الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية الجذرية التي من شأنها أن تحسن حالة الفلاحين.

وقد اندلعت العمليات الحربية بقوة في أيار (مايو) ١٩٦٣ حيث انتقل الملكيون من عمليات الأنصار إلى المعارك المكشوفة. واستطاعت قوات الملكيين أن تحتل مراراً مدينة صعدة وبعض المدن الأخرى في الشمال ومدينتي مأرب وحريب في الشرق، ولكنها لم تستطع أن ترسخ أقدامها هناك. ونقل محمد البدر مقره إلى أراضي اليمن، وبالتحديد إلى المنطقة الجبلية الشمالية الغربية الوعرة. ولكن الملكيين لم يستطيعوا أن يخلقوا انعطافاً حاسماً في العمليات الحربية. وطهّرت القوات الجمهورية بالاشتراك مع وحدات الجمهورية العربية المتحدة في النصف الثاني من ١٩٦٣ وطوال عام ١٩٦٤، أهم المدن في الشمال والشرق. وفي صيف وخريف ١٩٦٤ قامت الوحدات الحكومية بعدة عمليات هجومية كبيرة ضد قوات الملكيين.

واضطرت الجمهورية الفتية في الوقت نفسه إلى الاحتفاظ بقوات كبيرة على الحدود بين اليمن والمحميات البريطانية. وأعلنت الجمهورية العربية اليمنية مراراً احتجاجها على حكومة بريطانيا، كما وجهت الشكاوى إلى هيئة الأمم المتحدة بشأن العمليات العدوانية التي يمارسها البريطانيون على الحدود الجنوبية والشرقية للجمهورية.

وعقد في مدينة أركويت في السودان من ٢٩ تشرين الأول (اكتوبر) حتى ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ مؤتمر ساهم فيه ممثلو الجمهوريين والملكيين، وقد اتخذ قراراً بوقف إطلاق النار في اليمن اعتباراً من ٨ تشرين الثاني (نوفمبر). وعقد مؤتمر وطني عام يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٤ في إحدى مدن الجمهورية العربية اليمنية شارك فيه كلا الطرفين المتخاصمين لوضع شروط الصلح المقبولة. إلا أن مقررات مؤتمر أركويت فسرت من قبل الطرفين تفسيراً متناقضاً تماماً. وكان قد أجّل عقد المؤتمر الوطني العام مرتين ثم ألغي نهائياً في أواسط كانون الأول (ديسمبر). وجرى خرق الهدنة التي استمرت شهراً ونصف الشهر بعد العشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٤ حيث استؤنفت العمليات الحربية.

ووجهت حكومة الثورة اهتمامها لتعزيز القدرة الدفاعية للبلاد، أي لإعادة تسليح الجيش وعصرنته. وقدم الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا والجمهورية العربية المتحدة مساعدة كبيرة في بناء الجيش الوطني للجمهورية اليمنية. وكانت قد تأسست في اليمن بعد الثورة عدة مدارس عسكرية لإعداد الضباط لمختلف أصناف القوات.

وقد أحرزت الحكومة الجمهورية نجاحات معينة في ميادين الاقتصاد والمالية والتعليم والصحة وغيرها.

وبعد انتصار ثورة ١٩٦٢، صودرت كافة الأراضي العائدة لأفراد العائلة المالكة وكبار الإقطاعيين الذين ساندوا النظام القديم. وبذلك وجهت ضربة إلى المصالح الاقتصادية لبعض الفئات في طبقة كبار الإقطاعيين. كما أحرزت بعض النجاحات في ميدان المالية، حيث تأسس أول مصرف وطني يمني للبناء والتنمية. وقد تحرر النظام المالي اليمني كلياً من سيطرة عدن. وفي عام ١٩٦٣ وضعت أول ميزانية للدولة في تاريخ اليمن. إضافة إلى أن الحكومة الجمهورية قد أعلنت أنها ستحمي الملكية الخاصة للمواطنين وبذلك فتحت الطرق لتطوير القوى المنتجة في البلاد على أساس رأسمالي. ووضعت الحكومة برامج طويلة الأمد لتطوير الصحة ونظام التعليم. ونظمت بمساعدة الجمهورية العربية المتحدة دورات إعداد كوادر العاملين في دوائر

الدولة، حيث أرسلت الجمهورية العربية المتحدة إلى اليمن أكثر من ٣٥٠ أخصائياً في ميادين الإدارة والمالية والاقتصاد والزراعة والشؤون العدلية. وأصبح نفوذ هذه الجمهورية حتى عام ١٩٦٣ في اليمن هو السائد.

وأدت الحرب الأهلية إلى وضع اقتصادي عصيب، وإلى تأزم الحالة السياسية في داخل البلاد. ولم يؤد تغيير الوزارات (وزارة حمود الجيفي ووزارة حسن العمري) إلى تحسن جوهري في حالة الجمهورية، إضافة إلى أن الوضع تأزم في البلاد أيضاً بسبب ظهور تيارين متناحرين في صفوف قادة الجمهورية حيث لوحظت علائم الخلاف الأولى في صيف عام ٦٣. وفي أيلول (سبتمبر) من العام نفسه اتسمت التناقضات بطابع حاد، حيث عَقد زعيما المعارضة العائدان من المهجر، الزبيري ونعمان، مؤتمراً لزعماء القبائل في عمران متحديين السلال بصورة سافرة. وطالبت المعارضة بتصفية «السيطرة» المصرية وجلاء قوات الجمهورية العربية المتحدة، ولكن مع الاحتفاظ بالنظام الجمهوري. وكان الزبيري (قتل في نيسان (أبريل) ١٩٦٥ على مقربة من الحدود الشمالية) ونعمان يعتقدان بأنه سيكون بالإمكان الاتفاق مع الملكيين في حالة انسحاب القوات المصرية.

وتشكلت حكومة برئاسة أحمد محمد نعمان في ٢٤ نيسان (أبريل) ١٩٦٥ تهدف إلى تحقيق مهمة أساسية هي إحلال السلام. وقد اتسم بأهمية كبيرة المؤتمر الذي عقد بمبادرة من حكومة نعمان في ناحية خمر (شمال صنعاء) وشارك فيه ممثلو القبائل الذين كان بينهم أنصار الجمهوريين والملكيين. والذي استمر من ٢ إلى ٨ أيار (مايو) ١٩٦٥ واتخذ عدداً من القرارات المهمة جداً. إضافة إلى أنه تقرر تشكيل لجنة دائمة من عشرة أشخاص لتسوية المشاكل الداخلية سلمياً، وكان على هذه اللجنة أن تتصل بالقبائل التي حاربت سابقاً في صف الملكيين. وطرح اقتراح بجلاء القوات المصرية من اليمن وانتهاج سياسة مستقلة عن الجمهورية العربية المتحدة وعن العربية السعودية. كما تقرر أن يلعب الإسلام الدور البارز في كافة ميادين الحياة الروحية والاجتماعية لليمنيين، وأن يبتعد الجيش عن حكم البلاد، كما تخذ قرار يمنع نشاط الأحزاب السياسية.

ووضع في مؤتمر خمر نص الدستور المؤقت الجديد للجمهورية العربية اليمنية الذي أصبح ساري المفعول في ٨ أيار (مايو) ١٩٦٥ بعد أن صادق عليه الرئيس السلال. ونص الدستور على أن الهيئة التشريعية العليا للجمهورية هي المجلس الاستشاري الذي ينتخب من بين أعضائه المجلس الجمهوري، وأن رئيس المجلس الجمهوري هو رئيس الجمهورية. ويحق للمجلس الاستشاري بأغلبية ثلثي الأصوات أن يحجب الثقة عن الحكومة ويقيل أعضاء المجلس الجمهوري. ويطرح هذا المجلس أيضاً اللوائح القانونية على مجلس الوزراء الذي يحيلها بعد مناقشتها إلى المجلس الاستشاري بغية المصادقة عليها. ويضمن الدستور المؤقت مساواة كافة مواطني الجمهورية وحرية الرأي والصحافة والاجتماعات وكذلك تأسيس الاتحادات في حدود القانون. واتخذ مؤتمر خمر قراراً بشأن تعزيز هيئات الأمن وتشكيل محكمة شرعية عليا لمكافحة اختلاس أموال الدولة وممتلكات الشعب، كما اتخذ قراراً بتقوية الاقتصاد الوطني. إلا أن مقررات هذا المؤتمر لم تنفذ من قبل الحكومة التي استقالت في تموز (يوليو) ١٩٦٥.

ولقد اشتد الخلاف في آب (أغسطس) ١٩٦٦، حيث انتهزت المعارضة فرصة غياب السلال لأمد طويل (وكان في الجمهورية العربية المتحدة) فحاولت القيام بانقلاب حكومي للإطاحة به. إلا أن المؤامرة فشلت. وفي ١٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٦ تشكلت حكومة جديدة برئاسة السلال. وفي تشرين الأول (اكتوبر) تشكلت لجنة الدفاع الوطني برئاسة رئيس الجمهورية (وقد ضمت اللجنة كبار الضباط المصريين واليمنيين ووزير الداخلية). وتسلّمت اللجنة السلطة كاملة في مسائل الدفاع، كما في مسائل الأمن الداخلي للجمهورية.

وأعلن في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٦ عن تشكيل الاتحاد الثوري الشعبي في الجمهورية العربية اليمنية، وهو منظمة سياسية واسعة، ونشر في الوقت نفسه برنامجه ونظامه الداخلي، والمهمة الرئيسية للاتحاد هي رصّ صفوف الشعب لحماية الثورة والجمهورية. وعقد من ١٨ إلى ٢٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ المؤتمر الوطني للاتحاد الثوري الشعبي الذي استحسن

نشاط حكومة الجمهورية العربية اليمنية في النضال ضد أعداء الجمهورية، وأيد تعزيز التعاون مع الجمهورية العربية المتحدة ومع اتحادها الاشتراكي العربي.

الجمهورية العربية اليمنية بعد العدوان الإسرائيلي

تغير تناسب القوى في الجمهورية العربية اليمنية لمصلحة المعارضة بعد مؤتمر رؤساء الدول العربية في الخرطوم في آب ـ أيلول (أغسطس ـ سبتمبر) ١٩٦٧ الذي كان من بين مقرراته قرار بسحب القوات المصرية من اليمن. ونحي السلال عن كافة المناصب التي كان يشغلها نتيجة انقلاب ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ٦٧ والذي تأسس فيه المجلس الجمهوري من ثلاثة أشخاص برئاسة عبد الرحمن الأرياني. وترأس الحكومة محسن العيني، ودخلها ممثلو كافة التيارات والكتل السياسية، من الإقطاعيين وشيوخ القبائل، أنصار الاتفاق مع الملكيين وحتى أكثر ممثلي الفئات الوسطى راديكالية من سكان المدن والبرجوازية الصغيرة. وأعلن الزعماء الجدد عن إخلاصهم لمبادىء ثورة ١٩٦٢ وعن طموحهم إلى تسوية الأزمة الوطنية بالطرق السلمية مع الحفاظ على النظام الجمهوري.

وقد اضطرت الحكومة الجديدة للعمل في ظروف سياسية داخلية عصيبة ومعقدة للغاية. فقد انتهز الملكيون فرصة انسحاب القوات المصرية على عجل في حزيران ـ كانون الأول (يونيو ـ ديسمبر) ١٩٦٧، وقاموا بمحاولة يائسة للاستيلاء على عاصمة الجمهورية (صنعاء).

ولأول مرة خلال خمس سنوات من الحرب الأهلية، حاصرت قبائل الملكيين صنعاء كلياً. وبدأ في الأيام الأولى من كانون الأول (ديسمبر) ٦٧، حصار المدينة القاسي طوال سبعين يوماً. وفي ٢٣ منه تشكلت حكومة «التعبئة والدفاع» برئاسة حسن العمري الذي قاد الدفاع عن المدينة. وساهم السكان أنشط مساهمة في الدفاع عن صنعاء. واضطرت الحكومة في تلك اللحظة الحرجة إلى الموافقة على تسليح عمال المدينة، وعلى تشكيل منظمة المقاومة الشعبية التي تزعمتها العناصر ذات الميول الراديكالية اليسارية وأنصار

الكفاح ضد الملكيين حتى النهاية المظفرة. كما لعبت دوراً كبيراً في «المقاومة الشعبية» نقابات العمال ومنظمات الشبيبة والفئات المتوسطة والوسطية في المدن. وحظيت المقاومة الشعبية بمساعدة جوهرية من اليمن الجنوبية. ويفضل جهود الجيش النظامي الجديد وخصوصاً قوات الإنزال المظلي وفصائل المقاومة الشعبية اضطر الملكيون لرفع الحصار عن المدينة والانسحاب نحو الشمال. وعلى أثر ذلك تأزمت العلاقات لدرجة شديدة بين الجمهوريين المعتدلين والراديكاليين.

وتابعت الحكومة طوال عام ١٩٦٨ خطواتها في الاعتماد على شيوخ القبائل بغية اجتذابهم إلى جانبها من أجل استقرار الوضع وترسيخ مواقعها في مكافحة الملكيين. وأخذت تلعب دوراً متزايداً في الحياة السياسية من خلال الكتلة التي سميت بكتلة قمر والتي تتكون قواها الرئيسية من الإقطاعيين وشيوخ القبائل وعلماء الدين المرتبطين بالأوساط البرجوازية. كما أيدها قسم من الضباط والمثقفين البرجوازيين الليبراليين. وقد اتخذت الحكومة المضطرة لمراعاة مطالب الشيوخ إجراءات تستهدف قمع حركة المعارضة الراديكالية. وبواسطة فصائل القبائل، حطمت متطوعات المقاومة الشعبية في المدن الكبيرة في آذار - أيار (مارس - مايو) ١٩٦٨، إلى أن قمعت المقاومة في الجيش خلال شهر آب. وفي أيلول ١٩٦٨ نفي إلى الجزائر رئيس الأركان السابق الرائد عبد الرقيب عبد الوهاب الذي قاد قوات الإنزال المظلي أثناء حصار صنعاء، كما نفيت معه مجموعة من الضباط. وقد اعتقل زعماء نقابات العمال ومنظمات الشبيبة.

وعاد عبد الرقيب إلى اليمن في كانون الثاني ١٩٦٩ وطالب بإطلاق سراح الشخصيات ذات الاتجاه الراديكالي. وانتهى الخلاف باشتباك مسلح بين القوات الموالية للحكومة والوحدات المؤيدة لعبد الرقيب حيث قتل هذا الأخير. وهكذا انتصر الجناح المعتدل والمحافظ للجمهوريين في هذه المرحلة. إلا أن الوضع في معسكر الملكيين تأزم. ففي حزيران ١٩٦٨ كان الأمير محمد بن حسين المعروف بموقفه المتشدد من النظام الجمهوري قد نحى البدر من كافة مناصبه ولم يترك له غير لقب الزعيم الروحي وسيطر على

قيادة كافة قوات الملكيين. وقد أدى تعزز مواقع غلاة أعداء الجمهورية إلى انقسام في صفوف الملكيين.

وفي أيلول ١٩٦٨، عاد البدر إلى شمال اليمن بعد أن قضى عامين في الطائف، فشكل حكومة جديدة وأعلن عن نفسه قائداً عاماً لقوات الملكيين واستقال الأمير محمد بن حسين. وطرح البدر برنامجاً لسياسة معتدلة تستهدف التساوم مع الجمهوريين. وحظي نهجه بتأييد من الملك فيصل. إلا أن مواقع الملكيين قد ضعفت لدرجة كبيرة، لأن الملك المخلوع فقد تأييد القبائل، واتضح أنه من المستحيل بعث سلطة سلالة حميد الدين. وفي غضون عام ١٩٦٨ أخذ يعود إلى صنعاء من خارج البلاد الجمهوريون المنشقون المتذمرون من سياسة الحكومات السابقة. وبدأ يتقاطر على العاصمة زعماء القبائل الذين انتقلوا إلى جانب الحكومة وانتقل إلى صف الجمهوريين بعض العسكريين والساسة الملكيون. وأدى انتقالهم إلى حلول بعض الاستقرار في الوضع السياسي الداخلي في الجمهورية العربية اليمنية.

وبدأت في ١٦ آذار ١٩٦٩ في صنعاء أعمال البرلمان اليمني الجديد - المجلس الوطني، وهو الهيئة العليا للسلطة ويتكون من ٤٥ عضواً. وقد وزعت مقاعده على النحو التالي: ١٨ لشيوخ القبائل و١٠ لعلماء الدين و٦ للتجار و٥ للعسكريين و٦ لممثلي الشبيبة والمثقفين والموظفين. وقد انتخب شيخ قبائل حاشد عبد الله الأحمر رئيساً للمجلس الوطني. وبما أن أغلبية مقاعد المجلس تعود لشيوخ القبائل ورجال الدين، فقد أصبح سنداً للقوى اليمينية بالأساس. وفي ٢١ آذار شكل المجلس الوطني المجلس الجمهوري الجديد الذي ترأسه الأرياني.

وزاد علماء الدين «والأخوان المسلمون» من نشاطهم في الرعاية الإسلامية بين السكان وفي صفوف الجيش. وشمل ذلك المدارس، وغصت المكتبات بالكتب الإسلامية المطبوعة في لبنان والكويت، إلى أن تدهور الوضع المالي والاقتصادي في الجمهورية. وجند قسم كبير من الفلاحين في قوات الحكومة أو في متطوعات القبائل. وكانت المناطق الشمالية قد دمرتها الحرب الأهلية الطويلة. وفي صيف ١٩٦٩ اجتاح البلاد جفاف لم يسبقه

مثيل، فأودى الجوع بحياة المئات من الناس. وللخروج من الوضع العسير، طلبت حكومة الجمهورية المساعدة من الجمهورية العربية المتحدة وبدأت تجسّ النبض في جمهورية ألمانيا الاتحادية والولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا بغية اعتراف هذه الدول بها وتقديم القروض إليها.

وقامت في كانون الثاني ١٩٧٠ مظاهرات مناوئة للحكومة في صنعاء وتعز والحديدة. ووزعت منشورات تضمنت نقداً لسياسة الأرياني والإقطاعيين المؤيدين له. وناضل الطلبة في سبيل إشاعة الديموقراطية في البرامج الدراسية. وفي ٥ شباط من العام نفسه حلت حكومة محسن العيني محل حكومة عبد الله الكرشمي المستقيلة. ومن جهة ثانية استأنف المتمردون العمليات الحربية بغية تأمين مواقع أمتن لهم في المفاوضات التي كان ينتظر إجراؤها.

وفي ٢٣ آذار عقد جدة مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، وبدأت هناك في الوقت نفسه وبوساطة العربية السعودية المفاوضات بين وفدي الحكومة اليمنية والمهاجرين الملكيين. وتكلم الإمام المخلوع محمد البدر في ذلك اليوم فدعا إلى الصلح بين الجمهوريين والملكيين. وبعد أن أدرك البدر استحالة بعث النظام الملكي في اليمن اضطر لوقف النضال المكشوف وهاجر. وبنتيجة الاتفاق بشأن الصلح وبعث وحدة البلاد، توقفت العمليات الحربية على أراضي الجمهورية العربية اليمنية في أواسط نيسان. وفي ٢٢ منه، منح المجلس الوطني الثقة لحكومة العيني. وعاد الإقطاعيون الملكيون إلى البلاد وبدأوا يستعيدون أراضيهم وأموالهم التي صودرت بعد ثورة ٢٦ أيلول ٦٢ وتوقفت محاكمات الملكيين وألغيت الأحكام الصادرة بحقهم. ودخل في أيار ١٩٧٠ الوزارة اليمنية خمسة وزراء من بين الملكيين العائدين إلى صنعاء، كما دخل المجلس الوطني ١٢ ممثلاً عنهم. وعين بعض الملكيين السابقين محافظين لبعض المناطق الإدارية وفي مناصب مهمة أخرى بدلاً من الجمهوريين اليساريين المفصولين.

وكانت حكومة الجمهورية العربية اليمنية قدمت لدى عقد اتفاقية الصلح تنازلات كبيرة للملكيين، ولكنها حافظت على الأمر الرئيسي ألا وهو النظام

الجمهوري. ووضعت الاتفاقية حداً للحرب التدميرية وفتحت أمام البلاد آفاق الانبعاث الاقتصادي وتطوير الثقافة ورفع مستوى حياة السكان.

وفي ١٥ حزيران ١٩٧٠ توجهت حكومة الجمهورية اليمنية بنداء إلى كافة الحكومات والمنظمات الدولية ترجوها أن تقدم مساعدة غذائية فورية إلى سكان البلاد الذين يتهددهم الموت جوعاً في عدد من المناطق بسبب الجفاف. ولبّت عدة دول والأمم المتحدة هذا النداء، حيث أرسلت إلى اليمنيين الجياع القمح والمواد الغذائية الأخرى.

السياسة الخارجية للجمهورية العربية اليمنية

خلال السنوات الأولى من قيام الجمهورية العربية اليمنية ارتفعت سمعة البلاد بصورة ملحوظة على الصعيد الدولي. وبتأثير الثورة اليمنية ارتقى نضال شعب اليمن الجنوبية ضد السيطرة الاستعمارية البريطانية درجة أعلى. كما أن انتصار الثورة في جنوب اليمن وتأسيس جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية المستقلة في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧ قد ساعدا بدورهما في متابعة تنامي القوى الديموقراطية في الجمهورية العربية اليمنية التي تنتهج سياسة تعزيز العلاقات الودية مع كافة الدول المحبة للسلام، وبالدرجة الأولى مع البلدان العربية. وساهمت هذه الجمهورية مساهمة نشيطة في مؤتمري القاهرة والإسكندرية لرؤساء الدول العربية. وخلال المباحثات لوحظ تحسن في العلاقات مع الأردن التي سرعان ما اعترفت بعد ذلك بالجمهورية العربية اليمنية.

إلا أن حكومة الأرياني الأكثر ميلاً إلى اليمين وجهت أنظارها في عام ٦٩ نحو الغرب، دفعها إلى ذلك الوضع العسير في البلاد، نتيجة الحرب الأهلية وخطر الجوع بسبب الجفاف. وفي ١٥ تموز استؤنفت العلاقات الديبلوماسية مع جمهورية ألمانيا الاتحادية وعقدت عدة اتفاقيات بشأن التعاون الاقتصادي. كما أن تصالح الحكومة اليمنية مع الملكيين والعربية السعودية الذي أدى إلى وقف الحرب الأهلية، فتح الطريق أمام متابعة توسيع العلاقات الخارجية للجمهورية. وفي تموز ١٩٧٠ أقيمت العلاقات الديبلوماسية مع

العربية السعودية وبريطانيا، وفي آب وأيلول مع الهند وإيران وأفغانستان، وفي تشرين الأول أقيمت العلاقات مع فرنسا. وقد عقدت في عام ٧٠ عدة اتفاقيات اقتصادية، مع جمهورية ألمانيا الاتحادية بشأن إنشاء سدود في الجمهورية العربية اليمنية لخزانات المياه وحفر الآبار، وبشأن بناء مطار قرب صنعاء، ومع فرنسا بشأن إنشاء محطة للتلفزيون في صنعاء، ومع لبنان بشأن مساعدة الجمهورية في ميدان السياحة والتعليم، ومع ليبيا بشأن المساعدة في تطوير الزراعة، ومع رصيد التنمية في الكويت بشأن قرض لشركة الأملاح اليمنية بغية زيادة إنتاج الملح.

وفي ٢١ آذار ١٩٦٤ وقعت في موسكو معاهدة الصداقة الجديدة بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية العربية اليمنية. وأكد البيان السوفياتي ـ اليمني المشترك أن «الاتحاد السوفياتي كان أول دولة كبرى اعترفت بالجمهورية العربية اليمنية وأنه قدم لها معونة معنوية ومادية وناضل بحزم في الدفاع عن استقلالها وسيادتها ضد التدخل الأجنبي. وقد تم الاتفاق على أن يقوم الاتحاد السوفياتي مساعدة اقتصادية وفنية لتطوير الزراعة وشق طريق السيارات بين الحديدة وتعز وإنشاء مصنعي الإسمنت وتعليب الأسماك.

كما قدم إلى اليمن مساعدة اقتصادية لتحقيق هذه الإنشاءات والتي تجلت في القرض الطويل الأمد وبشروط متهاودة. كما وقعت اتفاقية لمتابعة تطوير العلاقات الثقافية بين البلدين.

اليمن الجنوبية

كانت أراضي جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية تشكل حتى أواسط القرن التاسع عشر جزءاً من منطقة اليمن. وحدث انعزالها بنتيجة التوسع الاستعماري لبريطانيا التي احتلت عدن عام ١٨٣٩ ومن ثم فرضت معاهدات الحماية على الأمراء الصغار لهذه المقاطعات المجاورة. وأحرزت بريطانيا في عام ١٩١٤ اعترافاً شكلياً بمستعمراتها من قبل الامبراطورية العثمانية التي كانت مسيطرة آنذاك على اليمن الشمالية. إلا أن البريطانيين لم يكونوا يتمتعون بالسلطة الفعلية إلا في مستعمرة عدن والمناطق المتاخمة لها. واكتفت الإدارة البريطانية في أغلب المحميات بالاعتراف الشكلي بسيادة بريطانيا من جانب الأمراء المحليين الذين كانت تدفع لهم معونات سنوية لقاء ولائهم لها.

وقد تعرض نظام هذه السيطرة غير المباشرة إلى ضربة جدية نتيجة احتلال القوات التركية لقسم كبير من أراضي اليمن الجنوبية إبان الحرب العالمية الأولى، وخصوصاً نتيجة تأسيس دولة مستقلة في اليمن الشمالية عام ١٩١٨، حيث أعلن ملك اليمن المستقلة الإمام يحيى عن نيته في تحقيق توحيد كافة الأراضي اليمنية. ولكن منهاجه كان يتسم بطابع معادٍ للاستعمار، لذا اكتسب قوة جذب كبيرة لسكان اليمن الجنوبية. حيث بدأت القبائل القاطنة في محميات عدن نضالها النشيط ضد الإدارة البريطانية. وأخذت فصائل الإمام يحيى تقدم لها مساعدة فعالة منذ عام ١٩١٩.

ونتيجة العمليات المشتركة للقبائل المحلية وقوات اليمن المستقلة، تمّ حتى عام ١٩٢٦ تحرير مناطق واسعة في القسم الغربي من المحميات. وأيد كثير من شيوخ القبائل النضال ضد الإنكليز. وكانت قبائل حضرموت الكبرى مستقلة كلياً عن السلاطين والمحميين البريطانيين.

وأخذت السلطات البريطانية بعد انتهاء الحرب تعلق آمالها على تقوية الصلات مع الأمراء المحليين. إلا أن الطرق القديمة للسياسة الاستعمارية لم تعد كافية، الأمر الذي جعل الإدارة البريطانية تعيد النظر في طرق الحكم الاستعماري. فتشكلت في المناطق الغربية للمحميات وحدات عسكرية نظامية خاصة تدعى «قوات محميات عدن» من مجندي القبائل المحلية تحت قيادة الضباط البريطانيين. كما افتتحت في المحميات مراكز القوات المسلحة الامبراطورية. وبالاستناد إلى فصائل المرتزقة البرية وسلاح الجو، بدأت بريطانيا في ١٩٢٨ شن الهجوم على اليمن. فتعرضت المناطق والمدن المنتفضة للقصف الجوي. واندحر اليمنيون واضطرت فصائل الإمام يحيى إلى الجلاء عن المناطق المحررة نتيجة لعمليات التنكيل في ١٩٢٨ و١٩٣٤، فضلاً عن عدم تعادل قوى الجانبين عسكرياً مما أثر على مسيرة النضال تأثيراً كبيراً.

ووقعت في ١١ شباط ١٩٣٤ بين المملكة اليمنية وبريطانيا معاهدة نصت على أن تحتفظ الأخيرة بالحماية لأجل لا يزيد على ٤٠ عاماً. وكان على الطرفين أن يقررا في هذه الحالة مصير اليمن الجنوبية. وانتهزت بريطانيا المعاهدة، فشرعت بتنفيذ الإجراءات الرامية إلى ترسيخ سلطتها في المحميات. فقد رابطت الوحدات العسكرية الأمبراطورية في أهم مراكز إمارات القسم الغربي من المحميات. وأبدي اهتمام كبير بتعزيز القوات المسلحة التابعة للأمراء. وتحولت مدينة عدن اعتباراً من ١ نيسان ١٩٣٧، إضافة إلى بعض المناطق الأخرى التي تحكمها الإدارة البريطانية بصورة مباشرة إلى مستعمرة تابعة للتاج البريطاني وللحكومة البريطانية، التي بعدما فرضت سيطرتها العسكرية والإدارية على المناطق الغربية من المحميات، شرعت منذ أواسط الثلاثينات إلى تهدئة السلطنات الشرقية. وقام البريطاني انغرامس Engramas الذي عين حاكماً مقيماً في المكلا بتشكيل هجانة مرتزقة بشكل «جيش البادية». وبدعم من فصائل السلاطين المحليين وسلاح الجو البريطاني دمر «جيش البادية» متطوعي القبائل الحرة واضطرها للاعتراف بسلطة السلاطين المتحالفين مع بريطانيا.

وفي ١٩٣٨ وقعت بين بريطانيا وبين سلطان القعيطي في حضرموت أول معاهدة مما يسمى بمعاهدات المستشارين، حيث فرضت سلسلة من هذه المعاهدات على الإمارات الأخرى في جنوب اليمن. وآخر معاهدة من هذا النوع وقعت في عام ١٩٥٢ بعد الحرب العالمية الثانية مع إمارة لحج «العبدلي». واستلم المستشارون البريطانيون طبقاً لهذه المعاهدات السلطة كاملة ولم يتركوا للأمراء غير مسائل الفقه والدين.

اليمن الجنوبية مركزاً للسياسة البريطانية

كانت اليمن الجنوبية إبان الحرب العالمية الثانية في معزل عن العمليات الحربية. غير أن الحرب أظهرت النتائج المحزنة للسيطرة البريطانية. حيث كانت البلاد تعاني من نقص في السلع الصناعية الضرورية. واتضح أيضاً أن الزراعة لا تستطيع تلبية حتى أبسط حاجات السكان. إلى أن تفشى الجوع وخصوصاً في حضرموت، مما أودى بحياة الآلاف من الناس.

وفي غضون ذلك، ازداد دور اليمن الجنوبية باستمرار في السياسة البريطانية. ففي عام ١٩٥٩ افتتح في عدن مقر القوات المسلحة البريطانية في شبه الجزيرة العربية. وفي عام ١٩٦١ استقرت هناك قيادة هذه القوات في الشرق الأوسط. وأصبحت عدن التي كانت تقع فيها القاعدة الجوية للأسطول الجوي البريطاني وقاعدة تموين القوات البحرية، إلى جانب قبرص وسنغافورة واحدة من القواعد الأساسية للقوات المسلحة البريطانية في آسيا. وساهمت الوحدات البريطانية المرابطة في عدن في قمع انتفاضة عمان في ١٩٥٧ - ١٩٥٩ وفي احتلال الكويت عام ١٩٦١. ومارست السلطات الاستعمارية البريطانية بغية تعزيز مواقعها في المحميات، نشاطاً محموماً في بناء طرق السيارات الستراتيجية والمطارات ووسائل الاتصال في اليمن الجنوبية. وأصبحت أراضي هذه المنطقة تستخدم على نطاق واسع لبناء المؤسسات التي تلبي حاجات المواصلات الامبراطورية والدوائر العسكرية البريطانية.

وبعد تأميم مؤسسات البترول البريطانية في إيران، اختيرت عدن مكاناً لإنشاء مصنع هائل لتكرير البترول يسد حاجات القطعات العسكرية في الشرق

الأوسط والمواصلات البحرية من أوروبا إلى آسيا، كما أنشئت قاعدة لزراعة القطن في أراضي المحميات وجرى تصدير منتوجها كلياً إلى بريطانيا. وبدأت الاحتكارات البترولية البريطانية ثم الأميركية بالبحث العميق عن البترول في هذه المناطق.

بداية النضال في سبيل الاستقلال

بعد الحرب تأسست في اليمن الجنوبية المنظمات الاجتماعية السياسية الأولى بشكل نواد ثقافية وتنويرية مثل النادي الشعبي في لحج وحركة الجنوب العربي والحزب الوطني في القعيطي ولجنة العمل من أجل توحيد حضرموت في الكثيري. وكانت هذه المنظمات قد طرحت جميعاً مهمات محدودة ولم تتمتع بنفوذ كبير الأمر الذي جعلها تنتهي بسرعة. كما لعبت دوراً مماثلاً في عدن الجمعية الإسلامية التي تأسست في ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ والجمعية العدنية. وقد طرحت الأولى بصورة رئيسية مهمات دينية تنويرية، بينما تحولت الثانية منذ البداية إلى كتلة توفيقية تبحث عن طرق التواطؤ مع السلطات البريطانية وإمكانيات إجراء الإصلاحات الإدارية والسياسية في عدن مع بقاء السيطرة البريطانية. ولقد فصل زعماء الجمعية العدنية بصورة مفتعلة مسألة مدينة عدن عن قضية المستقبل السياسي للجنوب اليمني كله.

وكانت رابطة أبناء الجنوب العربي التي تأسست في عام ١٩٥٠ أول منظمة سياسية أثرت كثيراً على تطور الفكر الاجتماعي والسياسي وتطور حركة التحرر الوطني. ومنهجها ينص على تأسيس دولة عربية مستقلة في أراضي المستعمرة والمحميات وتحقيق الحريات السياسية ورفع المستوى المادي والثقافي للسكان. وكانت تضم فئات واسعة من أبناء العوائل الإقطاعية الكبيرة إضافة إلى ذوي الميول الديموقراطية الذين شغلوا المراكز القيادية في الرابطة. وكان يدافع عن مصالحهم بالذات رئيس الحزب محمد عال الجفري وأمينه العام شيخان عبد الله الحبشي.

ومن الأحداث الكبرى التي أثرت تأثيراً جدياً على الوضع في الجنوب اليمني بأسره اندلاع الحركة المعادية للاستعمار في سلطنة لحج. فقد

استطاعت الكتل المعارضة فيها بمشاركة عمال ومثقفي عدن أن تحرز نجاحات كبيرة. وفي ١٦ أيار ١٩٥١ أعلن في السلطنة أول دستور في تاريخ شبه الجزيرة العربية. إلا أن النجاحات التي أحرزتها القوى الوطنية لاحقاً قد أحبطت التدخل المباشر للقوات البريطانية. وأزيح السلطان الذي قدم تنازلات للقوى الوطنية ونصب بدلاً منه علي عبد الكريم الذي أخذ يحكم البلاد بمساعدة المستشارين البريطانيين.

واتسمت التغييرات الاجتماعية والاقتصادية الجدية التي حدثت في مدينة عدن بعد الحرب العالمية الثانية بأهمية كبيرة بالنسبة لمصير حركة التحرر الوطني في البلاد. فقد تحولت هذه المدينة من عقار لكبار التجار إلى مركز صناعي كبير فيه طبقة عاملة ذات شأن، وإلى مركز للحياة الثقافية في البلاد. وأخذت الطبقة العاملة وفئة المثقفين تلعبان دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية للمستعمرة. وظهرت أول نقابة عمالية (رابطة عمال الميكانيك) وبلغ عدد النقابات ١٢ نقابة في أواخر عام ١٩٥٥. وتركزت في المدينة القوى الأساسية للتيارات والمنظمات الوطنية التي ظهرت آنذاك.

وأظهرت الأحداث في عدن والمحميات أن الإدارة الاستعمارية والكتل الموالية لبريطانيا في الإمارات عاجزة عن تنفيذ المهمات المطروحة عليها. وطرح المستعمرون في عام ١٩٥٤ خطة رص صفوف في سلطنات اليمن الجنوبية عن طريق تأسيس اتحاد فيدرالي حكومي لإمارات الجنوب العربي تحت إشراف المستعمرين. وقد واجهت هذه الخطط شجباً حازماً من قبل الرأي العام في جميع البلدان العربية. واتخذت اليمن المستقلة موقفاً سلبياً جداً إزاء مشروع تأسيس الاتحاد الذي اعتبرته خرقاً لمعاهدة ١٩٣٤ الأنكلو ـ يمنية. ولم يبد أغلب السلاطين حماساً في تقبل هذا المشروع، حيث كانوا يخشون هضم امتيازاتهم لمصلحة سلطات الاتحاد. إلا أن البريطانيين استطاعوا بلوغ هدفهم بالمساحات الطويلة الأمد والضغط المباشر. وفي عام ١٩٥٨ استدعي إلى لندن سلطان لحج علي عبد الكريم واقترح عليه، وبلهجة إنذار، أن يوافق على انضمام لحج إلى الاتحاد المرتقب. إلا أن عبد الكريم الذي لم يحصل من المشروع على الامتيازات المنتظرة رفض الخضوع

وعارض الاتحاد على رؤوس الأشهاد. ورداً على ذلك دخلت القوات البريطانية السلطنة، وأزيح علي عبد الكريم ونصب سلطان آخر بدلاً عنه.

وفي ١١ شباط ١٩٥٩ وقعت ست سلطنات في المحمية الغربية (من بين ٣٠ إمارة في المحميّتين) على بيان تأسيس اتحاد إمارات الجنوب العربي. وانضمت لحج في العام نفسه إلى الاتحاد الذي صار في أيلول ١٩٦٢ يضم ١١ إمارة.

وفي ٤ نيسان جرى تعديل اسم الاتحاد الذي أصبح «اتحاد الجنوب العربي». إلا أن جوهر الاتحاد الحكومي الجديد لم يتغير بتعديل الاسم. فقد حصلت بريطانيا حسب المعاهدة على حق توجيه العلاقات الخارجية والدفاع في الاتحاد، كما احتفظت بالحماية على اتحاد الجنوب العربي عموماً. وعين المستشارون البريطانيون في الهيئات الحكومية للاتحاد، وظلت معاهدات بريطانيا واتفاقياتها السابقة مع أعضاء الاتحاد سارية المفعول. وبناء على طلبها، التزم الاتحاد بأن يضع تحت تصرفها الوحدات العسكرية اللازمة ويسمح بمرابطة القوات البريطانية في أراضيه.

والتزمت بريطانيا من جانبها بتخصيص المبالغ اللازمة لجيش الاتحاد وتقديم المساعدة الاقتصادية والمالية للاتحاد. وظل «المجلس الاتحادي» و«المجلس الأعلى» اللذان يضمان الأمراء أو ممثليهم محرومين من الحقوق كلياً.

واتخذت في مستعمرة عدن أيضاً إجراءات تستهدف جعل السيطرة الاستعمارية أكثر مرونة وفعالية. فقد تغيرت مراراً (في أعوام ١٩٥٥ و١٩٥٨ و١٩٦١) الأحكام الخاصة بقوام وصلاحيات المجلس التشريعي للمستعمرة الذي تأسس في ١٩٤٧. وبعد أن لجأت السلطات البريطانية إلى الضغط المباشر حققت توقيع اتفاقية ١٦ آب ١٩٦٢ بشأن انضمام عدن إلى اتحاد الجنوب العربي مع بقائها كالسابق مستعمرة تابعة للتاج البريطاني. وكان البريطانيون يستهدفون من وراء هذه الخطوة إذابة سكان المستعمرة النشطاء سياسياً في سواد الإمارات الإقطاعية. ولم تخدع مناورات المستعمرين الجماهير الشعبية، حيث تلاحقت الانتفاضات المسلحة في المناطق الداخلية.

وجرى في مدينة عدن نحو ٢٠٠ إضراب عمالي في عامي ١٩٦١ و١٩٦٢ وحدهما.

وفي أواخر عام ١٩٥٥ أدى رفض زعماء الرابطة تأييد مطلب الكتل الوطنية في مقاطعة انتخابات المجلس التشريعي في عدن إلى خروج قسم من أعضائها من الرابطة وشكلوا حزب الجبهة الوطنية الموحدة الذي ضم الكتل اليسارية المنفصلة عن الرابطة.

ومن أدلة ارتفاع مستوى حركة التحرر الوطني تأسيس حزب الاتحاد الديموقراطي الشعبي في عدن عام ١٩٦١. وكانت المنظمة الموحدة للشباب اليمنيين على اتصال بهذا الحزب الذي ناضل بحزم في سبيل الاستقلال التام وإعادة البناء الديموقراطي وتأسيس يمن موحدة ديموقراطية مستقلة. وكان نفوذ الأحزاب الوطنية محصوراً في مدينة عدن. وقد منيت بالإخفاق محاولات تشكيل جبهة وطنية موحدة في أعوام ١٩٥٦ و١٩٥٨ و١٩٦٠ و١٩٦١. وألحق ضرراً كبيراً بالحركة الوطنية نشاط الأحزاب المتعاونة مع العدو، ومن أبرزها الحزب الوطني الموحد التي تزعمه الرئيس السابق للجمعية العدنية حسن البيومي.

واعتبرت القوى الوطنية في اليمن الجنوبية الثورة اليمنية في ٢٦ أيلول ١٩٦٢ وإعلان الجمهورية العربية اليمنية حدثين بشّرا بانهيار النظام الاستعماري في اليمن الشمالية. وكان قد أيد الثورة اليمنية مؤتمر نقابات عدن والحزب الشعبي الاشتراكي والاتحاد الديموقراطي الشعبي وغيرها من المنظمات الوطنية. كما عمل في الأجهزة الحكومية في الجمهورية العربية اليمنية كثير من أبناء اليمن الجنوبية. وقدم كبار الإقطاعيين في اليمن الجنوبية المساعدة الشاملة للملكيين اليمنيين. وتسلم الملكيون عن طريق الإمارات السلاح البريطاني والأغذية والأموال.

وبدأت الإضرابات العامة والانتفاضات في أراضي المستعمرة والمحميتين، حيث أدى خطر انهيار النظام البريطاني إلى جعل كثير من شخصيات اتحاد الجنوب العربي المعروفة بولائها سابقاً للمستعمرين تغير اتجاهها. فقد عارض السيطرة البريطانية والتجأ إلى الجمهورية العربية اليمنية

وأعرب عن الانضمام إلى قوى الحركة الوطنية كل من سلطان الفضلي أحمد بن عبد الله وعامل سلطنة العواذل الأمير صالح بن حسين. وطالب حكام اتحاد الجنوب العربي بإعادة النظر في معاهدة ١٩٥٩. كما طالب كبير وزراء عدن عبد القوي منكاوي في تموز ١٩٦٥ بإلغاء هذه المعاهدة.

وأعلنت السلطات البريطانية عن السلطانين الفارين، ونحّت مكاوي في أيلول ١٩٦٥ واعتقلت مئات من الوطنيين. إلا أن ذلك لم يحقق من حدة النضال. ولم تستطع قيادة الحزب الشعبي الاشتراكي الذي هو أكثر المنظمات السياسية نفوذاً في لحظة قيام الثورة اليمنية، أن تقيم الظروف الجديدة بالشكل الصائب. ولم تتمكن المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية والنداءات إلى الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية من أن ترغم المستعمرين على القيام بتنازلات جوهرية. ولم تبد قيادة الحزب الشعبي الاشتراكي اهتماماً بمسألة توحيد القوى الوطنية في المدينة مع الحركة المناهضة للاستعمار في الريف.

وقد عارضت توجيهات قيادة هذا الحزب بعض الكتل والمنظمات السياسية المتنفذة في جنوب اليمن، وطالبت بطرق جديدة للنضال وبتوحيد الجهود الثورية للقوى الوطنية في المدينة والريف وتشجيع المبادرات الديموقراطية للعمال في النضال ضد الاستعمار. وشكلت هذه الكتل والمنظمات السياسية الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل. وقد طرحت الجبهة مبادئها الإيديولوجية والسياسية والتكتيكية في الميثاق الوطني الذي أقره مؤتمرها الأول (٢٥ حزيران ١٩٦٥) بمثابة منهاج مؤقت لها. وأعلن الميثاق عن الضرورة الملحة لتطوير الكفاح المسلح ضد سلطات الاحتلال وتصفية القاعدة العسكرية البريطانية وكافة أشكال الاضطهاد الاستعماري وتأسيس يمن ديموقراطية موحدة.

وفي ١٤ تشرين الأول ١٩٦٣، جرى في منطقة ردفان الجبلية المتاخمة للجمهورية العربية اليمنية حدث يعتبر بداية الثورة الوطنية في جنوب اليمن بقيادة الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل. ففي ذلك اليوم قُتل قائد فصيل قبيلة ردفان الشيخ راجح بن غالب الذي شارك في المعارك ضد الملكيين اليمنيين، فحاولت دورية بريطانية أن تنزع سلاح الفصيل أثناء عودته

من الجمهورية العربية اليمنية. وكان هذا الحادث دافعاً لانتفاضة جميع قبائل ردفان، التي سرعان ما شملت الحوشب وثنية والعواذل والضالع وبيمان والفضلى وغيرها من المناطق. وكانت هذه الانتفاضة قد قامت منذ البداية تحت قيادة الجبهة القومية، خلافاً للانتفاضات القبلية المسلحة السابقة.

وحاول زعماء حزب الشعب الاشتراكي وقف انتشار نفوذ الجبهة القومية، فشكلوا في أيار ١٩٦٥ منظمة تحرير جنوب اليمن المحتل، وقد شاركت فيها كذلك رابطة الجنوب العربي والسلطانان اللذان التجآ إلى الجمهورية العربية اليمنية، مما أدى إلى ضعف المنظمة. وفي آب من العام نفسه فصلت رابطة الجنوب العربي من عضوية المنظمة. إلا أن زعماءها أحرزوا دعم الجمهورية العربية المتحدة واستطاعوا أن يشكلوا في كانون الثاني ١٩٦٦ الجبهة الوطنية لتحرير جنوب اليمن المحتل التي دخل هيئاتها المركزية بعض زعماء الجبهة القومية، وترأسها زعيم الحزب الشعبي الاشتراكي عبد الله الأصنج وعبد القوي مكاوي.

ورفضت منظمات القاعدة والمنظمة العسكرية للجبهة القومية وكثير من كبار شخصياتها الخضوع لجبهة التحرير الوطنية واحتفظت في الواقع باستقلالها التام. وفي كانون الثاني ١٩٦٦ أعلنت الحكومة البريطانية بأنها ستمنح اتحاد الجنوب العربي الاستقلال وتجلي قواتها في فترة لا تتجاوز كانون الثاني ١٩٦٨.

وفي ١١ كانون الثاني ١٩٦٣، اتخذت الدورة الثامنة عشرة للجمعية العمومية للأمم المتحدة قراراً أكدت فيه حق شعب اليمن الجنوبية في تقرير مصيره بنفسه. واتخذت الدورة العشرون للجمعية العمومية قراراً آخر بهذا الشأن. وقد فشلت محاولات بريطانيا تجاهل هاتين الوثيقتين. وفي ١٣ أيار ١٩٦٦ اعترفت حكومة اتحاد الجنوب العربي بقراري الأمم المتحدة حول اليمن الجنوبية، كما اعترفت بهما الحكومة البريطانية في آب ١٩٦٦. ووصلت في نيسان ٦٧ إلى عدن لجنة من الامم المتحدة اضطرت فيما بعد لمغادرة البلاد نتيجة لمقاطعة سلطات الاتحاد والسلطات الاستعمارية لها. وبيّنت المناورات التي مارستها الإدارة البريطانية وحكومة اتحاد الجنوب

العربي أنهما لا تنويان أصلاً تنفيذ قراري الأمم المتحدة.

وكان الإعلان عن منح الاستقلال لليمن الجنوبية في فترة لا تتجاوز عام ١٩٦٨ يعني أن السلطة ستسلم إلى صنائع بريطانيا من حكام اتحاد الجنوب العربي وسلاطينه. ومع أن بريطانيا تخلت عن فكرة توقيع معاهدة شكلية مع اليمن الجنوبية «المستقلة» بشأن تبادل المساعدة العسكرية، فإنها كانت تنوي تقديم مساعدة فعالة جداً إلى اتحاد الجنوب العربي. حيث وعدت لندن بتقديم معونة مالية في حدود ٥٠ مليون جنيه استرليني والعمل على تعزيز القوات المسلحة. وأقيمت تحت رعاية بريطانيا العلاقات الودية مع العربية السعودية التي خصصت مساعدة مالية كبيرة للاتحاد. وتعزز التعاون بين كبار الإقطاعيين في اليمن الجنوبية وملكيي اليمن الشمالية.

استقلال اليمن الجنوبية

أدت أحداث حرب الأيام الستة (١٩٦٧) إلى المزيد من تأزم الوضع السياسي في البلاد وتدهور سمعة سلطة اتحاد الجنوب العربي والسلاطين واشتداد الميول المناوئة للاستعمار. وبدأت الانتفاضة المسلحة في ٢٠ حزيران ١٩٦٧ في مدينة كريتر العدنية العريقة. وساهمت فيها بنشاط وحدات جيش الاتحاد. ولم تستطع القوات البريطانية أن تحتل الأحياء الثائرة إلا في ٤ تموز، وهو آخر نصر للمحتلين. واعتباراً من تموز ١٩٦٧ أخذت فصائل الجبهة القومية المسلحة تحرر الإمارات الواحدة تلو الأخرى من السيطرة البريطانية. وانخرطت في القتال معهم فصائل الجبهة الوطنية.

وظل اتحاد الجنوب العربي في بداية حزيران ١٩٦٧ بلا حكومة، لأن زعيم الحزب الوطني الموحد حسن البيومي الذي عين لمنصب رئيس الوزراء كان طوال حوالي شهرين يبذل جهوده عبثاً لتأليف الوزارة. وهرب سلاطين الاتحاد وشخصياته البارزة إلى الخارج، وخصوصاً إلى العربية السعودية. وباءت كذلك بالفشل محاولة الحاكم البريطاني لتسليم السلطة إلى قيادة الجيش، حيث رفض قسم كبير من الضباط هذه الخطة ولغاية تشرين الأول ١٩٦٧، أصبحت جميع أراضي اليمن الجنوبية في أيدي الوطنيين.

وأمسكت الجبهة القومية بزمام السلطة في الأغلبية الساحقة في مناطق البلاد، وبقيت عدن وحدها في أيدي المحتلين.

وكانت السلطات البريطانية وأنصارها يأملون في استخدام الأزمة السياسية الحادة التي نجمت عن الاشتباكات المسلحة في عدن وضواحيها بين أنصار الجبهة القومية وأنصار الجبهة الوطنية. إلا أن الأزمة حلت بنتيجة الانتصار التام الذي حققته الجبهة القومية وتدهور مواقع الجبهة الوطنية لدرجة كبيرة. وأصبحت الجبهة الأولى التي حظيت آنذاك بدعم جيش وبوليس الاتحاد القوة السياسية والعسكرية الفعالة الوحيدة في البلاد، الأمر الذي حث المستعمرين على التراجع. ففي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٦٧ غادر أراضي اليمن الجنوبية آخر جندي بريطاني، وفي ٣٠ تشرين الثاني أعلن استقلال جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية.

والخطوات الأولى للجمهورية كانت موجهة نحو تصفية النفوذ السياسي للسند الإقطاعي للاستعمار. فقد صدرت عدة مراسيم عن رئيس الجمهورية بفصل الضباط المعروفين بارتباطاتهم مع الإدارة الاستعمارية وسلطات الاتحاد والسلاطين من الجيش والشرطة وأجهزة الأمن. وتسلم زمام الأمور في القوات المسلحة النشطاء من أعضاء الجبهة القومية ومؤازريها. وبغية تصفية عزلة المناطق الصغيرة قسمت البلاد إلى ست محافظات كبيرة. وحرم بعض رجال العهد المباد من حق السكن على أراضي الجمهورية وقدم البعض الآخر إلى المحكمة الثورية.

وأعلنت حكومة الجمهورية في ميدان السياسة الخارجية أنها مصرة على ضم كافة الأراضي الداخلية ضمن محميتي عدن، بما فيها جزيرة كوريا موريا، والتي سلمتها السلطات البريطانية قبل حصول الاستقلال إلى سلطان مسقط. كما أعلنت الحكومة الجمهورية عن دعمها التام للنظام الجمهوري في اليمن الشمالية. وفي ١٢ كانون الأول ١٩٦٧ انضمت جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية إلى جامعة الدول العربية، وفي ١٤ كانون الأول أصبحت العضو الـ١٢٣ في هيئة الأمم المتحدة.

الوحدة اليمنية

في يوم الثلاثاء ٢٢ أيار ١٩٩٠، أعلنت الجمهورية العربية اليمنية (صنعاء) وجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية (عدن) وحدتهما، وقيام دولة الجمهورية اليمنية، لتحقق بذلك التجربة العربية الثانية في التاريخ العربي الحديث والمعاصر ضمن «الوحدة الاندماجية الشاملة».

وبإعلان الدولة الجديدة، غابت نظرياً آثار التقييم الاستعماري، وسُجّل انتصار حادّ جداً للدولة التي استردت الشعور بالخصوصية. ورغم مواجهتها لبعض المشاكل من إحدى جيرانها، حافظ يمنيّو الشمال والجنوب على التمسك بخيوط الوعي الوطني الذي استنبط من ذاكرة حضارات الجنوب العربي التي تتخللها مراحل طويلة الأمد، فيها السلاطين والأئمة الذين نجحوا في خلالها وتمكّنوا من مدّ سلطانهم إلى مجمل الأراضي التي كان يمكن أن تغدو جمهورية اليمن، ولا سيما أن تفاعل الأهالي في الشمال والجنوب، وخصوصاً توافد الفلاحين بحثاً عن فرص العمل المتاحة في مرفأ عدن، كان قد محى الانفصالات القبلية التي ظلت معالمها في الواقع واضحة في الشمال.

إن وحدة شطري اليمن بدّلت جوهرياً طبيعة شبه الجزيرة السياسية. وتتميز الجمهورية بإسلام مختلف عن الوهّابية الحنبليّة وبتنظيم مكثّف واقتصاد متنوّع لا يشبه الاقتصادات الريعيّة النفطية. وكان الإسلام قد محا الأقليات الدينية المسيحية واليهودية. من هنا ظلّ سكان الجبال الشمالية متمسكين بالزيدية وهي فرع من الشيعة، الموالية منذ أمدٍ بعيد للأئمة الأوصياء بالتعيين لا بالوراثة. أما الجنوب والساحل فينتميان إلى السنّة الشافعية أو الحنفيّة. وليس هناك تعارض بين الشيعة والسنة على الإطلاق.

ومع ١٤ مليون نسمة، يتعيّن على اليمن العيش من زراعة لم تعد بعيدة

بسبب قلة الأمطار من بلوغ حدود طاقتها القصوى. حيث يبلغ عجزُ الميزان الزراعي أكثر من ٦٠٠ مليون دولار. ولا مفرّ من الاستيراد السنوي لمئتي ألف طن حبوب على الأقل لتغطية الاستهلاك المحلي. ويرتكز الإنتاج في الشمال على الذرة البيضاء، وفي الجنوب على الشعير والقمح والقطن. وقد استعاد البن بعد حقبة تراجع أهميته، والقات وهو مكمّل مهم للمزروعات المعيشية. وقد تحقق في السنوات الأخيرة الاكتفاء الذاتي من الفواكه، والخضار، وتقدم تربية المواشي العائلية من ماعز وغنم، وبنسبة أقل من أبقار الحد الأدنى من البروتينات. وما يحدُّ من نموها انعدام المراعي الذي يحثّ المسؤولين على زيادة إنتاج الدواجن والأرانب التي يُحسِّن استهلاكها الأنظمة الغذائية بشكل ملموس.

وكان فشل النظام سابقاً قد جعل المسؤولين يعودون إلى العمل مجدداً بملكية الأراضي الخاصة حتى قبل تجديد وحدة اليمن. وتستمر هذه العملية الرامية إلى التقريب بين الأنماط الاستثمارية شمالاً وجنوباً. ويستطيع اليمن بعدما توحد الاعتماد على طبقة مقاولين نشيطين، في طليعتهم التجار الذين استثمروا أموالهم مجدداً في الصناعة الزراعية ـ الغذائية. حيث هناك مطاحن كبرى في الحديدة، ومعامل بسكويت ومصانع تعليب في تعز وصنعاء، التي بدأت تشكل نسيجاً صناعياً يكمّل منشآت الدولة (معامل نسيج صنعاء ـ مصفاة عدن). لا يزال هذا القطاع مزدهراً ١٠٪ من السكان العاملين و١٥٪ من المنتوج الوطني الخام في الشمال، مقابل ١٨٪ و١٥٪ في الجنوب. إلاّ أنه يستطيع الاعتماد على يد عاملة كادحة معتادة على العمل في البناء وفي حرف ومهن ومتنوعة وبسيطة بشكل خاص. وفي إمكان قانون الاستثمار الذي أقرّ وأعلن في نيسان ١٩٩١ اجتذاب الرساميل الأجنبية لا سيما في فرع عدن.

إن اليمن منتج متواضع للنفط منذ ١٩٨٨ (٢٥٠ ألف برميل يومياً سنة ١٩٩١، أي ٨ ملايين طن) ولديه الأمل بزيادة إنتاجه. لقد رفعت يد الروس (الاتحاد السوفياتي سابقاً) الذين كانوا يسيئون استثمار الحقول الواقعة جنوباً عند الحدود السابقة بين الشطرين اليمنيّين. وانطلقت إلى التنقيب، الشركات الغربية من أميركية وكندية وفرنسية.

ملاحق

ملحق رقم ١

الدستور المؤقت

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب اليمني العريق..

الذي حطم أغلال الظلم والطغيان والاستعباد ودك معاقل وأوكار الرجعية والفساد والاستبداد واستخلص إرادته حرة طليقة غداة النصر العظيم الذي حققه بثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢.

باسم الشعب اليمني الحر..

الذي عقد العزم عى أن يدعم إرادته الحرة بجميع طاقاته الوطنية ليجعل منها السلطة النادرة على تحقيق أهدافه الكبرى في:

أولاً: بناء مجتمع يسوده الأمن والاستقرار والرخاء.. وتظله شريعة الإسلام الحقة خالصة نقية من الزيف والبهتان والضلال الذي ظلت تنفثه في ربوع اليمن على مدى سبعين عاماً طغمة من أولياء الشيطان من أسرة حميد الدين وعملائهم، استطاعت بأساليبها الدنيئة أن تفرق كلمة الأمة وأن تمزقها شيعاً وأحزاباً واستباحة دمائهم..

وبذلك تيسر لهذه الطغمة الباقية أن تفرض على الشعب اليمني عهوداً من الظلم والظلام وأن تضرب عليه ستاراً كثيفاً من الجهل والفقر والمرض..

ثانياً: بناء مجتمع تسوده الأخوة والمحبة والتعاون يكون المواطنون فيه جميعاً سواء لدى القانون متساوين في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو السلالة أو اللغة أو العقيدة أو

المذهب.. امتثالاً لقول الله سبحانه وتعالى ﴿إنما المؤمنون أخوة﴾.. وعملاً بمبادىء الدين القويم الذي استهجن الاعتزاز بالأحساب والأنساب وجعل تقوى الله خير حسب وأشرف نسب.

والتزاماً بقول الرسول الأعظم: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

رابعاً: إقامة جيش وطني قوي يكون درعاً لليمن وللأمة العربية.

خامساً: إقامة حياة نيابية تتحقق بها سيادة الشعب باعتباره مصدر جميع السلطات.

باسم الشعب اليمني العربي..

الذي استقر في ضميره أن الوحدة العربية قد أصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته من واقع وحدة اللغة التي صنعت وحدة الفكر والعقل ومن واقع وحدة التاريخ التي صنعت وحدة الضمير والوجدان ومن واقع وحدة الأمل التي صنعت وحدة المستقبل والمصير..

فغدا يشعر بوجوده جزءاً لا يجزأ من الكيان العربي ويقدر مسؤولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة أمة العربية ومجدها.

باسم الشعب اليمني المجاهد.

الذي أقسم أمام الله والتاريخ أن يخوض بكل قواه معركة الجهاد الأكبر.. معركة بناء وطنه الحبيب.. بناء شامخاً يرتكز على دعائم صلبة متينة من جهاد وكفاح أبنائه متخذاً من أهدافه السامية أعلاماً خفاقة تهديه في انطلاقته الكبرى سواء السبيل ليتم تحقيق الآمال والقيم الخالدة التي كافح الشعب من أجلها قروناً طويلة وسقط من أعز بنيه شهداء أبرار دفاعاً عنها وفداء لها.

حق هذا كله ومن أجل هذا كله..

نرسي باسم الشعب هذه الدعائم والأهداف دستوراً للبلاد ينظم ويصون جهاد الشعب وكفاحه خلال فترة الانتقال..

ونعلن باسم الشعب هذا الدستور..

ونكفل له باسم الشعب الثوة والمهابة والاحترام..

والله ولي التوفيق

رئيس الجمهورية العربية اليمنية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة
ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة
(المشير عبد الله السلال)

الباب الأول: دولة اليمن

مادة ١ ـ اليمن جمهورية عرية مستقلة ذات سيادة..

والشعب اليمني جزء من الأمة العربية..

مادة ٢ ـ الشعب اليمني يحكم نفسه بنفسه وهو مصدر جميع السلطات في الدولة.

مادة ٣ ـ الإسلام دين الدولة الرسمي.. والتشريع فيها يستند إلى مبادىء الشريعة الإسلامية الغراء ولا يتعارض معها.

الباب الثاني: المقومات الأساسية للمجتمع اليمني

مادة ٤ ـ التضامن الاجتماعي أساس للمجتمع اليمني.

مادة ٥ ـ الأسرة أساس المجتمع قوامها الدين والأخلاق والوطنية.

مادة ٦ ـ تكفل الدولة الحرية والأمن والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع اليمنيين.

مادة ٧ ـ ينظم الاقتصاد القومي وفقاً لخطط مرسومة تراعى فيها مبادىء العدالة الاجتماعية وتهدف إلى تنمية الإنتاج ورفع مستوى المعيشة.

مادة ٨ ـ النشاط الاقتصادي الخاص حر على ألا يضر بمصلحة المجتمع أو يخلّ بأمن الناس أو يعتدي على حريتهم أو كرامتهم. وتشجع الدولة

استثمار رؤوس الأموال الخاصة وترعاها وتصونها.

مادة ٩ ـ الملكية الخاصة مصونة.. ولا تنزع الملكية إلا للمنفعة العامة كشق الطرق وبناء المساجد والمستشفيات ودور العلم وذلك مقابل تعويض عادل وفقاً للقانون.

مادة ١٠ ـ للأموال العامة حرمة وحمايتها واجب على كل مواطن.

مادة ١١ ـ العدالة الاجتماعية أساس الضرائب والتكاليف العامة.

مادة ١٢ ـ إنشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو إلغاؤها لا يكون إلا بقانون ولا يعفي أحد من أدائها في غير الأحوال المبينة في القانون.. ولا يجوز تكيف أحد أداء غير ذلك من الضرائب والرسوم إلا في حدود القانون..

مادة ١٣ ـ تشجع الدولة التعاون.. وترعى المنشآت التعاونية بمختلف صورها وينظم القانون الأحكام الخاصة بالجمعيات التعاونية.

مادة ١٤ ـ تعمل الدولة على أن تيسر للمواطنين جميعاً مستوى لائقاً من المعيشة أساسه تهيئة الغذاء والمسكن والخدمات الصحية والثقافية والاجتماعية.

مادة ١٥ ـ الوظائف العامة تكليف للقائمين.

ويستهدف موظفي الدولة في إدائهم أعمال وظائفهم خدمة الشعب.

الباب الثالث: الحقوق والواجبات العامة

مادة ١٦ ـ الجنسية اليمنية يحددها القانون.. ولا يجوز إسقاطها عن يمني ولا الأذن في تغييرها أو سحبها ممن اكتسبها إلا في حدود القانون.

مادة ١٧ ـ اليمنيون لدى القانون سواء.. وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو العقيدة أو المذهب.

مادة ١٨ ـ لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص.. ولا يقضي بالعقاب إلا بعد محاكمة عادلة ينظم إجراءاتها ويكفل حرية الدفاع فيها قانون تتوافق أحكامه مع مبادىء الشريعة الإسلامية الغراء.

مادة ١٩ ـ لا عقاب إلا على الأفعال اللاحقة لصدور القانون الذي ينص عليها.

مادة ٢٠ ـ لا يجوز إبعاد يمني عن الأراضي اليمنية أو منعه من العودة إليها.

مادة ٢١ ـ لا يجوز منح احتكار إلا بقانون وإلى زمن محدود.

مادة ٢٢ ـ تسليم اللاجئين السياسيين محظور.

مادة ٢٣ ـ للمنازل حرمة.. فلا يجوز مراقبتها ولا دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عليها فيه.

مادة ٢٤ ـ الحريات العامة مكفولة في حدود القانون.

مادة ٢٥ ـ المصادرة العامة للأموال محظورة.. ولا تكون عقوبة المصادرة الخاصة إلا بحكم قضائي.

مادة ٢٦ ـ التعليم حق لليمنيين تكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المدارس والمؤسسات الثقافية والتربوية والتوسع فيها تدريجياً.

مادة ٢٧ ـ الرعاية الصحية حق لليمنيين جميعاً تكفله الدولة بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية والتوسع فيها تدريجياً.

مادة ٢٨ ـ الدفاع عن الوطن واجب مقدس.. وأداء الخدمة العسكرية شرف لليمنيين والتجنيد إجباري وفقاً للقانون.

الباب الرابع: نظام الحكم

* الفصل الأول: رئيس الدولة

مادة ٢٩ ـ رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورئيس مجلس الرياسة والقائد الأعلى للقوات المسلحة وهو الذي يمثل الدولة في الداخل والخارج.

مادة ٣٠ ـ لا يجوز لرئيس الجمهورية أثناء رياسته أن يزاول مهنة حرة أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً أو أن يشتري أو أن يستأجر من أموال الدولة أو أن يؤجرها أو يبيعها شيئاً من أمواله أو أن يقايضها عليه.

مادة ٣١ ـ يصدر رئيس الجمهورية القرارات اللازمة لترتيب المصالح العامة ويشرف على إدارتها.

مادة ٣٢ ـ رئيس الجمهورية يبرم المعاهدات وتكون لها قوة القانون بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها وفقاً للأوضاع المقررة.

مادة ٣٣ ـ لرئيس الجمهورية حق إعلان حالة الطوارىء.

مادة ٣٤ ـ يتولى رئيس الجمهورية إصدار المعاهدات والقوانين والقرارات التي يوافق عليها مجلس الرياسة. .

مادة ٣٥ ـ لرئيس الجمهورية أن يعين بناء على موافقة مجلس الرياسة نائباً لرئيس الجمهورية أو أكثر من بين أعضاء المجلس.

مادة ٣٦ ـ يعين رئيس الجمهورية بناء على موافقة مجلس الرياسة كلاً من رئيس المجلس التنفيذي والوزراء ونواب الوزراء ويعفيهم من مناصبهم ويكون تعيينهم بناء عى ترشيح رئيس الجمهورية.

مادة ٣٧ ـ يؤدي أعضاء مجلس الرياسة ورئيس المجلس التنفيذي والوزراء ونواب الوزراء أمام رئيس الجمهورية قبل مباشرة مهام وظائفهم اليمن الآتية:

«أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على النظام الجمهوري وأن أحترم الدستور والقانون وأن أرعى مصالح الشعب رعاية كاملة».

مادة ٣٨ ـ لرئيس الجمهورية أن يدعو لاجتماع يشمل مجلس الرياسة والمجلس التنفيذي لبحث أي مشروعات هامة.

*** الفصل الثاني: مجلس الرياسة**

مادة ٣٩ ـ مجلس الرياسة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة ويمارس اختصاصاته الواردة في هذا الدستور على الوجه المبين به.

مادة ٤٠ ـ يقر مجلس الرئاسة جميع المسائل والموضوعات التي ينص الدستور بالقوانين والقرارات على اختصاص رئيس الجمهورية بها، وذلكْ مع مراعاة الأحكام الواردة في الدستور.

ولمجلس الرياسة أن يعهد إلى المجلس التنفيذي ببعض الاختصاصات المنصوص عليها في هذه القوانين والقرارات.

مادة ٤١ ـ يقر مجلس الرياسة السياسة العامة للدولة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية ويراقب تنفيذها.

مادة ٤٢ ـ لمجلس الرياسة أن يعين لجاناً خاصة للتحقيق والمراقبة وتلتزم جميع أجهزة الدولة التعاون معها في أداء مهمتها.

مادة ٤٣ ـ لمجلس الرياسة بعد موافقة رئيس الجمهورية ـ أن يقرر إعفاء أعضائه أو إضافة أعضاء جدد له.

مادة ٤٤ ـ يتولى رئاسة المجلس ـ عند غياب رئيس الجمهورية ـ نائب رئيس الجمهورية أو أقدم نوابه في حال تعددهم أو من يختاره المجلس لهذا الغرض من بين أعضائه ـ بعد موافقة رئيس الجمهورية.

مادة ٤٥ ـ لا يجوز لأعضاء مجلس الرياسة والوزراء ونواب الوزراء أن يزاولوا أثناء توليهم مناصبهم مهنة حرة أو عملاً تجارياً أو مالياً أو صناعياً أو أن يشتروا أو يستأجروا من أموال الدولة أو أن يؤجروا أو يبيعوا شيئاً من أموالهم أو أن يقايضوا عليه.

* الفصل الثالث: المجلس التنفيذي

مادة ٤٦ ـ المجلس التنفيذي هو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة. ويتكون من رئيس المجلس التنفيذي والوزراء.

مادة ٤٧ ـ المجلس التنفيذي مسؤول أمام مجلس الرياسة.. وعليه أن يقدم له تقارير دورية عن جميع أوجه النشاط المختلفة في أجهزة الحكم.

مادة ٤٨ ـ يتولى المجلس التنفيذي السياسة العامة للدولة وفقاً للقوانين ولما يقرره مجلس الرياسة.. ويمارس كافة الاختصاصات اللازمة لذلك.

مادة ٤٩ ـ يمارس المجلس التنفيذي الاختصاصات الآتية:

أ ـ إصدار القرارات الإدارية والتنفيذية وفقاً للقوانين والقرارات ويراقب تنفيذها.

ب ـ إعداد مشروعات القوانين والقرارات لعرضها على مجلس الرياسة.

جـ ـ إعداد مشروع الميزانية العامة للدولة.

د ـ إعداد مشروعات التنمية الاقتصادية واتخاذ التدابير اللازمة لمباشرة تنفيذها.

هـ ـ عقد القروض ومنحها في حدود السياسة العامة المقررة وبموافقة مجلس الرياسة.

مادة ٥٠ ـ يراقب المجلس التنفيذي أعمال الوزارات والمصالح والهيئات ويقوم بتنسيقها وتوجيهها بما يحقق أهداف الدولة وله أن يلغي أو يعدل قراراتها غير الملائمة على الوجه المبين بالقانون.

الباب الخامس: القضاء

مادة ٥١ ـ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون.. ولا يجوز ولاية سلطة التدخل في القضايا أو شؤون العدالة.

مادة ٥٢ ـ القضاة غير قابلين للعزل وذلك على الوجه المبين بالقانون.

مادة ٥٣ ـ يرتب القانون جهات القضاء ويعين اختصاصاتها.

مادة ٥٤ ـ جلسات المحاكم علنية إلا إذا قررت المحكمة جعلها سرية مراعاة للنظام العام أو الآداب.

مادة ٥٥ ـ تصدر الأحكام وتنفذ باسم الشعب.

الباب السادس: أحكام عامة

مادة ٥٦ ـ مدينة صنعاء عاصمة الجمهورية العربية اليمنية.

مادة ٥٧ ـ يبين القانون العلم الوطني والأحكام الخاصة به.. كما يبين القانون شعار الدولة والأحكام الخاصة به.

مادة ٥٨ ـ لا تسري أحكام القانون إلا على ما يقع من تاريخ العمل بها. ولا يترتب عليها أثر فيما وقع قبلها.. ومع ذلك يجوز في غير المواد الجنائية النص في القانون على خلاف ذلك.

مادة ٥٩ ـ يبين القانون كيفية نشر القوانين ومواعيد العمل بها.

مادة ٦٠ ـ يعمل بهذا الدستور المؤقت إلى حين إعلان موافقة الشعب على الدستور النهائي للجمهورية العربية اليمنية.

رئيس الجمهورية

ورئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة

(عبد الله السلال)

محلق رقم ٢

البيان العربي اليمني المشترك

١٧ يونيو/ حزيران ١٩٦٢

بناء على دعوة الرئيس جمال عبد الناصر. . . قام الرئيس عبد الله السلال بزيارة للجمهورية العربية المتحدة في الفترة ما بين السبت أول يونيه حزيران ١٩٦٣ والاثنين العاشر من يونيه حزيران ١٩٦٣.

وجاءت هذه الزيارة في أعقاب النصر العظيم الذي حققته الثورة التحريرية في اليمن إيماناً بوحدة الهدف بين الشعبين الشقيقين وبفضل معارك الفداء والبطولة التي خاضها جيش الجمهورية العربية المتحدة جنباً إلى جنب مع الجيش والشعب اليمني ضد القوى المعتدية التي حشدتها الرجعية المتعاونة مع الاستعمار بالمنطقة للحيلولة دون تحقيق إرادة الأمة العربية في الحرية والعدالة الاجتماعية.

ودارت بين الرئيس عبد الله السلال وجمال عبد الناصر مباحثات رسمية.

وقد استعرض الجانبان خلال هذه المحادثات تطور العلاقات بين البلدين الشقيقين وخاصة بعد أن أكدت معارك النضال المشترك التي خاضها الشعبان معاً عمق الصلات الأخوية بين أبناء الشعب العربي وقدرة الجيوش العربية المؤمنة بدورها الطليعي على انتزاع الحق العربي وتحقيق النصر الباهر في مواجهة جميع التحديات.

والقوى المتحالفة المعتدية والمتربصة بآمال الأمة العربية، عبر الرئيسان عن ارتياحهما الكامل لما حققته الثورة العربية في اليمن من تحول رائع في

معركة المصير التي تدور على الأرض العربية بين القوى التحررية والفلول الرجعية والاستعمارية والانتهازية.

ويعبر الرئيسان عن اعتقادهما في التعاون الكامل بين البلدين الشقيقين لا يمكن أن يقف عند إحراز النصر العسكري على حدود اليمن بل إن معارك البناء والتطور وتحقيق العدالة الاجتماعية لتتطلب مزيداً من التعاون الخلاق حتى يشمل جميع الميادين الاقتصادية والفنية والمجالات الثقافية والزراعية والنواحي الاجتماعية والسياسية إلى جانب التعاون العسكري.

ويؤكد الرئيسان أن تبادل الزيارات بين أبناء الشعب العربي على جميع مستوياته لما يعمق من الصلات الأخوية والتعاون الكامل في مختلف المجالات ويكشف عن الآفاق الجديدة للعمل المشترك.

كذلك فقد تناولت محادثات الرئيسين تطور الأوضاع في المنطقة العربية نتيجة للانتصارات التي حققها نضال الشعب العربي في كل من الجزائر واليمن والعراق وسوريا ضد الاستعمار والاستبداد والرجعية وعناصر الانفصال والمرتدين والانتهازيين.

وقد أشاد الجانب اليمني بميثاق القاهرة التاريخي الذي وقعه في السابع عشر من شهر نيسان ١٩٦٣ ممثلو الشعب والجيش والقيادات الثورية في كل من العراق وسوريا والجمهورية العربية المتحدة لإقامة دولة عربية اتحادية تضم الأقطار الشقيقة الثلاثة تعبيراً عن إرادة الشعب العربي وأمانيه وسعياً إلى تحقيق الوحدة العربية.

وعبر الوفد اليمني باسم الشعب العربي في اليمن عن التأييد المطلق لكل ما تضمنه الميثاق في نصه وروحه.

وأبدى الجانب اليمني في هذه المناسبة وهو الممثل للشعب والجيش والقيادات الثورية في اليمن الرغبة الاجتماعية لأبناء الجمهورية العربية اليمنية في الانضمام إلى ميثاق القاهرة.

فعبر الجانب العربي عن ترحيبه وموافقته على هذا الطلب الذي يعبر عن الرغبة في تحقيق الوحدة الشاملة أمل الأمة العربية...

كما عبر عن تأييده الدائم ومساندته للإرادة الحرة للشعب اليمني ولغيره من الشعوب العربية.

ويعلن الرئيسان إصرار الشعبين الشقيقين على العمل المشترك وبذل كل الجهود والمساعدات الأدبية والمادية للقضاء على بقايا الاستعمار في المنطقة وتحرير أجزاء الوطن العربي التي ما زالت تحت حكم الاستعمار.

كما تساند الدولتان بجميع إمكانياتهما الحقوق المشروعة للشعب العربي في عمان والجنوب اليمني المحتل.

كما تساند جميع المخططات الاستعمارية في هذه المنطقة من الوطن العربي. كما يؤكدان حق الشعب اليمني شماله المتحرر وجنوبه المحتل في الحرية والوحدة.

كما يؤكد الرئيسان عزمهما على مواصلة العمل لمحاربة الرجعية المتآمرة مع الاستعمار في المنطقة حتى يتمّ تطهير الأرض العربية من جميع العوائق التي فرضت على الشعب العربي طوال العهود الغابرة وحتى يتدعم حق الإنسان العربي في حياة اجتماعية أفضل تمشياً مع شريعة الله في الأرض وأحقاقاً لشريعة العدل بين الناس.

ويعبر الرئيسان عن آراء شعبيهما للمسؤوليات الملقاة عليهما خلال هذه الفترة الحاسمة من التطور الثوري التي يجب أن يتحول المجتمع العربي فيها مما كان إلى ما ينبغي أن يكون. . . ويؤمن الشعبان بمسؤوليتهما تجاه النصر العظيم الذي حققه النضال التحرري بالبذل والفداء والي هو وديعة غالية تحرص الأمة العربية كلها عليها وتدافع عنه بكل ما تملك تحت كل الظروف والتحديات.

كما يؤمن الشعبان الشقيقان إيماناً راسخاً بحاجة الشعوب وهي تبني نفسها إلى السلام العادل وفي الوقت نفسه فإن الرئيسين يعلنان باسم الشعبين في الجمهورية العربية المتحدة وفي الجمهورية العربية اليمنية أن السلام الذي يمكن أن يكون على الأرض سلام خيره هو السلام العربي في نواياه وفي أهدافه وإرادته ولن تستطيع قوة مهما بلغت أن تفرض على الأرض العربية سلام الأمر الواقع.

وبهذا الإيمان والتصميم فإن الرئيسين يؤكدان من جديد باسم الشعبين الشقيقين أن الأرض العربية لن تشهد سلاماً حقيقياً قبل أن تحرر الثورة العربية أرض فلسطين العربية وتعيد الحق المسلوب إلى أصحابه الشرعيين في فلسطين وقد انتهك العدوان الاستعماري الصهيوني حرية أرض عربية وأعطاها قسراً وبالخديعة وبالتآمر مع الرجعية الخائنة إلى الفئات الدخيلة على الأمة العربية.

وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر خلال هذه المحادثات ما تم تحقيقه في مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الأفريقية الذي عقد بأديس أبابا وما أحرزه ذلك المؤتمر التاريخي من نصر حينما أجمعت الإرادة الأفريقية على ميثاق للوحدة الإفريقية والتقت على طريق الحرية والتطور للأمم الأفريقية وتعهدت بالعمل معاً للقضاء على بقايا الاستعمار في هذه القارة ومواجهة بقايا التخلف...

ويعبر الرئيسان عن إيمان شعبيهما بأن معارك النضال التي تخوضها جميع الشعوب المتطلعة إلى الحرية والنصر في أي جزء من أجزاء العالم ضد القوى الاستعمارية والنفوذ الصهيوني والتحكم الأجنبي إنما هو معارك متصلة الحلقات ذات هدف واحد وإن تعددت ساحات النضال التي تدور من فوقها معارك الحرية ضد الاستعمار بأشكاله وأقنعته العديدة وأن قضية الحرية في أي مكان هي تدعيم وامتداد انتصارات الشعب العربي وهزيمة للاستعمار والقوى المعادية لإرادة الشعوب في الحرية والتطور.

ولقد عبر الجانبان عن تمسك شعبيهما بسياسة عدم الانحياز وينددان بمحاولات جر الشعب العربي إلى مناطق النفوذ الأجنبية وإقامة القواعد العدوانية التي تحتمي من خلفها بعض حكومات الرجعية واهمة إن التطور الحتمي للتاريخ سوف يتوقف وأن الزحف التحرري العربي قد لا يحلق بها.

ويعلن الوفد اليمني أن الثورة التحررية في اليمن قد أزالت منذ اليوم الأول لقيامها الأسوار التي فرضتها العهود البالية وحكم الاستبداد لعزل الشعب اليمني عن التطور العالمي ويقرر الوفد اليمني باسم الشعب في الجمهورية العربية اليمنية أنه يشارك أشقاءه من الشعوب العربية ويحمل في

ثقة مسؤولياته في المجال العالمي... ويتعاون مع جميع الدول على أساس من المساواة والاحترام المتبادل ويقوم بدوره الفعال الجدير به على مسرح الأحداث التي يعيشها المجتمع البشري.

وقد أكد الرئيسان ضرورة تنسيق التعاون بين حكومتي الدولتين الشقيقتين في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية مما يؤكد الفائدة المتبادلة للشعبين ويحقق القوة الإيجابية التي تعمل لخدمة أهداف الأمة العربية ولإقرار السلام العالمي العادل بين جميع الدول.

كما اتفق الجانبان على وجوب استمرار التشاور وتبادل الرأي حول جميع المسائل التي تهم البلدين الشقيقين والعالم العربي خاصة والمشاكل العالمية بوجه عام لاستمرار التفاهم المشترك والوصول إلى الهدف الواحد الذي يتطلع إليه الشعبان الشقيقان.

وقد دارت المحادثات العربية اليمنية في جو من الأخاء والمودة، وكانت وجهات النظر متلاقية في جميع المسائل التي تناولتها المحادثات. ولقد عبرت بصدق عن مدى العلاقات الوطيدة التي تربط بين الشعبين كما عبرت عن التفاهم الكامل الذي تتسم به روح القادة والمسؤولين في الدولتين الشقيقتين. وكانت هذه الزيارة فرصة استطاع خلالها الشعب العربي في الجمهورية العربية المتحدة أن يبدي شعوره العميق نحو قائد الثورة العربية اليمنية الظافرة وصحبه من القادة والزعماء اليمنيين، كما أتيحت الفرصة خلال هذه الزيارة لكي يطلع الوفد اليمني على مدى التطور الذي حققته وتحققه الجمهورية العربية المتحدة في جميع المجالات.

ولقد قدم الرئيس عبد الله السلال الدعوة إلى الرئيس جمال عبد الناصر لزيارة الجمهورية العربية اليمنية، فقبل سيادته الدعوة شاكراً.

ملحق رقم (٣)

حلف جدة الثلاثي

النص الكامل للاتفاق العسكري الثلاثي بين مصر والمملكة العربية السعودية واليمن

إن حكومات جمهورية مصر والمملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية توطيداً لميثاق جامعة الدول العربية وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادىء ورغبة منها في زيادة وتقوية وتوثيق التعاون العسكري حرصاً على استقلال بلادها ومحافظة على سلامتها وإيماناً منها بأن إقامة نظام أم مشترك فيما بينهما يعتبر عاملاً رئيسياً في تأمين سلامة واستقلال كل منها وتحقيقاً لأمانيها في الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافها بما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية قد اتفقت على عقد اتفاقية لهذه الغاية وأنابت عنها الموقعين الآتية أسماؤهم:

عن حكومة مصر: الرئيس جمال عبد الناصر، وعن حكومة المملكة العربية السعودية حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز، وعن حكومة المملكة المتوكلية اليمنية حضرة صاحب الجلالة الإمام أحمد الموفق بعد تبادل وثائق التفويض التي تخولهم سلطة كاملة والتي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل قد اتفقوا على ما يلي:

المادة الأولى ـ تؤكد الدول المتعاقدة حرصها على دوام الأمن والسلام واستقرارها وعزتها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية.

المادة الثانية ـ تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة

منها أو على قواتها اعتداء عليها. ولذلك وأنه عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانها تلتزم بأن تبادل كل منها إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وبما اتخذ في صدده من تدابير وإجراءات وتتعهد الدول المتعاقدة بألا تعقد أي منها صلحاً منفرداً مع المعتدي أو أي اتفاق معه بدون موافقة الدولتين الأخريين.

المادة الثالثة ـ تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها بناء على طلب إحداها كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر على سلامة أراضي أية واحدة منها أو استقلالها، وفي حالة خطر الحرب الداهم أو قيام حالة مفاجئة يخشى خطرها تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يتقضيها الموقف.

المادة الرابعة ـ أما عند وقوع اعتداء مفاجىء على حدود أو قوات ادول المتعاقدة فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان تقرر الدول الثلاث فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ.

المادة الخامسة ـ تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية قررت الدول المتعاقدة إنشاء الجهاز التالي: مجلس الأمن، ومجلس حربي، قيادة مشتركة.

المادة السادسة ـ

١ ـ يتكوّن المجلس الأعلى من وزراى الخارجية والحربية (الدفاع) للدول المتعاقدة وهو المرجع الرسمي للقائد العام للقيادة المشتركة الذي يتلقى منه الجميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته.

٢ ـ يضع المجلس الأعلى بناء على اقتراح المجلس الحربي تنظيمات القيادة

المشتركة واختصاصاتها ومهماتها، وهو المختص بالتعديلات التي تدخل عليها بناء على اقتراح المجلس الحربي، وللمجلس الأعلى حتى تكوين اللجان والمجالس الفرعية أو المؤقتة عند اللزوم.

٣ ـ يختص المجلس الأعلى بالنظر في التوصيات والقرارات التي يصدرها المجلس الحربي مما هو خارج عن اختصاصات رؤساء الأركان.

٤ ـ يصدر المجلس الأعلى اللوائح التي تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربي.

المادة السابعة ـ

١ ـ يتألف المجلس الحربي من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري ورئيس هيئة أركان حرب الجيش السعودي ورئيس هيئة أركان حرب الجيش اليمني، وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهمات الموكولة للقيادة المشتركة.

٢ ـ يصدر المجلس الحربي توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية وعن كل ما يتعلق بها في الدول المتعاقدة.

٣ ـ يدرس المجلس الحربي البرامج الموضوعة من قبل القيادة في تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعة تحت قيادته، كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدول المتعاقدة ويتخذ الإجراءات الكفيلة بتحققها ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره.

٤ ـ لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التي تعرض عليه وينظم المجلس الأعلى هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها.

المادة الثامنة ـ تشمل القيادة المشتركة:

(أ) القائد العام.

(ب) هيئة أركان حرب.

(ج) الوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب وهي ذات صفة دائمة.

١ ـ يتولى القائد العام قيادة القوات التي توضع تحت أمرته وهو المسؤول أمام المجلس الأعلى.

٢ ـ يختص القائد العام بما يلي:

(أ) وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات التي تضعها الدول المتعاقدة تحت إمرته بحيث تصبح قوة موحدة وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربي لتحقيقها ورفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها.

(ب) إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة أي احتمال متوقع من اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدول المتعاقدة أو على قواتها ويعتمد في إعداد هذه الخطط ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات.

(ج) توزيع القوات التي تضعها القوات المتعاقدة تحت إمرته في السلم والحرب وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة.

(د) وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربي لدراستها ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى.

٤ ـ يكون تعيين وتنحية المعاونين الرئيسيين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام، أما باقي هيئة القيادة فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان حرب الجيش المهني.

المادة التاسعة ـ تضع الدول المتعاقدة تحت تصرف القيادة المشتركة في حالة السلم والحرب القوات التي يرى المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام ضرورة وضعها تحت إمرته وذلك بعد موافقة المجس الأعلى.

المادة العاشرة ـ تدفع كل دولة من الدول المتعاقدة الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل في القيادة

المشتركة والمجلس الحربي واللجان الأخرى وفقاً لأنظمتها المالية الخاصة بها.

المادة الحادية عشرة ـ ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال الحقوق والالتزامات المترتة أو التي قد تترتب على كل من الدول المتعاقدة بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة والمسؤوليات الي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولي.

المادة الثانية عشرة ـ مدة هذه الاتفاقية خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى.

وهكذا ولأي دولة من الدول المتعاقدة أن تنسحب منها بعد إيلاغ الدولتين الأخريين كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدة المذكورة سابقاً.

حررت هذه الإتفاقية في جده في ٢١ ابريل ١٩٥٦ ميلادية. وقد وقع عى هذه الاتفاقية من أربع نسخ واحتفظ كل من الأطراف الثلاثة بنسخة وترسل النسخة الرابعة إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية.

عن جمهورية مصر: جمال عبد الناصر حسين.

عن المملكة العربية السعودية: سعود بن عبد العزيز.

عن المملكة المتوكلية اليمنية: أحمد حميد الدين.

القسم الثاني

عمان

هدى برياري

لمحة جغرافية

الموقع والمساحة

تقع سلطنة عُمان إلى الناحية الشرقية من منطقة الخليج العربي، تحدها المملكة العربية السعودية ودول الإمارات العربية المتحدة من الشمال ودولة اليمن من الشمال الغربي.

تبلغ مساحتها ٢١٢٤٥٧ كلم^{٢}، ويتعرج الشاطىء بسلسلة رؤوس وخلجان من أبرزها خليج عُمان في أقصى الشرق وخليج حصيرة في الوسط، وخليج القمر في الطرف الغربي يضاف إليها خلجان موقرة، وخوريا موريا الذي تواجهه سلسلة جزر صغيرة وهي سميت بهذا الاسم من قبل البرتغاليين أثناء احتلالهم للبلاد في القرن السادس عشر، وجزيرة دُوّه.

أما أبرز الرؤوس فهي عند مسقط ورأس الخيران، ثم رأس صور ورأس مطاح ومداركه، وشريثاث، ونوس وراس مرباط في الغرب.

أبرز المرتفعات في الجبل الأخضر والحجرين الشرقي والغربي.

عمان في التاريخ القديم

المستوطنون الأوائل

منذ فجر البشرية والإنسان يدور بحثاً عن مناطق يتوطنها ويسكن فيها، تلبي شروط الإقامة والغذاء.

فكما كل الشعوب القديمة سعت خلف الحيوانات البرية والبحرية بحسب البيئة الجغرافية، كذلك فإنه منذ البداية زخرت شواطىء هذه البلاد الممتدة إلى مسافات طويلة بأنواع عديدة من الأسماك والثمار البحرية مما دفع الإنسان إلى الحضور للاستفادة من وفرة الغذاء، لكنّ ذلك ارتبط بوجود أو عدم وجود هذه الأغذية.

كذلك فوجود الأسماك وأنواعها ومسألة اقترابها من الشاطىء أو عدمه تربط بكافة العوامل الأولى. ونستطيع القول بأن سكن الإنسان في تلك المراحل القديمة من الزمن لم يكن دائماً بل كان لا يلبث أن يتحرك من جديد للتفيش عن مصادر وموارد غذائية أخرى متى أصيبت هذه بالشلل أو الإرباك.

أما تحركهم نحو المناطق الداخلية فكان مرهوناً بوجود الحيوانات البرية الصالحة للغذاء، وتدخل في هذا المجال أنواع الغزلان والجواميس البرية والخنازير البرية وفصائل الأبقار أو الماعز البرية. ومن هنا يجب علينا التوقف عند أمر هام ألا وهو توفر هذه الحيوانات في الجزء المشار إليه من الصحراء وعلى أطراف الساحل. بالإضافة إلى وجود طائر النعام، الذي يجري بسرعة كبيرة لكنه لا يستطيع أن يحلّق، وربما لحسن حظ الإنسان في تلك الأثناء أن تكون الطبيعة ساعدته من حيث لا يدري في عملية التمركز والاستقرار فيما بعد.

العصور الحجرية

إن عصور ما قبل التاريخ لم تترك لنا الشيء الكثير لنستدل بواسطته على أساليب الحياة والأنماط التي كانت متبعة في العيش، وكل ما نعلمه يتأتى عن طريق بعض الأدوات والأسلحة التي استعملها الإنسان.

هذه الأدوات المصنوعة من الحجارة الصوانية الصلبة والنحاسية هي الدليل الوحيد الذي يقودنا إلى معرفة أسرار وحكايات الإنسان الأول في تلك الأصقاع، وهي بالإجمال كانت حادة الرؤوس أو مسننة الجوانب حتى تستطيع اختراق جلود وفراء الحيوانات المنوي قنصها وصيدها، ويختلف ذلك من حيث نوع هذه الطرائد وكيفية تعرفها إزاء الأخطار التي تداهمها أو تواجهها.

ولقد تم بالفعل اكتشاف أعداد كبيرة من الفؤوس والرماح والمسلاّت الحجرية الصغيرة في مناطق متعددة من عُمان أتاحت لعلماء الآثار تكوين فكرة واضحة عن بعض جوانب الحياة.

ولا شك أن النظام الاجتماعي كان بدائياً يدور حول وحدات من الجماعات التي تعيش على ما تنتجه الطبيعة من حيوان أو نبات في شكله الطبيعي، كما تشير العظام المكسرة بحذق لاستخراج المادة النخاعية التي كان يطمع الإنسان بها.

أما الأحوال الإقليمية والمناخية لهذه الحضارة فقد اتجهت خاصة في هذه البلاد نحو الجفاف بين دورين ممطرين. وتنبىء البقايا الحيوانية عن وجود الغزلان والضباع المرقطة والجمل والخنزير والوعول.

وخلال الفترة الأخيرة من أواسط العصر الحجري القديم طرأ تغير شديد على الأحوال الإقليمية وهطلت أمطار غزيرة. وتقول الدراسات أن فترة الأمطار هذه استمرت لعشرات الآلاف من السنين، لكننا لا نعلم عنها الشيء الكثير بالنسبة لشبه الجزيرة العربية.

وهناك ما يبرهن عن ازدياد الجفاف في أواخر هذه المرحلة من العصر الحجري القديم، وتشير البقايا الأثرية إلى تناوب إقليم المناخ الحار والبارد.

وتمثل البقايا الحيوانية وبالأخص بقايا الغزلان مكانة مهمة. ولا تختلف صناعات هذه المرحلة بشكل رئيسي عما كان سائداً، فالأدوات الحجرية أصبحت بحجم أقل وتشير إلى أن الإنسان استعمل في هذه المرحلة مقابض لأسلحته خشبية أو عظمية وأصبحت قسماً من آلة مركبة تنقسم إلى وحدتين، وهكذا استطاع الإنسان أن يوفر على نفسه مشقة ومخاطر عظيمة وأن يجيد استخدام أدواته هذه لنيل نتائج عملية أفضل من السابق.

أما عن كيفية اكتشاف الإنسان خلال هذه الفترات للنار أو الفحم فإن الصدفة هي التي كفلت تعليمه استعمال النار بعد أن أشارت إليه بوجودها.

فوقوع وسقوط الشهب وبعض النيازك، أو العواصف الرعدية التي تصحبها بروق محملة بالطاقة الكهربائية أعطت دروسها لهذا الإنسان فتعلم الدرس وأفاد منه وباتت الأمور تنساب من واحد إلى الآخر. ويجب ألا يغرب عن البال أن الأشياء لم تحصل دفعة واحدة، بمعنى أن اكتشاف النار لم يعقبه فجأة استعمالها للطهي أو التدفئة أو الإنارة أو إخافة الحيوانات أو إتلاف بعض المواقع الحرجية المتاخمة لسكنه أو التي كانت تعوق حركته.

كل ذلك تدرج به الإنسان عن طريق المصادفة أولاً ثم الملاحظة في المراحل التالية، وخاصة عندما كان يصقل أدواته الصوانية حيث تتولد الشرارات النارية. ومن هنا استطاع أن يولد هذه الطاقة الأولى عن طريق ضرب قطعتين من الصوان ببعضهما البعض، وتحكم بعد ذلك بتوقيت توليد هذه الشرارة ولم يعد محتاجاً إلى الصدفة وكانت هذه بمثابة عود الثقاب وقبل استعمال أو معرفة مادة الكبريت بآلاف من السنين.

لكن كل ذلك أبقى الإنسان منعزلاً في الزمان والمكان عن الإنسان الآخر بحيث إن وسيلة التعاطي وأسلوبه لم يكونا معروفين بعد، وهنا تطرح عدة أسئلة استفهامية تتناول كيفية تعايش الجماعات البرية بعضها مع البعض الآخر. فكيف تم تعاطي الجماعات والأفراد في الحياة اليومية، وهم لا يعرفون لغة معينة أو طريقة للكتابة؟ هل تم ذلك بالإيماء أو بإصدار أصوات معينة؟ لسنا هنا لنقيم بحثاً عن قيام اللغة وتطورها ولكننا نود للقول إن العقل البشري استطاع أن يستنبط هذه الطريقة الفذة واخترق كل الحواجز التي

أوجدتها الطبيعة للاتصال بأخيه الإنسان ومن ثم تطورت العملية وتعممت فراحت كل جماعة بشرية تجد لنفسها أسلوباً خاصاً للتعامل يتماشى ويتأثر بعدة عوامل ومعايير، وقد ساعدت اللغة باعتبارها أداة للاتصال بين البشر على تأسيس التواصل الفكري بين الإنسان والآخر والجماعة لتشكل جماعات أكبر راحت تحتك مع بعضها لتشكل أولى النواة الجماعية على صعيد توجه الإنسان صوب المدنيّة.

إن أقدم آثار لوجود الإنسان في عُمان يعود إلى حدود السنة ٧٦٠٠ق.م امتداداً إلى ٥٠٠٠ق.م. وخلال الألف الرابع انتشر الإنسان الصياد بأدواته عبر السواحل يتغذى من عمليات صيد الأسماك والرخويات التي كانت تعيش عند مجاري الخليج حيث تنمو أشجار القرم الكثيفة وتتيح المناخات المناسبة لحياة الرخويات الداخلة في عناصر الغذاء إلى جانب الأسماك والحيوانات البرية.

وتؤكد عمليات التنقيب والدراسات التي أعقبتها على وجود مدنيات مشابهة لما ساد أراضي الجزيرة العربية الأخرى، حيث دلت اكتشافات الشباك وبقاياها على تواجد الإنسان الذي اتقن استعمال هذه التقنيات.

ومع حلول العصر الحجري الوسيط استطاع الإنسان أن يتعرف إلى الزراعة إلى جانب مهنته الأساسية الأولى، فشكلت الزراعة عامل استقرار رئيسي خفف من تنقله ودفعه إلى التفتيش عن إقامة مسكن له ولعائلته. ورغم ذلك، فإن طبيعة الأراضي الصحراوية كانت تتحكم إلى حد بعيد بنوعية المزروعات التي يمكن لها أن تنمو في ظروف مشابهة.

ويبقى من الراجح أمامنا أن سواحل عُمان عرفت الإنسان الصياد الماهر وصاحب الميل إلى ارتياد وخوض غمار البحر أكثر من ذلك الإنسان الذي يسعى ناحية العمل الزراعي لأن البلاد بجهاتها الثلاث تطل وتتداخل مع البحر.

لكن انطلاقاً من عملية التجمع والاستيطان سيبدأ إنسان العصر الحجري الوسيط بالتكيف مع محيط أكثر ثباتاً، وسيؤدي ذلك إلى تكثيف اتصاله مع

مجموعات بشرية أخرى تتيح المجال أمام بروز حياة عقلية من أثرها نشوء الحياة الدينية والنظرة إلى حياة ثانية بعد الموت، هذه النظرة اللاواعية في داخل كل إنسان والرافضة لقبول النهاية المحتمة التي يأتي بها الموت. وقد دلت عليه آنية الطعام أو الشراب أو الأسلحة والأدوات الخاصة في المواقع المدفنية.

لكن، ما يميز ديانة الشعوب الزراعية عن تلك المعتمدة على الصيد هي أن الأولى تهتم أو اهتمت بعبادة مظاهر الطبيعة المؤثرة على نمو الزراعة كالشمس والقمر والرياح والعواصف والأمطار، بينما الآخرون اعتمدوا عبادة الأرواح لاعتقادهم بقدرتها على التحكم بطرائدهم، قبل أن يتسنى لهم اكتشاف السفن ومخر عباب اليم. مهما يكن من أمر، فإن الصيادين خلال الألف الرابع ق.م. استطاعوا إقامة مستوطنات صغيرة على امتداد السواحل وأنهم استطاعوا معرفة طهي الأطعمة والتدفئة. كما باتت لهم تقاليد محددة في الدفن. وخلال هذا العصر عرفوا استخدام الخزف والفخار الذي صنعوا منه الجرار وبعض الأواني.

يقول المؤرخ فيليب حتي أن اختراع دولاب الخزف قد حصل قبل عام ٤٠٠٠ق.م. ويقول بأن الخزف أسدى بطريق الصدفة خدعة علمية مفيدة لأنه غير قابل للتلف بالرغم من أنه يمكن أن يتحول إلى قطع مكسرة لا حصر لها، وأسلوب صنعه وزخرفته تظهر لنا ذوق العصر وأزياءه.

أما لناحية أسلوب الدفن فيبقى موقع رأس الحمراء هو الأهم في كافة أنحاء شبه الجزيرة العربية ويعود إلى الألف الرابع، وهو يتيح دراسة بعض المراسم المدفنية والجنائزية التي كانت تواكب مواراة الميت في التراب إلى جانب الأطعمة وبعض الأدوات. لكن، بخلاف العادات التي استعملتها ودرجت عليها الشعوب القديمة في الشرق ومصر والتي كانت تودع الأسلحة إلى جانب الطعام، لم يتم العثور لغاية الآن على مدافن تعزز هذا الاعتقاد.

حوالي سنة ٣٦٠٠ق.م. حدثت تغييرات كبرى كان لها الأثر الكبير في تطور الحضارة الإنسانية إبان تلك العهود السحيقة وذلك عائد لاكتشاف المعادن الذي فتح بدوره الباب واسعاً أمام النشاط التجاري أو الصناعي أو

استثمار مناجم وأماكن تواجد هذه المعادن، وأنشأ سلسلة علاقات جديدة مع البلاد التي تمتلك هذه المواد وتلك التي كانت في حاجة إليها.

كان النحاس أول معدن استعمل على الصعيد العام من قبل الإنسان وأخذ يحل محل الحجر، فهو إلى جانب صلابته سهل التشغيل وتدخل هذه المرحلة الانتقالية تحت عنوان العصر الحجري ـ النحاسي.

ولم تمض فترة طويلة حتى كانت الأدوات النحاسية قد أخذت أمكنة الأدوات الحجرية بالكامل إلى أن تجاوزتها نهائياً مع فجر العصور التاريخية.

إن استبدال الحجارة بالنحاس كان بمثابة ثورة طاولت البنى الاقتصادية والاجتماعية في العمق وحتمت إيجاد قواعد جديدة للتعامل مع الآخرين، فهذه المادة باتت تتطلب جهوداً مكثفة لناحية استخراجها أو تصنيعها أو حتى المتاجرة بها وتسويقها. وفتحت آفاقاً جديدة لعمليات التبادل. ويذكر أن السومريين كانوا أكبر الطالبين المستوردين لهذه المادة.

ولم يقتصر التطور على عملية الاستبدال فقط، بل طاول طريقة البناء وطراز العمارة السكنية أو أشكال المدافن التي راجت خلال هذه المرحلة واتخذت أشكال قفران النحل.

وفي نهاية هذا العصر اكتشفت الكتابة، وشاعت الطريقة المسمارية السومرية التي جاءت من بلاد ما بين النهرين، والكتابة الهيروغليفية والديموطيقية من وادي النيل. واصطلح على اعتبار الكتابة بداية جديدة في تاريخ الإنسانية، هي مرحلة التاريخ المدوّن، ووضعت حداً فاصلاً لعصور ما قبل التاريخ والعصور التي تلتها حيث بات أي نشاط إنساني يدوّن على ألواح من الطين أو على أشكال نقوش حجرية أو على أوراق البردي، وسميت هذه العصور المدون تاريخها بالعصور التاريخية.

مع بزوغ فجر التاريخ حدثت تغييرات أساسية في مجالات عديدة، ففي البناء استوحت طريقة العمارة والهندسة ما كان رائجاً في بلاد الرافدين، حيث كان اللبن يشكل المادة الأساسية للبناء.

أما في عمان، فقد أقيمت أبراج من الحجارة. وخلال هذه المراحل

يسجل المؤرخون خروج الهجرات السامية الواسعة نحو الشرق والهلال الخصيب من شبه جزيرة العرب، لكن شعوب عُمان لم تكن لتهتم بهذه الأحداث الكبيرة ربما بسبب انقطاع الروابط مع بقية مناطق الخليج العربي.

غداة العصر البرونزي الوسيط الذي يبتدىء زهاء ٢٥٠٠ق.م. ويستمر حتى حدود العام ٢٠٠ق.م. شهدت منطقة الخليج الشمالية نشاطاً تجارياً مكثفاً تمثل في ارتفاع الطلب على النحاس الذي كان يستخرج من المناطق العمانية ويحمل على ظهور الجمال بقوافل بريّة تعبر نحو السواحل تمهيداً لنقلها بواسطة السفن. وعادت هذه التجارة بفوائد عديدة على سكان هذه البلاد أتاحت لهم تأسيس عدد كبير من التجمعات المزدهرة في بطون الأودية، في حلفين وبات والجزي.

وخلال النصف الثاني للألف الثالث برز اسم سرجون الأول وكان أول شخصية عظيمة في التاريخ السامي، وتقول إحدى النصوص القديمة بأنه غسل أسلحته في البحر. وخلال هذه المرحلة استطاعت الدولة الأكادية أن تأخذ مكان السومريين، وازداد الطلب على النحاس.

واستطاع الأكاديون مد نفوذهم وسيطرتهم إلى عُمان، ولم يقتصر الأمر بعد ذلك على تبادل سلع محددة إنما تعداه إلى علاقات أكثر شمولاً مع بلاد الرافدين اشتملت على مواد مصنعة والفضة والذهب والعاج والأخشاب.

وقد حصلت بعض القلاقل خلال عهد نارام سين، لكن التجارة عادت إلى نشاطها الملحوظ مع أرنامو بحدود ٢١١٢ وحافظت على نمط التبادل الذي يتركز على المعدن مقابل الأقمشة والمصنوعات الفضية.

ونلاحظ ازدياد دور دلمون في هذه العمليات، وقد باتت تشكل حلقة الربط الوثيقة مع مجان وباقي مناطق الخليج والرافدين.

ولم يأفل الألف الثالث إلا وكانت عُمان في مرحلة مهمة من تاريخها وحياتها، فالبحوحة المادية والاقتصادية أتاحت للناس الاستفادة من مظاهر العيش والحياة فانصرفوا يؤسسون المنازل الجميلة والقرى المتجمعة أو المتواجدة قرب مصادر المياه وبجانبها بعض الأراضي التي استفاد منها

السكان في زراعة العديد من الحبوب والخضار وكذلك تدجين المواشي والحيوانات للاستفادة من لحمها وحليبها وجلودها، أو للقيام بأعمال الزراعة والتجارة عن طريق النقل والقوافل.

لكن كل هذا البناء الاقتصادي سوف يأخذ منحى متغايراً انطلاقاً من مطلع الألف الثاني، ففي خلال هذه المرحلة أشرق نجم دلمون في البحرين على الطرف الأقصى للخليج المحاذي لبلاد إيران والرافدين وأصبحت هي سيدة التجارة بلا منازع. في المقابل ستشهد مرتبة عُمان تراجعاً ملحوظاً وسوف يترك هذا الوضع الجديد آثاره على كامل منطقة الخليج، ويزيد من التأثير الثقافي والسياسي للنفوذ البحريني، فبعدما كانت عمليات التجارة تتم بشكل مباشر باتت الآن بحاجة للمرور عبر الجار الشمالي الذي يلعب دور الوسيط.

وخلال السنة ٢٠٠٣ق.م. سقطت أور في أيدي العيلام الآتين من إيران وتراجع الوضع السياسي والثقافي بسبب الغزوات، وبالتالي تم القضاء على عمليات التبادل التجاري بعد احتلال بلاد ما بين النهرين.

السيطرة الأشورية

كانت أشور في بادىء الأمر تخضع للامبراطورية السومرية، ثم ما لبثت أن وقعت تحت نير الأكاديين على أيام سرجون الأول، ولم تعرف استقلالاً ذاتياً إلا على أيام مؤسس امبراطوريتها الأولى شمتي أداد.

والحقيقة أن الانتصارات الساحقة التي أحرزها الملوك الأشوريين حملتهم على الاعتزاز بقدراتهم وقوتهم، وزادتهم رهبة في عيون رعاياهم فأدى ذلك إلى إحاطة الملك بهالة من التقديس والخوف، وإلى تحويل الملكية إلى مؤسسة استبدادية فردية مطلقة، يعتمد فيها الملك على قوته الشخصية وكفاءته القتالية في ساحات الوغى، أكثر مما يعتمد على حقه الإلهي في الحكم أو هبة الرعية له.

يضاف إلى هذه العوامل أن النظام الأشوري كان شديد المركزية، بمعنى أن كل ولاية من ولايات الدولة ترتبط بالملك، وقد قسموا البلاد التي

أخضعوها إلى ستين ولاية جعلوها صغيرة، لكي لا تثور عليهم، وأقاموا على رأس كل منها حاكم أشوري أو أحد أبناء البلاد الموثوقين.

يذكر أن الأشوريين هم أول من استعمل الحديد في صنع الأسلحة، في حين أن أسلحة أعدائهم صنعت في الغالب من النحاس أو البرونز.

وشكل العصر استعمال الحديد ١٢٠٠ق.م تغييرات مهمة على أصعدة مختلفة وعزز ذلك نمو المستعمرات ومراكز الاستيطان في عُمان. كما ظهرت تحسينات جيدة في استخدام أقنية الري وتقنياته. فازدهرت الزراعة، خاصة في الأماكن التي جرّت إليها المياه تحت سطح الأرض، وقد سميت هذه القنوات باسم الأفلاج.

السيطرة الفارسية على إيران

بعد نهاية حكم الكلدانيين سنة ٥٣٨ق.م على أيدي الفرس ستخضع المنطقة لمرحلة جديدة من الاحتلال مع الشعب الفارسي المنتمي إلى العرق الهندي الأوروبي، وقد استطاع بناء امبراطورية مترامية الأطراف امتدت من آسيا الصغرى إلى إقليم البنجاب في الهند.

وأصبحت طرق الخليج البحرية دعامة أساسية لاقتصاد هذه الامبراطورية وربطت مناطق الشمالية بالأخرى الجنوبية امتداداً نحو المحيط الهندي.

وعادت حركة التبادل إلى سابق عهدها خلال عهد داريوس الأول الذي أراد بناء محطات تجارية على شواطىء الخليج.

وإبان السيطرة اليونانية مع الاسكندر المقدوني ابتداءً من معركة أيسوس سنة ٣٣٣ التي فتحت أبواب الشرق أمام هذا القائد الشاب وأوصلته إلى الهند، ستدخل منطقة الخليج في عهد مرحلة جديدة يوردها الدكتور أسد رستم في كتابه تاريخ اليونان بقوله: «إنه في ربيع السنة ٣٢٣ عاد الاسكندر إلى بابل عاصمة ملكه فاستقبل الوفود الليبية والقورينية والحبشية والقرطاجية واليونانية والكتية والكلتية البلقانية». ويضيف أن «عقل هذا الشاب كان لا يكف عن الاشتغال بألف مسألة ومسألة، فأرسل إلى سواحل بحر قزوين بعثة

لتطوف في أرجائه لأن طرفه الشمالي لا يزال مجهولاً. وأمر ببناء أسطول كبير في مرافىء فينيقية وأتى بالسفن قطعاً إلى بابل ثم وزعها على بعض الفرض لتسيارها. وأنفذ بعثات ثلاثاً إلى سواحل الجزيرة العربية للاستطلاع فلم يصل أنذرستانيس إلى أبعد من جزر البحرين وقل الأمر نفسه عن أرخياس أما هيرون الصولي فإنه نجح فيما يظهر في الوصول إلى خليج السويس بعد أن طاف حول ساحل الجزيرة».

تقول إحدى الروايات بأن انتشار قراصنة البحر، خاصة في البحر الأحمر مهّد للسيطرة الرومانية، التي ورثت الحضارة الهلينية اليونانية على المنطقة. لكن هذه السيطرة أوجدت تبدلاً في مراكز النفوذ والتجارة واستطاعت مصر أن تحصل على دور مركزي بأخذ الدور الذي كانت تلعبه سواحل عُمان والخليج عامة بسبب قيامها بالتبادل المباشر دون أن تعرج على الخليج.

ويقول الدكتور فيليب حتي بأن اللبان المصدر من سوريا يعود أصله بالحقيقة إلى جنوبي الجزيرة العربية حيث كان يؤتى به ويصنع داخل المناطق السورية.

جزيرة العرب

ليست جزيرة العرب وحدها مسكن هذا الشعب، لكن الأكثرية المطلقة منهم أقامت بداخلها فأخذت أسمهم.

تقع إلى الجنوب الغربي من آسيا، بين بادية الشام كحد شمالي وشرقاً الخليج الفارسي وبحر عُمان، ومن الجنوب المحيط الهندي والبحر الأحمر. وهي من جهة الغرب أعلى من الشرق حيث تنحدر، إلا عند عُمان.

تعتبر صحراء الربع الخالي من أكبر الأجزاء، وتتصل ببادية السماوة وهي تمتد شرقاً حتى تصل إلى الخليج الفارسي. وقد قدرت مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وأرضها غالباً مستوية صلبة.

أما في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة فتقع البقعة التي نحن بصددها، عُمان، التي اشتهر ساكنوها منذ القدم بالمهارة في الملاحة، وفي الشمال الغربي من عُمان تقع البحرين.

ذهب بعض الباحثين والعلماء إلى القول بأن العرب تفرعوا من أصل واحد ولكن سكان مناطق الفرات استطاعوا الدخول في الحياة الحضارية واعتماد أساليب جديدة لعيشهم، بينما ظلت الجزيرة وسكانها في ظل الأوضاع البدوية. وسواء أكان ذلك صحيحاً أم لا، فإن العرب تأخروا أول الأمر عن اللحاق بحواضر الشام والنيل وبلاد الرافدين، فعاشوا عيشة قبائل ترتحل من مكان إلى آخر سعياً وراء الغذاء والإقامة، وبحثاً عن توفير مصادر المياه اللازمة للحياة.

أما النسابون فباعتمادهم التوراة كمصدر لمعلوماتهم، يرجعون عرب الشمال إلى نسب إسماعيل بن إبراهيم وعرب الجنوب إلى قحطان.

ووجدت بعض الفوارق بين الشمال والجنوب الذي كان يعيش عيشة متحضرة ومستقرة أكثر من الشمال.

وحصلت بين القسمين هجرات كثيرة وتفرق السكان في أنحاء الجزيرة كلها بسبب ضعف التجارة خلال القرنين الثالث والرابع ق.م. إثر النشاط التجاري الذي قام به الرومان في البحر الأحمر خلال هذين العهدين.

ويحكى كثيراً عن العداوة التي استحكمت بين العدنانيين والقحطانيين، وأن كلاً منهم اتخذ لنفسه شعاراً يخالف الآخر فكان شعار المضريون اللون الأحمر فيما أهل اليمن اتخذوا اللون الأصفر شعاراً لهم.

ويرجع هذا العداء في أعماقه إلى اختلاف الطبيعة الحضرية عن تلك البدوية وكانت روح المغامرة الحربية والعسكرية تزيد الطين بلة. وحكاية الأوس والخزرج من سكان المدينة هي المثال الأبلغ على تأصل هذه العداوة التي وجدت قبل الإسلام واستمرت بعده. وكان بين الفئتين منافسات ومفاخرات. فلما جاء النبي محمد ﷺ وهو عدناني، وكانت الخلافة في قريش رجحت كفة العدنانيين.

ويستمر النسابون فيقولون بأن قحطان هو أبو اليمنيين جميعاً وأنه نسل شعبين، كهلان، وحمير. وقد تفرع من كهلان عدة فروع أهمها:

١ ـ طيء وتسكن جبل شمر منذ ما قبل الإسلام.

٢ ـ همذان ومذحج سكنوا اليمن ومنهم بنو الحارث الذين توطنوا في الجنوب الشرقي للطائف.

٣ ـ قبيلة عاملة التي انتقلت فيما بعد إلى جنوب لبنان وأعطت اسمها لجبل عامل، وجذام الذين سكنوا بلاد الشام وإليها تنتسب لخم التي أسست مملكة الحيرة على مجرى الفرات.

٤ ـ قبيلة الأزد وهي الأقوى وقد حكمت عمان، ومنها تفرع الغساسنة الذين أسسوا مملكتهم في بلاد الشام ومنهم قبيلة خُزاعة.

أما شعب حمير فأهم قبائله:

١ ـ قضاعة في الحجاز الشمالي.

٢ ـ تنوخ التي نزلت في بر الشام.

٣ ـ قبيلة بني كلب في الشام.

٤ ـ عذرة وجهينة في وادي أضمم (الحجاز).

وتم اتصال هذه البلاد بما جاورها خلال هذا العصر عن طريق التجارة حيث شكلت هذه منذ القدم العامل الأساسي في انفتاح الشعوب على بعضها البعض.

كانت الجزيرة العربية على وجه العموم وعُمان بشكل خاص تنقل غلالها إلى ممالك في الشام ومصر وأهمها البخور الذي يكثر في الجنوب ولا سيما ظفهار، وأحياناً باستعمال الطرق والوسائل البحرية لكنها لم تكن دائماً آمنة. ولذلك توجهت أنظار هؤلاء الأقوام إلى الطرق البرية ولكنها كذلك كانت طويلة وغير آمنة في بعض مراحلها ولذلك أحاطوها بشيء من الرعاية والعناية، كأن تخرج القافلة وتسير في قوافل منتظمة وأماكن محددة مع تحديد الفواصل الزمنية ومحطات الاستراحة والتمون أثناء السفر.

أشهر الطرق التي عرفتها الجزيرة طريقان عظيمان بين الشام والمحيط الهندي، أحدهما يسير من حضرموت باتجاه الشمال إلى البحرين على الخليج، من وإلى حور. والآخر ينطلق من حضرموت ويسير بمحاذاة الشاطىء متجنباً الدخول عبر الصحراء وصعوبة الانتقال بداخلها، وهذه الطريق أفادت سكان البلاد بشكل حاسم وفتحت أمامهم أبواب الرزق وحوله بنيت التجمعات المدنية التي جرت عبرها عمليات التبادل والاستثمار.

وكان التجار يخرجون بتجارتهم قوافل كبيرة تبلغ عدة مئات من الإبل أو البعير. ويقوم عرب الحيرة بتعهد حماية قوافل التجارة الفارسية عند مرورها في شبه الجزيرة مقابل مبالغ مالية يدفعها الفرس.

وأما القوافل المنطلقة من الجزيرة نحو بلاد الشام فتوضع في أسواق خاصة حددتها الحكومة الرومانية وحصّلت عليها الضرائب المفروضة على الصادرات.

إن وقوع عُمان داخل الجزيرة العربية جعلها على تخوم حضاري وثقافي مع الفرس من جهة والرومان من الجهة الأخرى. ولقد حاول كلا الفريقين أي الفرس والروم ورثاء روما أن يخضعوا هذه المناطق الحيوية لسيطرتهم ومد نفوذهم نحو سواحل الخليج ومضائقه ومداخله، اتقاء لخطر العرب وما يمكن أن يقوموا به. ولكنهم كانوا يعدلون عن أمرهم بسبب الجيوش الكثيرة التي يتطلبها افتتاح المناطق الصحراوية والأموال اللازمة لتغطية عمل مماثل. وربما أن هذه الأسباب دفعت الفرس إلى إنشاء إمارة الحيرة، والروم إلى تعهد إقامة إمارة للغساسنة من الناحية المقابلة. وكأن الدولتين أرادت كل منهما أن تكون رأس جسر يؤدي بها إلى بسط النفوذ على كامل الجزيرة العربية. فحوالي سنة ٢٤٠ أسس الفرس إمارة الحيرة على نهر الفرات، وكان النظام السائد يقوم على أن يقدّم عرب الحيرة الطاعة لملك فارس، الذي يولي عليهم أميراً منهم ويقومون بالدفاع عن فارس. وتعترف هذه بعدم دفعهم ولاية جزية لقاء أعمالهم. وكان نظام الفرس إذ ذاك نظاماً إقطاعياً، يكاد يستقل كل والٍ بأمر مقاطعته ويستمر والياً عليها مدى حياته. وكان الملك يراعي في اختيار الولاة رغبة المقاطعة. عكس النظام الروماني - البيزنطي الذي كان شديد المركزية. يضاف إلى هذه العوامل أن عرب الحيرة كانوا أكثر استقلالاً، بحيث أن ارتباطهم ببلاد فارس لم يتعدّ المعاهدات المعقودة وبنودها دون أن يتحول ذلك إلى سيطرة فارسية على شؤونهم، أما الأمير المنصّب فكان في الغالب من قبيلة لخم.

وبات عرب الحيرة هؤلاء صلة الوصل بين الفرس وأهل الجزيرة، يحملون إليهم التجارة الفارسية ويشرفون على أمورها داخل أسواقهم وينقلون معهم كذلك مظاهر الحضارة الفارسية.

ويظهر أن هذه الأحوال تطورت أيام المنذر الثالث الذي عاصر الأمبراطور البيزنطي يوستنيان، وعندما شعر هذا الأخير بضعف الفرس تحول عنهم وعقد التحالف مع الرومان.

أما الغساسنة فقد أسسوا في بلاد الشام إمارة مشابهة لإمارة اللخميين في الحيرة، وامتد حكمهم إلى مقاطعتي حوران والبلقاء.

أما أهم ملوك الغسانيين فكان الحارث بن جبلة الذي عين سنة ٥٢٩ أميراً على جميع قبائل العرب في سوريا ومنح لقب بطريق.

لكن ما يهمنا دون شك أن هذه المرحلة من الزمن شهدت نفوذاً فارسياً متزايداً في نواحي الخليج وخاصة عُمان. ويقال بأن الملك الفارسي كسرى أرسل فرقة عسكرية إلى عُمان بحدود سنة ٥٧٥م بواسطة سفن رسا قسم منها في حضرموت.

قبل الإسلام سادت اليهودية أولاً، ومن ثم المسيحية، مناطق الجزيرة العربية. وكانت الديانة اليهودية قد راجت في يثرب حيث يعتبر ياقوت الحموي أن يهود يثرب عرب تهودوا، في حين أن الأصفهاني أبو فرج يعيد ظهور اليهود في الجزيرة إلى هجرتهم بعد دخول الروم أرض الشام.

وأهم المستعمرات اليهودية كانت في تيماء وخيبر ووادي القرى ويثرب. وقد اشتهر هؤلاء القوم بالزراعة والصناعة المعدنية وصناعة الأسلحة. وامتدت اليهودية بعد ذلك نحو جنوبي الجزيرة في اليمن.

والديانة الثانية إلى جانب اليهودية قبل الإسلام كانت المسيحية التي عانت من انقسامات بين أصحاب الطبيعة الواحدة وأصحاب الطبيعتين. وقد وفدت إلى الجزيرة العربية فرقتان تنتميان إلى أصحاب النظرة الأولى وهما النساطرة واليعاقبة. فكانت النسطورية المنسوبة إلى نسطوريوس منتشرة في الحيرة، أما اليعقوبية والتي تنسب إلى يعقوب البرادعي فقد انتشرت في قبيلة غسان وسائر قبائل الشام. وهذه النسطورية هي التي دخلت إلى عُمان.

ويوضح بعض المصادر العلمية أن المسيحية انتشرت بتعاليمها في عُمان وأوجدت فيهم ميلاً إلى الشك وبناء الأديرة. وكان القس والرهبان يقومون بالتجول داخل الأسواق العربية يعظون الناس ويبشرون بالبعث والحساب، والجنة والنار.

هذه الأمور التي ذكرناها، أي التجارة، والإمارات على التخوم واليهودية داخل الجزيرة وانتشار المسيحية شكلت أدوات للتفاعل وانتقال الأفكار والثقافة من الأمم المجاورة إلى العرب. يقول أحمد أمين في «فجر

الإسلام»: «قال الهمداني في كتابه الوشي المرقوم، لم يصل إلى أحد خبر من أخبار العرب والعجم إلا من العرب، وذلك لأن من سكن مكة أحاط بعلم العرب العاربة وأخبار أهل الكتاب، وكانوا يدخلون البلاد للتجارات فيعرفون أخبار الناس، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الأعاجم علم أخبارهم وأيام حمير وسيرها في البلاد، وكذلك من سكن الشام خبر بأخبار الروم وبني إسرائيل واليونان، ومن وقع بالبحرين وعُمان فعنه أتت أخبار السند وفارس، ومن سكن اليمن علم أخبار الأمم».

عصر الدولة الإسلامية

بعد نزول الوحي على رسول الله ﷺ وقيامه بنشر تعاليم القرآن السمحاء، استطاع النبي محمد ﷺ أن يصل إلى واحة تبوك في شمالي الحجاز وفاوض سكان المناطق المجاورة وأمنهم على أرواحهم وممتلكاتهم وأجاز لهم حق الاحتفاظ بها والبقاء على دينهم ومعتقداتهم بشرط أن يدفعوا الجزية خلال مواعيدها. وبعد سنة واحدة من وفاة رسول الله ﷺ انتهت حروب الردة وكانت راية الإسلام قد أصبحت خفاقة فوق أراضي شبه الجزيرة العربية.

وقد دعا الإسلام إلى الطلب من أهل البلاد المفتوحة الدخول في الدعوة، فإن أسلموا كانوا هم وسائر المؤمنين سواء، وإن لم يسلموا دعوهم أن يُسلموا بلادهم للمسلمين يحكمونها، ويبقوا على دينهم إن شاؤوا، ويدفعوا الجزية فإن قبلوا كان لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم».

ويروى أن أول المسلمين في عُمان يدعى مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة بن سعد بن نبهان بن عمر بن الغوث بن طيء.

وبعد سقوط الدولة الأموية تحت السيوف العباسية والدعوة لهذه الخلافة بويع أبو العباس، وكان الخليفة الأموي لا يزال حياً، ولكن العباس انتصر على الأمويين ودخل إلى جميع مدن الشام والعراق والجزيرة العربية حتى بلغ نزوى وبهلا في عمان. وكان الهدف الرئيسي السيطرة على محطات التجارة الرائجة والهامة مع مناطق الشرق الأقصى حيث تحقق له ذلك. ونقل العباسيون عاصمتهم إلى الكوفة، وازداد النفوذ الفارسي أولاً ثم التركي في

جسم الدولة العباسية التي استمرت رغم ذلك بتسلسل الخلفاء حتى سنة ١٢٥٨م مع الهجوم المغولي على بغداد.

ومع انهيار وتفسخ الدولة العباسية قويت الأطراف الأخرى، وكان في طليعتها بنو بويه الذين جعلوا الخليفة العوية في أيديهم. وقد أنكروا على العباسيين حقهم في الخلافة، وبسبب حالة التردي والتفكك استطاعوا الاستئثار بمعظم السلطات.

وخلال هذه المرحلة ظهرت الخلافة الفاطمية الشيعية عندما قام عبد الله بن ميمون بن ريعان، بعد أن أخذ عن أبيه ضروب الحيل، وتعلم جميع أسرار الدعوة وأتقنها، يزرع بذور الفاطمية بنواحي كرخ، وأصفهان والأهواز والبصرة والكوفة وخرسان. وأشار عبد الله المذكور على الدعاة أن لا يظهروا ما في أنفسهم إنما يكتمونه ويظهرون الزهد والتشيع، والطعن على الصحابة ليكون ذلك مدخلاً إلى الدعوة الفاطمية.

وامتدت سلطة هؤلاء الفاطميين زمن المستنصر إلى الشام وفلسطين والحجاز وشمال أفريقيا حتى أذيع اسمهم في كل بلدانها وفيما بعد في اليمن والحجاز والموصل السيطرة السلجوقية.

إن أسباب الصراع السلجوقي ـ العباسي كثيرة لكن أهمها:

أ ـ تعدي السلاجقة على سلطة العباسيين.

ب ـ نعت سلاطين السلاجقة بظل الله.

ج ـ تسمية السلطان السلجوقي نفسه ملكشاه أي أمير المؤمنين.

د ـ استيلاء السلاجقة على بردة النبي.

السلاجقة

السلاجقة قبيلة تركمانية تنتسب إلى سلجوق بن تقاق، توطنوا في بلاد الأفغان خلال عهد الدولة البويهية، وقد نزحوا غرباً نحو العراق الذي ما لبث أن سقط بأيديهم سنة ١٠٧٠م.

وخلال هذا العهد حافظت التجارة على نموها وازدهارها واستمرت عُمان محوراً لتجارة المحيط الهندي وبلاد الخليج الأخرى، وبرزت أهمية مضيق هرمز خلال هذه الآونة. وأشهر المواد المصدرة كانت اللؤلؤ والأملاح وبعض أنواع الحرير. أما البضائع المستوردة فأهمها توابل الشرق الأقصى وبهاراته وأفاويهه التي كانت تستعمل لحفظ اللحوم وتجفيفها، وكذلك الأرز.

من السيطرة البرتغالية إلى الاستقلال

يرتبط تاريخ الاستعمار ارتباطاً عضوياً بتاريخ المصالح الاقتصادية للدول المستعمرة، فهو في أذهان المستعمرين الوسيلة الفضلى لتحقيق المصالح الاقتصادية التي لا تتوفر لها أسباب النجاح الكامل في بلاده. لذلك راح يبحث عن تلك الأسباب والظروف في أوطان الآخرين، وعلى حسابهم.

والاستعمار كنظرية وممارسة كان أمراً خاصاً بشكل دائم بالدول المتقدمة على سواها عسكرياً وتقنياً، منذ مطلع تاريخ أوروبا الحديث بغضّ النظر عن التاريخ القديم.

الاستعمار كظاهرة أوروبية مشتركة

لا يمكن فصل الاستعمار عن التقدم الكبير، الذي شهدته أوروبا خلال ثلاثة قرون (الرابع عشر، والخامس عشر والسادس عشر)، في العلوم الطبيعية، والعلوم الجغرافية والبحرية، وفي التكنولوجيا، خاصة تلك المتعلقة بصناعة السفن الكبيرة حيث تقدمت هذه الصناعة من بناء السفن المسيرة بالمجاذيف إلى الأشرعة الكبيرة والمتعددة، وهذا التقدم تطلب رؤوس أموال كبيرة كما تطلب إنشاء مصارف تعمل على تلبية الحاجات المالية المتزايدة. يضاف إلى ذلك النشاطات التجارية، مثال «Echels de L'Orient».

في كل الأحوال يجب اعتبار الاستعمار بمثابة المحصلة الطبيعية لهذه العوامل المذكورة وفق محطتين أساسيتين تغطي فترات غير متوازية الأجزاء من تاريخه:

١ ـ المحطة الأولى كانت في العام ١٤٣٣ عندما دار البرتغاليون حول رأس الرجاء الصالح في الشمال الغربي من الصحراء الأفريقية، وعادوا إلى

الأمير هنري البحّار بالذهب وببعض من السكان الأصليين الذين بيعوا فيما بعد أرقاء في أوروبا. وتميز استعمار هذه الفترة الأولى والتي من ضمنها دخول البرتغاليين إلى مناطق الخليج العربي وعُمان سنة ١٥٠٦م بكونه تسابقاً محموماً ومحفوفاً بالسرية والتنافس، والمرتكز على القوة العسكرية بين الدول المستعمرة.

٢ ـ المحطة الثانية تبدأ مع تنفيذ مقررات مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م والذي تلته ندوة الأبحاث الاستعمارية سنة ١٨٨٥م.

وهذه المرحلة الثانية شهدت تصاعد أعمال كل من فرنسا وانكلترا وإيطاليا وألمانيا. أما بالنسبة للمرحلة الأولى، فقد جاء إسهام بريطانيا متأخراً بنحو ثمانين سنة عن نشاطات البرتغاليين بعدما وصل كريستوف كولومبس إلى العالم الجديد بخمس سنوات، أي عندما وصل البحار جان كابوت إلى نيوفنلاند ورفع فوقها العلم البريطاني وأعلن ضمها إلى ممتلكات هنري السابع ملك بريطانيا (١٤٨٥م ـ ١٥٠٩م).

وفي عودة إلى مناطق الخليج فقد استطاعت حامية بحرية مزودة بعدد من السفن المسلحة من بلوغ مناطق الخليج سنة ١٥٠٧م خلال شهر أيار واستطاعت النزول في هوقره، وهو خليج يقع بين رأس مدركة ورأس شربثات إلى الجهات الجنوبية من البلاد وحاولوا فيما بعد الدخول إلى جزر خوريا موريا، ومن هنا يعتقد بأنهم أطلقوا عليها هذا الاسم.

وتاريخ البرتغاليين في عُمان يرتبط بسلسلة من المذابح والأعمال الشنيعة التي رافقتها ارتكابات النهب والتعدي على السكان الآمنين من النساء والشيوخ والأولاد.

وحاول البرتغاليون فرض شروط تعجيزية على السكان لا قدرة لهم على احتمالها. وربما هذا ما شجع أعمال المقاومة العُمانية بعد وصول النجدات من الشمال وبسبب موجات الخوف والرعب التي أثارتها أفعال البرتغاليين الذي عززوا قواتهم ودمروا وأحرقوا كل ما وقع في طريقهم.

وامتد زمن السيطرة البرتغالية حتى سنة ١٦٥٠م عندما استطاع أحد

أبطال عُمان وهو سيف بن سلطان اليعربي أن يطردهم.

وبعد سيطرة الأتراك العثمانيين على الشرق اعتباراً من سنة ١٥١٦ أرسل السلطان العثماني عدة حملات باتجاه الأراضي الإسلامية المقدسة.

وجردوا ثلاث حملات بحرية واجهت البرتغاليين ابتداء من سنة ١٥٣٨م حيث استطاعوا إنزال أضرار بالغة بالأسطول البرتغالي، ثم سنة ١٥٥١م و١٥٥٤م. وسنة ١٥٨١م تقدم القائد التركي مير علي باشا بهجوم على مسقط لكنه وقع في الأسر.

ولم يحسم الأمر فيما بعد إلا بطلب الإيرانيين تدخل الأسطول الانكليزي والهولندي الذي خاض معركة بحرية كبرى سنة ١٦٢٥ عند مدخل الخليج الشمالي. وقامت قوات أخرى برية بمهاجمة المواقع البرتغالية لزرع الرعب والفوضى في صفوف الأعداء. واستمرت المناوشات لفترات طويلة امتدت حوالي السنوات العشر لكنها لم تؤدِ إلى نتائج حاسمة وكبيرة، واستمر القتال حتى حدود السنة ١٦٩٧م.

وستشهد المرحلة اللاحقة تصاعد القوة الإيرانية ومحاولتها بكل الوسائل وضع اليد على مداخل الخليج وكسر شوكة الشعب العماني لكن سيكتب الفشل لهذه المحاولات.

وسوف تتداخل المصالح الاستعمارية من جديد لتؤسس لحالة جديدة، تسود الخليج العربي خاصة بعد الوصول البريطاني إلى شبه القارة الهندية بحيث أن إنكلترا كانت تحتاج إلى المنتوجات الشرقية كغيرها من الدول، وكانت بحكم موقعها الجغرافي تدفع أغلى الأثمان لتلك البضائع وخاصة الحرير ومواد الصباغة والأنديغو والكرناس واللايك.

وكانت بريطانيا قد بلغت منذ مطلع القرن الخامس عشر مرحلة متقدمة بالنسبة لصناعة المنسوجات وصب المعادن والزجاج وصناعة الأسماك واللحوم المملحة والفراء والجلود والسجاد. وازداد الإنتاج كثيراً عن الاستهلاك الوطني، فكوّن فائضاً كبيراً تطلب أسواقاً لبيعه.

ووجدت الحكومة الإنكليزية أن لا مناص لها إلا بنشر استعمارها على

شعوب وقارات متعددة، ولعله يبدو غريباً أن القسم الأكبر من ذلك الانتشار لم يتم عن طريق الفتح العسكري أو بواسطة مؤسسات الدولة البريطانية الرسمية بل عن طريق المبادرات الخاصة، ولكن برضى وسماح الحكم المركزي.

وقد أصابت شركة الشرق البريطانية نجاحاً كبيراً في أعمالها نتيجة للامتيازات الخاصة التي حصلت عليها الملكة إليزابيت عام ١٥٨٠م من الباب العالي. لكن الشركة الأهم تجارياً وسياسياً من حيث طول العمر بين سائر الشركات البريطانية والأوروبية تبقى شركة الهند الشرقية، التي تأسست في مطلع العام ١٦٠٠م برأس مال لا يتعدى ٨٠ ألف جنيه والتي انتهت إلى أن تصبح دولة بكل معاني الكلمة حكمت الهند والباكستان حتى يوم ١٥ آب ١٩٤٧م.

إن أبرز الحكام الذين تعاقبوا على سدة الرئاسة في عُمان هم على التوالي ابتداءً من أواخر القرن الثامن عشر:

أ ـ الإمام سعيد بن أحمد (١٧٨٤م ـ ١٧٩٣م):

أهم أعماله:

١ ـ طلب المساعدة الفرنسية لتحرير بعض مناطق مسقط.

٢ ـ القيام بحركة تجارية بين موانىء بلاده وبعض مستعمرات المحيط الهندي.

ب ـ سلطان بن أحمد (١٧٩٣م ـ ١٨٠٤م):

١ ـ محاولة التوفيق بين المصالح البريطانية والفرنسية وانعكاساتها على بلاده في ظل التسابق الاستعماري والحملة الفرنسية على مصر.

٢ ـ مواجهة حالات تفسخ وخروج على السلطة المركزية التي يمثلها.

٣ ـ الصراع مع البحرين الجار القريب.

٤ ـ التهديد الوهابي (راجع قيام المملكة العربية السعودية).

٥ ـ مهاجمة البحرين.

ج ـ السلطان السيد سعيد بن سلطان البوسعيد (١٨٠٤م ـ ١٨٥٦م):

١ ـ حدوث حرب داخلية وصراع على السلطة.

٢ ـ إقامة علاقات وثيقة مع البريطانيين.

د ـ السلطان ثويني بن سعيد (١٨٥٦م ـ ١٨٦٦م):

١ ـ صراع بين الأخوة على السلطة.

٢ ـ التدخل البريطاني للحؤول دون تفاقم عوامل الصراع.

٣ ـ بروز أزمة ركود اقتصادي أرخت بثقلها على الأوضاع الداخلية.

هـ ـ السلطان سالم بن ثويني (١٨٦٦م ـ ١٨٦٨م):

١ ـ لم يستطع البقاء بسبب القلاقل الداخلية.

٢ ـ انحياز البريطانيين إلى جانب السلطان تركي بن سعيد.

و ـ الإمام عزان بن قيس:

١ ـ طرد الوهابيين.

٢ ـ انتصار تركي عليه في صحار.

ز ـ السلطان تركي بن سعيد (١٨٧١م ـ ١٨٨٨):

١ ـ فترة صراع وأزمات حول السلطة.

٢ ـ تلقي المساعدة الإنكليزية.

٣ ـ إنهاء تجارة العبيد (الرق).

ح ـ السلطان فيصل بن تركي (١٨٨٨م ـ ١٩١٣م):

١ ـ همد محاولات السيطرة على عُمان بمساعدة البريطانيين.

٢ ـ التجاذب الفرنسي ـ البريطاني الذي نتج عنه السماح بإعطاء بعض التسهيلات التجارية على سواحل عُمان.

٣ ـ تنفيذ سياسة التنمية والتطوير.

ط ـ السلطان تيمور بن فيصل (١٩١٣ ـ ١٩٣٢م):

١ ـ الهجوم على مسقط خلال العام ١٩١٥م.

٢ ـ القيام بمحاولات جديدة لإثارة المتاعب في وجهه.

ي ـ السلطان سعيد بن تيمور (١٩٣٢م ـ ١٩٧٠م):

١ ـ القضاء على ثورة عام ١٩٥٧ بمساعدة بريطانيا.

٢ ـ اكتشاف النفط.

٣ ـ التنازل عن العرش لمصلحة السلطان قابوس.

منجزات السلطان قابوس

تسلم السلطان قابوس السلطة عام ١٩٧٠ ومنذ ذلك التاريخ قاد ويقود بلاده سعياً للوصول إلى ضفاف الدولة العصرية، انطلاقاً من اهتمامه الدائب بالتنمية والتخطيط والتطور، حتى إذا ألقينا نظرة سريعة على المنجزات التي قام بها والخطوات التي خطتها سلطنة عمان نجد أن هذا الاهتمام من قبل السلطان قابوس بشؤون بلاده التنموية الشاملة تجسد بوضوح في إنشاء مجلس الإعمار في البداية والذي حلت محله بعد ذلك دائرة التنمية والتخطيط، ثم أنشىء مجلس مؤقت للتخطيط، تحول عام ١٩٧٢ إلى مجلس أعلى للتخطيط الإنمائي والاقتصادي.

وفي عام ١٩٧٣ أنشئت هيئة التنمية العامة التي أدمج في أنشطتها مركز التخطيط الاقتصادي والإنمائي، وفي العام نفسه تحولت هذه الهيئة إلى وزارة التنمية. وفي ١٩٧٤ ألغيت وزارة التنمية وأعطيت اختصاصاتها التنفيذية للوزارات الجديدة، التي أنشئت للإشراف على القطاعات التي كانت وزارة التنمية تتولى الإشراف عليها.

أما اختصاصات التخطيط فقد تولاها مجلس التنمية الذي أنشىء بموجب مرسوم سلطاني عام ١٩٧٤.

ونظراً للأهمية الكبرى التي يوليها السلطان قابوس لعملية التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فقد تولى بنفسه رئاسة مجلس التنمية الذي يضم إلى عضويته عدداً من الوزراء ذوي الاختصاص، وتتبع المجلس أمانة فنية تتولى الإعداد الفني لأعماله وتنفيذ قراراته.

وتتلخص أهدافه في مجال التخطيط، في تحديد الأهداف ورسم السياسات العامة للتنمية الاقتصادية ووضع الخطط والإجراءات اللازمة لتحقيق

هذه الأهداف. وتعتمد هذه الخطط من السلطان قابوس.

كما يقوم المجلس بتحديد أولوية مشروعات التنمية المقدمة من الوزارات والدوائر الحكومية وتحديد أولويات الدراسات الاستشارية التي تقدم من الوزارات والدوائر الحكومية والموافق عليها قبل الارتباط بها، ووضع الشروط والقواعد العامة المنظمة للقروض والمساهمات التي يوافق عليها، ضمن ميزانية التنمية السنوية وإصدار تقرير سنوي عن متابعة تنفيذ الخطة.

وقد أصدر المجلس في ٩ شباط ١٩٧٥ مجموعة من القرارات تتعلق بأهداف وسياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في السلطنة، تحددت بموجبها استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي أكدت على أن الثروة النفطية للبلاد حق لكل الأجيال الحاضرة والمقبلة، وأن ضمان مستقبل البلاد الاقتصادي يعتمد على تعدد وتنوع مصادر الدخل القومي، وأن القطاع الخاص هو الركيزة لاقتصاد وطني حر كما أن المواطن العماني المؤهل لممارسة النشاط الاقتصادي والإنتاجي هو هدف التنمية الاجتماعية.

وقد اعتمدت خطط ضمنية نفذت ما بين ١٩٧٦ و١٩٨٠، وكانت أول خطة متوسطة الأجل تنفذ داخل السلطنة.

بناء الاقتصاد العصري

حققت هذه الخطة الأولى التي أشرنا إليها أعلاه عدة أهداف أبرزها:

١ ـ تحقيق معدل نمو إيجابي للقطاعات غير النفطية في الاقتصاد الوطني بلغ ١٩,٧ بالمئة في المتوسط خلال سنوات الخطة الخمس الأولى.

٢ ـ نمو في الأسعار بلغ معدله ٢,٣٪ سنوياً.

٣ ـ ارتفاع مستوى الدخل القومي للبلاد.

٤ ـ التوازن بين الموارد وطرق استخدامها.

٥ ـ انخفاض نسبة الدين العام.

وبلغ حجم إجمالي الاستثمارات المنفذة من قبل الحكومة والقطاع

العام معاً حوالي ١٦٧٠ مليون ريال عماني في الفترة بين ١٩٧٦ و١٩٨٠ مقارنة بـ ٥٥٤ مليون ريال عماني في الفترة ٧١/٧٥.

وجاوزت الاستثمارات المنفذة خلال الخطة الخمسية الأولى ما كان مستهدفاً بنسبة ٢٣,٣٪.

وقد تم تنفيذ عدد كبير من مشروعات البنية الأساسية في مختلف المجالات. فعلى سبيل المثال، بدأ العمل في توسيع قاعدة التدريب المهني باعتباره ركيزة هامة لتنمية الموارد البشرية. كما تم البدء في استغلال الغاز الطبيعي لأول مرة في السلطنة حيث أصبح توليد القوى المحركة في منطقة العاصمة يعتمد كلياً على الغاز الطبيعي اعتباراً من العام ١٩٧٨، بالإضافة إلى تأسيس عدد من المشروعات الإنتاجية المغلة للدخل مثل مطاحن دقيق عمان ومصنعي التمور في نزوى والرستاق. وبدأت الدولة بدعم وتشجيع القطاع الخاص المستغل بالأنشطة الإنتاجية وذلك من خلال إنشاء صندوق لدعم الصيادين وإمدادهم بالقوارب الحديثة ومستلزمات الصيد. كمادد تم إنشاء بنك تنمية للمساهمة في تمويل إنشاء مشروعات القطاع الخاص أو توسيع طاقاتها، وزيادة عدد المدارس بأنواعها وكذلك عدد المستشفيات، وتطوير بنك الإسكان العماني.

وارتفعت إيرادات الحكومة من النفط والإيرادات الأخرى من ٥٠,١ مليون ريال عماني عام ١٩٧١ إلى ٧٥٤,٢ مليون ريال عماني عام ١٩٧٩.

وبالنسبة لقطاع التجارة الخارجية فقد حقق ميزان مدفوعات العمليات الجارية فائضاً من ثلاث سنوات من الخطة، وشهدت الصادرات من السلع العمانية غير النفطية نمواً ملحوظاً كما برز نشاط إعادة التصدير كعنصر هام من عناصر التجارة الخارجية وارتفع حجم الأرصدة الخارجية للدولة. كما ازداد عدد العاملين في القطاع العام مع نهاية الخطة الخمسية الأولى عام ١٩٨٠ إلى ٣٨٣٥٩ مقابل ١٩٠٠٠ موظف في عام ١٩٧٥، أي بزيادة بلغت نسبة ١٠١,٩٪. كما ارتفع عدد العاملين في القطاع الخاص بصفة عامة وازداد عدد العاملين الأجانب في هذا القطاع من ١٦٥ ألف عامل عام ١٩٧٥ إلى حوالي ١٣٠ ألف عامل عام ١٩٨٠ أي بزيادة نسبتها ١٠٠٪.

وسجل عرض العقود معدل نمو بلغ ١٧,٣٪ سنوياً في المتوسط خلال الخطة الخميسة الأولى، كما سجل الائتمان المصرفي معدل نمو بلغ ١٤,٩٪.

وقد أظهرت هذه الخطة تعاون القطاعين العام والخاص في تنفيذ عدة مشروعات، حيث تكفل القطاع الحكومي بتنفيذ ما قيمته ١٢٠٣,٦ مليون ريال في حين نفذ القطاع الخاص ما قيمته ٤٦٦,٦ مليون ريال وذلك بزيادة ١١,١٪ عن الأهداف التي حددتها الخطة.

يذكر أن السنوات الخمس الأولى تميزت باستقرار الوضع المالي، ويعود ذلك إلى ترشيد الإنفاق الحكومي وإدخال العديد من التنظيمات التي أدت إلى تطوير نظام الإدارة المالية للدولة بحيث أصبحت الرقابة المالية أكثر أحكاماً.

كما حددت نمواً سريعاً في حجم الجهاز المصرفي استجابة للتوسع الكبير في النشاط الاقتصادي خلال الخطة الأولى فبلغ عدد البنوك العاملة بخلاف البنك المركزي العماني ٢٢ بنكاً عام ١٩٨٠ مقابل ١٣ في العام ١٩٧٥، اشتملت على ٢٠ بنكاً تجارياً وبنكين متخصصين هما بنك تنمية عمان وبنك الإسكان العماني.

الخطة الخمسية الثانية

أدى نجاح الخطة الخمسية الأولى إلى زيادة طاقة الاقتصاد الوطني من عدة نواح، فقد أدى توازن مالية الدولة بالإضافة إلى الارتفاع المخطط في إنتاج النفط إلى ازدياد قدرة البلاد على مقابلة احتياجات مختلف القطاعات من المصروفات المتكررة وإمكان رصد اعتمادات للتنمية الاقتصادية في الخطة الخمسية الثانية تجاوز ضعف حجم الاعتمادات التي تم رصدها للخطة التي بدأت عام ١٩٨١ وانتهت في العام ١٩٨٥. وتعتبر هذه الخطة استمراراً لخطة التنمية الخمسية الأولى، غير أنها تختلف عنها من حيث الأولويات. فإذا كانت الخطة الأولى ركزت بصورة رئيسية على الهياكل الأساسية كالطرق والموانيء والمطارات، فإن هذه الخطة الثانية كان من أولوياتها توسيع المرافق

والخدمات العامة في المنطقة الجنوبية ومحافظة مندم والمناطق الداخلية، ومساعدة القطاع الخاص على زيادة الاستثمار في القطاع العامة كالزراعة، والتعدين والصناعة وتطوير مصادر المياه.

واستهدفت الخطة إعطاء الأولوية لبرنامج موسع لمد شبكة المرافق والخدمات إلى مختلف أنحاء البلاد مع إعطاء أهمية للمناطق ذات الطبيعة الجغرافية الخاصة مثل منطقة مسندم والمنطقة الجنوبية وداخلية عمان والمناطق النائية. وتشمل هذه المرافق والخدمات، المدارس والمراكز الصحية والطرق والكهرباء، والمياه والخدمات الثقافية والدينية والاجتماعية.

أما أبرز المشروعات التي اشتملت عليها الخطة الخمسية الثانية وتم إنجازها، مشروع مصفاة نفط عمان ومشروع الإسفلت الملحق بمشروع المصفات بغرض إنتاج الإسفلت من المخلفات النفطية، ومجمع صحار لتعدين وصقل النحاس، ومد خط أنابيب الغاز الطبيعي من مريرات إلى صحار بطول ٢٢٧ كليومتراً بهدف توفير الغاز الطبيعي لمشروع تعدين النحاس في صحار والاحتياجات اللازمة لتوليد الكهرباء في صحار والمدن والقرى القريبة منها.

وبالنسبة لقطاع التعليم تم وسيع وإنشاء المدارس بمختلف أنواعها وتم إنشاء جامعة السلطان قابوس للاختصاص العلمي العالي، كما شهد القطاع الصحي زيادة كبيرة في عدد المستشفيات، ومستودعات الأدوية.

وتشير كافة المؤشرات الميدانية والنتائج التي تحققت أهدافها بنجاح إلى أهمية هذه الخطة على الصعيد الوطني.

الخطة الخمسية الثالثة (١٩٨٦ ـ ١٩٩٠) تميزت هذه الفترة بانخفاض حاد في أسعار النفط واضطرت الحكومة إلى البحث عن مصادر تمويل بديلة، ومقدار الاعتماد على النفط كأساس في ظل عدم استقرار الأسعار وحال الركود التي أصابت أسواق النفط وتراجع الطلب.

الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩١ ـ ١٩٩٦).

حاولت سد الطغرات التي برزت خلال تطبيق سابقتها واستفادت من

الأجواء الجديدة التي يمكن أن تعكسها حالة التنمية الاقتصادية الهادفة إلى جعل الشرق الأوسط منطقة للتعاون والسلام بدل من منطق الحروب الرائج. أما الخطة الخمسية التي ابتدأت سنة ١٩٩٧ ولا تزال مستمرة فهي تعد بأن ترتفع مستوى البلاد إلى درجة راقية مع حلول العام ٢٠٠٠ الميلادي، وتحاول الحكومة والإدارات المساعدة ضمن القطاعين العام والخاص للعمل على إيجاد بنية اقتصادية اجتماعية ثابتة على ركائز قوية، ولكنها في الوقت نفسه، تملك القابلية للتكيف مع تقلبات العالم الحديث.

وفي إطار المحافظة على اليد العاملة الوطنية وحمايتها عمد السلطان قابوس إلى خفض نسبة العمال الأجانب في عمان حتى مستوى ١٠٪ خلال أواسط التسعينات، واعتبرت هذه العمالة الأجنبية مصدراً للقلق الاقتصادي والثقافي لدى عمان ودول مجلس التعاون الخليجي.

ويدأ السلطان حملة وطنية لإحلال المواطنين العمانيين محل العمال الأجانب الموجودين في البلاد الذين أكد إحصاء شامل أجري لأول مرة أنهم يمثلون ٢٦٪ من مجموع سكان السلطنة البالغ مليوني نسمة.

وعلى الرغم من أن الهدف المباشر لهذه الخطوة كان انخفاض أسعار النفط خلال أزمة عام ١٩٨٦. إلاّ أن السلطان قابوس كان أول رئيس دولة يحدد هدفاً واضحاً، إذ طالب بخفض عدد الأجانب البالغ نصف مليون نسمة في شكل تدريجي إلى حوالي ٣٠٠ ألف أو حتى إلى ٢٠٠ ألف أي إلى نحو ١٥٪ من عدد السكان. وهي النسبة التي قال السلطان قابوس لمواطنيه أنها تمثل النسبة العالية المقبولة لأي مجتمع.

وإضافة إلى العوامل الاقتصادية سواء المتعلقة باستيعاب العمانيين في سوق العمل أو الحد من تحويلات العمالة الأجنبية للخارج فإن بعضهم يرى في اتساع العمالة الوافدة التي يشكل الآسيويون نحو ٩٠٪ منها خطراً على الهوية الثقافية والتقاليد المتوارثة للمجتمع العُماني وعلى عملية التنشئة الاجتماعية للأجيال الجديدة على الشخصية العربية للدولة الخليجية.

في شبه الجزيرة العربية كان الحدث الأكثر بروزاً في فترة ما بعد

الحرب ظهور ابن سعود، سلطان نجد سابقاً. ففي أثناء الحرب ساعد ابن سعود الحلفاء ضد تركيا، وكان يمول منهم ولم يُعترف به في التسوية السلمية. ولكن في هذه المنطقة المأهولة بالبدو، وغير المحددة التخوم توسع إقليمياً بالتدريج وأنشأ إدارة فاعلة.

في سنة ١٩٢٦ هزم الشريف حسين ملك الحجاز ونفاه وضم أراضيه وأعلن نفسه ملكاً على الحجاز ونجد وتحول اسم هذه البلاد فيما بعد بأسرها إلى العربية السعودية.

وفرض ابن سعود نفسه كحاكم قوي لدولة مستقلة ولم تطلب السعودية انضمامها إلى عصبة الأمم. ولكن في السنة ١٩٣٦ أرست دعائم موقفها الدولي بعقد معاهدات مع العراق، وشرق الأردن ومصر. وهذه المظاهر في التعاون العربي كان موصىً بها جزئياً خوفاً من مطامع إيطاليا التي أعقبت نجاحها في الحبشة، وزادت الظروف نفسها في حرارة العلاقات بين بريطانيا العظمى والدول العربية.

تعقدت قضايا الشرق الأوسط أيضاً بوجود أحواض بترولية غنية في هذه المنطقة، وشعرت الحكومات الأميركية المتعاقبة بضرورة توفير احتياطي من هذه المادة في القارة الأميركية وبحثت عن تأمين قسم كبير من حاجاتها النفطية من بترول الشرق الأوسط، ولكنها اصطدمت أول الأمر بالمصالح الإنكليزية الموطدة من قبل بواسطة الشركات البريطانية التي استطاعت العمل في المنطقة منذ الفترة التي تلت الحرب الأولى.

وأما الشركات الكبرى على أعمال التنقيب والتنقية والإنتاج في المنطقة فهي:

١ ـ شركة بترول العراق وكان مركزها كركوك في الشمال. وهذه الشركة كانت تعود بملكيتها إلى الشركة الإنكليزية الإيرانية وشركة شل وشركات أميركية هي ستاندرد نيوجرسي وسوكوني فاكيوم.

٢ ـ شركة الزيت الإنكليزية ـ الإيرانية. وكانت هذه الشركة تقوم باستثمار أحواض الجنوب الغربي من إيران، بالإضافة إلى مواقع داخل الخليج

أهمها مصفاة عبدان. واستطاع الأميركيون الحصول على قسم من الإنتاج لمدة عشرين سنة اعتباراً من ١٩٤٧.

٣ ـ المنطقة الغربية من الخليج حيث دولة الكويت التي اكتشف فيها البترول عام ١٩٣٦ وقامت شركة نفط الكويت باستثماره وهي كانت ملكاً للشركة الإنكليزية ـ الإيرانية.

٤ ـ جنوب الكويت حيث المملكة السعودية حصلت شركات البترول الأميركية على امتياز التنقيب والاستخراج أهمها العاملة تحت اسم أرامكو.

وحتى ١٩٦٠ كانت قضية استغلال آبار البترول قد حلت بشكل أساسي من قبل الدول الصناعية الكرى، وقد تنازلت البلاد التي تضع يدها على هذه الآبار إلى شركات أميركية أو إنكليزية أو بعض الشركات الفرنسية.

البترول

بدأ التنقيب البترولي بشكل جدي في عمان عام ١٩٥٥ بإشراف شركة العراق البترولية، وذلك في عهد الإدارة البريطانية. وتكون المساهمون من بريتش بتروليوم، ستاندرد أويل أوف نيوجرسي، موبيل، الشركة الفرنسية للبترول، رويال دوتش شل، بارتكس، وذلك بواسطة فرعها: الإنماء البترولي المحدود (عمان وظفار).

جاءت النتائج الأولى مخيبة للآمال، وفي العام ١٩٦٠ انسحب كل المساهمين من الشركة باستثناء شل وبارتكس بحيث احتفظت بقيمة ٨٥٪ من الامتياز وبارتكس ١٥٪ ثم تتابع البحث مع نجاح أكبر وفي العام ١٩٦٤ اتخذ قرار البدء بتسويق الإنتاج الموجود.

بدأت الصادرات البترولية الأولى خلال آب ١٩٦٧، وقبل شهرين كانت الشركة الفرنسية للبترول اشترت ثلثي حصة بارتكس وأبقي على اسم الشركة أي الإنماء البترولي المحدود (عمان).

بلغ الإنتاج البترولي العماني رقماً قياسياً في العام ١٩٧١ وهو ٣٦٦٠٠٠ برميل في اليوم، إلا أنه تراجع فيما بعد ليصل إلى ٢٨٠٠٠٠ برميل في اليوم عام ١٩٨٠، في تلك السنة حصلت الحكومة على ٦٠٪ من حصة شركة الإنماء البترولي المحدود ـ عمان وذهبت حصة ٤٠٪ الباقية إلى شركة شل.

عثر على الحقول النفطية الأولى في السلطنة في منطقة الفهيد، هذا الحقل الصغير بلغ ذروة إنتاجه نحو العام ١٩٦٨، ومن ثم أخذ إنتاجه ينخفض. بالرغم من ذلك، حافظت الصادرات البترولية في الغالب على نحو ٣٠٠٠٠٠ برميل في اليوم في الحقلين الصغيرين المستثمرين في قرن العلم

وغبابا وهما كانا موصلين بأنابيب حقول الفهيد وإنتاجهما يصدر عبر ميناء الفحيل بالقرب من مطرح. كانت أسعار البترول العماني مرتفعة إذا ما قارناها بمثيلاتها في أبو ظبي والسعودية، والكويت.

وبقيت هذه الحقول حتى العام ١٩٧٣ غير ذات فائدة كبيرة لكن الأوضاع والأسعار أخذت بالتحسن، وتجدر الإشارة إلى أن منظمة الأبيك هي التي باتت تتحكم بالأسعار وتصدر تسعيرة موحدة يومياً وأسبوعياً وتحدد كذلك كوتا الإنتاج.

مجلس التعاون الخليجي

أنشىء مجلس التعاون الخليجي في إطار اجتماع عقده رؤساء ست دول منتجة للنفط في شبه الجزيرة العربية الذين اجتمعوا في أبو ظبي بتاريخ ٢٥ و٢٦ أيار من العام ١٩٨١.

الهدف الرئيسي لهذه المؤسسة التي شبهها في وقت من الأوقات أحد الوزراء الكويتيين بالوحدة الاقتصادية الأوروبية، هو تحقيق التضامن بين الدول الأعضاء والتكامل في السياسات الوطنية بحيث يشمل كل المجالات، وبصورة خاصة الاقتصاد المحلي وقضايا البترول والتجارة والإعلام. وبنفس القدر، تهتم البلدان الستة، بتحمل أعباء الأمن في الخليج.

أعلن البيان الختامي لهذا الاجتماع الأول عن الرفض القاطع لأي وجود غريب: قوات أو قواعد أو سفن في الخليج، وعن التصميم على إبقاء المنطقة خارج التدخلات الغربية أو الصراعات الدولية، خلال المناقشة التي دارت حول هذه النقطة في أبو ظبي، دعا السلطان قابوس شركاءه إلى إقامة رابطة عسكرية محلية صلبة قادرة أن تؤمن بمساعدة الولايات المتحدة الأميركية وربما مع بريطانيا العظمى، حرية الملاحة في مضيق هرمز مع مراقبة المحيط الهندي. أما ممثل الكويت فقد أراد التركيز فقط على التعاون الاقتصادي.

سلطنة عُمان كانت انضمت إلى جامعة الدول العربية قبل عشر سنوات أي سنة ١٩٧١، وكذلك إلى عضوية الأمم المتحدة، وسنة ١٩٧٢ أصبحت عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي. وعام ١٩٧٣ في مجموعة عدم الانحياز.

وتقديراً للدور الإيجابي الذي قامت به عُمان انتخبت لعضوية مجلس الأمن للأعضاء غير الدائمين سنة ١٩٩٤ ولمدة عامين، مع التنويه بأنها شاركت وتشارك في كل فروع ومؤسسات وأعمال الأمم المتحدة.

تنمية المجتمعات المحلية

لم تعد تنمية المجتمعات المحلية في الدول النامية مجرد مطلب عدل لهذه المجتمعات المحرومة ولا تعبير عطف عليها، بل ضرورة قومية لتقوم المجتمعات الصغيرة بمشاركتها في تحقيق الأهداف القومية الكبرى في القضاء على التخلف ومواكبة التقدم العالمي.

وإذا كان علماء الاجتماع يرجعون نجاح خطط التنمية إلى عاملين أساسيين، أولهما خاص بانبثاق هذه الخطط عن متطلبات واحتياجات المجتمع، وثانيهما، الاستعانة بآراء ذوي الخبرة في مختلف مجالات هذه الخطط، فإن خطة تنمية المجتمعات المحلية في سلطنة عمان ومنذ بدايتها عام ١٩٧٤، توفرت لها تلك العوامل السابقة، كما اعتمدت فلسفة تنمية المجتمعات المحلية في السلطنة وبالدرجة الأولى على مساهمة الأهالي أنفسهم في الجهود التي يراد بها تحسين أحوالهم بصورة تتوحد فيها جهودهم مع جهود السلطات الحكومية المدركة لدور المجتمعات المحلية في عملية التنمية القومية.

ولقد نجح مشروع تنمية المجتمعات المحلية في السلطنة ومنذ خطواته الأولى في استقطاب عدد من المنظمات الدولية والإقليمية لدعم المشروع، ومن بينها اللجنة الاقتصادية لدول غرب آسيا التابعة للأمم المتحدة والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة ومنظمة اليونسيف والمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة. وقد سبق مرحلة تطبيق مشروعات التنمية المحلية، مرحلة دراسات اجتماعية هامة في عدة مناطق بدأت منذ عام ١٩٧٢ وأظهرت نتائجها أهمية التنمية المحلية لهذه المجتمعات، ثم جاء النشاط التنفيذي للمشروع التجريبي الأول مع أوائل العام ١٩٧٦ والذي باشر عملياته في منطقة نزوي ضمن

ثلاث قرى تجريبية يسكنها في حينه ١٤٣٣ نسمة وامتد المشروع عام ١٩٧٩ إلى منطقة إبراء مغطياً بنشاطه ١٦ قرية يسكنها ٣٩٧ شخصاً.

ومع مطلع الثمانينات وتحديداً في ١٩٨٠، كانت النقلة النوعية الحضارية للمشروع بالتوسع إلى منطقة عمل جديدة بعد أن نجحت التجربة في المناطق الفردية، إلى منطقة الوديان في الرستاق حيث يغطي بخدماته ٧٧ تجمعاً قروياً أو سكنياً يقطنه ٢٠٦٤٣ نسمة.

لقد جاءت النتائج الأولى لتطبيقات مشروع تنمية المجتمعات المحلية محققة لآمال مخططي ومنفذي المشروع، وكان حصادها وفيراً على كافة المجالات الصحية والزراعية والتعليمية والثقافية والعمرانية والحرفية.

وبعد التأكد من نجاح الجانب التجريبي للمشروع، كان لا بد من وقفة لاستعراض الإنجازات التي تحققت تمهيداً للانشغال بالمشروع إلى مرحلة أخرى ليصبح برنامجاً وطنياً يعم شتى أنحاء البلاد بعد الوصول إلى أفضل الطرق والأساليب الملائمة لتنمية وتطوير المجتمعات المحلية واستكمال البنية الأساسية للمشروع خاصة من الكوادر الوطنية المدربة لإدارة وتنفيذ العمل. وفي هذا الصدد، دعت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل إلى عقد الندوة الأولى لتنمية المجتمعات المحلية في شباط ١٩٨٢ وشارك فيها ٩٦ عضواً يمثلون وزارات الخدمات المعنية بالتنمية الاجتماعية ووزارات الشؤون الاجتماعية والعمل ببعض الدول العربية والإقليمية والمنظمات الدولية التابعة للأمم المتحدة. وخرجت الندوة الأولى بمجموعة توصيات ساهمت في وضع استراتيجية عمل وطني لتنمية المجتمعات المحلية وفقاً لمعايير علمية عديدة مستمدة من التجربة والواقع ومن أهمها:

أ ـ تعميم البرنامج الوطني لتنمية المجتمعات المحلية بحيث يغطي بخدماته مختلف مناطق السلطنة.

ب ـ اتخاذ الإجراءات الكفيلة لضمان التنسيق المستمر بين الجهات الرسمية في مجالات التخطيط والتنفيذ والتمويل والمتابعة.

ج ـ تعميق أسس المشاركة الأهلية والمبادرات الذاتية.

د ـ حفز القيادات المحلية على متابعة النشاطات باعتبارها حجر الزاوية في تحقيق أهداف البرنامج.

وإذا أخذنا ملامح الإنجازات التي حققها البرنامج الوطني لتنمية المجتمعمات المحلية والتي عمت أكثر من ٨٢ قرية يقطنها أكثر من ٣٣٠٠٠ ألف نسمة طبقاً للإحصاءات التي كانت متوافرة في حينه، نجد أنه في المجال الزراعي استفاد المزارعون من خدمات شملت إنشاء الحقول الإرشادية وإصلاح الأفلاج وحملات رش المبيدات، ونشر الخدمات الصحية بالإضافة إلى استفادة البعض منهم من الصناعات الزراعية.

في المجال التعليمي ساهمت البرامج في إنشاء فصول محو الأمية وتعليم الكبار بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب.

بالإضافة إلى أعمال ترميم وتأهيل لعدة مدارس.

وفي المجال الصحي استفاد عدد كبير من المواطنين من الخدمات الصحية وحول البعض منهم إلى المستشفيات لمتابعة أمور علاجية اختصاصية.

وبلغ عدد حملات النظافة حدود الألف حملة، وكذلك تم فحص وتعقيم حوالي الألف بئر ماء مخصصة للشرب. والقيام بحملات تحصين للأطفال ضد الأمراض وصرف أدوية وقائية.

وفي ما يتعلّق بشؤون المرأة، قامت الرائدات الاجتماعيات والصحيات بزيارات توعية مختلفة الأهداف بلغ عددها ٢٢٣,٩ زيارات منها ما خصص للنظافة الشخصية، وإرشاد الحوامل، ورعاية الطفولة والأمومة، التوعية وحل المشكلات.

وتم إعطاء حصص لتعليم الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي.

وفي ما يختص بمجال التوعية والإعلام بلغ عدد العروض السينمائية ٢٧٦ عرضاً حضرها ٥٥٧٥٦ مواطناً.

إضافة لإقامة الندوات والمحاضرات الثقافية والدينية والاجتماعية، حيث

بلغ عدد الندوات التي أقيمت (٣٤٢) ندوة ومحاضرة حضرها ٣٤٩٣٦ مواطناً، كما بلغ عدد ملصقات التوعية ١٢٧٢ ملصقة في شتى المجالات وأعمال التنمية.

وفي مجال المشروعات العمرانية، تم إصلاح وصيانة ٢٤ طريقاً داخلياً تربط القرى ببعضها وتحسين عدد من مقرات الأنشطة النسوية وإنشاء عدد من المجالس العامة لعقد الاحتفالات والاجتماعات والندوات.

الشخصية العمانية

مع ولوج عُمان مرحلة التحديث راحت هذه السلطنة تهدم الحواجز النفسية أو المسلكية التي كانت تفصلها عن خمس دول عربية منتجة للنفط، هي المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة، وسعت كذلك إلى تخطي الحواجز الجغرافية البارزة التي تفصل السلطنة عن جيرانها، وهي صحراء الربع الخالي والجبال الشمالية للبلاد، وكانت هذه الحواجز قبل ظهور البترول الذي بدأ إنتاجه في عُمان سنة ١٩٦٧ عقبة حقيقة أمام إقامة الصلات مع الطوائف المجاورة، لذا كان الزائر يلاحظ بعض الخصوصيات في سلوك العمانيين أو في مظهرهم.

وهذا ما أسميناه الشخصية العُمانية، ولسنا نحاول هنا إبراز التمايز العماني أو الفرادة الخاصة بقدر ما نحاول عرض الأسباب التي جعلت من هذا الشعب يمتلك صفات كثيرة منها الانفة والروح المقاومة التي طبعته وجعلته محباً للاستقلال يأبى الخضوع أو الذل ولو استكان فذلك يكون إلى حين، كما حدث أثناء الإحتلال البرتغالي الذي أشرنا إليه، فلنرَ خلفية تلك الخصائص: تعتبر جبال عُمان الامتداد الطبيعي لجبال زاغروس في إيران، وتختلف في بنيتها عن الصحراء العربية، من رأس مازندان إلى رأس الحد، تقع تلك الجبال على ذراع البحر حيث موقع العاصمة مسقط، ثم من مسقط إلى سوهام تشرف الجبال على سهل البطاح الطويل والضيق، وقد ساهمت هذه الحدود في تحديد الميل أو الوجهة البحرية العمانية.

بانقطاعهم عن القارة العربية، تحول العمانيون في الماضي إلى بحارة

وتجار، وكان تجار السلطنة يجوبون الساحل الشرقي لأفريقيا وحتى أنهم كانوا يصلون إلى أماكن بعيدة ككانتون في الصين.

يختلف لباس العمانيين عن جيرانهم في الخليج، فهم يضعون على رؤوسهم عمامة تكون عادة بيضاء وأحياناً مصنوعة من شال ملون من الكشمير أو من قبعة مطرزة تحل محل الكفية، وهي غطاء الرأس للذكور وتستعمل في الخليج والعربية السعودية، أما النساء العمانيات فإنهن نادراً ما يشاهدن محجبات ومن الممكن رؤيتهن بين الناس بخلاف البلدان المجاورة.

شجعت عزلة البلد الجغرافية هذه أيضاً، نمو واستمرار طريقة دينية سنية نخبوية شديدة المحافظة هي الأباضية. وقد تحول الاعتقاد الأباضي إلى عنصر موحد وفعال للعمانيين في صراعهم من أجل الاستقلال، إذ منذ عهد الإمام الأول، تعرضت عُمان خلال أكثر من قرنين إلى عشر موجات متتابعة من الغزاة، وكان كل غزو يرمي إلى هدف ثابت وصريح، ألا وهو تحطيم طائفة مستقلة على قاعدة دينية، لا يعني استعمال كلمة طائفة هنا الجماعة الدينية فقط إنما كذلك الجماعة الوطنية أو أصحاب الروابط الاجتماعية الواحدة، كانت ترفض الاعتراف بالخليفة وتمتنع عن دفع الضرائب، وكل هجوم كان يرد في آخر المطاف بفعل المقاومة العنيدة للعمانيين دفاعاً عن أرضهم ومعتقداتهم وتقاليدهم، فضلاً عن الصعوبة التي كانت تواجه تلك الغزوات بسبب طبيعة الأرض والمسافات الواسعة وصعوبة الاتصال.

وبفعل ضغط المحيط الجغرافي الحقيقي الذي ساهم في تحديد توجههم أدار العمانيون ظهورهم للعرب الآخرين، مجربين حظهم بالتجارة في المحيط الهندي مستعمرين الساحل الإفريقي الشمالي، واصطدم العمانيون بالأمم الأوروبية التي كانت تبحث عن استقلال طريق الهند البحرية التي فتحت منذ القرن الخامس عشر بواسطة البرتغاليين، الذين جذبوا إليها، ومن ثم الإنكليز، آملين في مراقبة الموانىء العُمانية.

أما البرتغاليون فقد طردوا من عمان خلال القرن السابع عشر كما بيّنا، ولكنّ البريطانيين وبسبب مخاوفهم من وصول نابليون بونابرت وحملته على مصر في نهاية القرن الثامن عشر، الأمر الذي قد يؤثر سلباً على أفضل

وأحسن طرقهم التجارية نحو الهند، فقد عقدوا اتفاقاً بين سلطان عمان والشركة الهندية البريطانية الممتازة في العام ١٧٩٨.

خلال القرن التاسع عشر، خفقت التجارة البحرية العمانية بفعل عدم القدرة على منافسة السفن البريطانية الحديثة ويسبب قدرة البريطانيين التجارية الواسعة، ويشكل أساسي من جراء تفوقهم السياسي الساحق، فلجأت أسرة البوسعيد المالكة ابتداء من عام ١٨٧١ إلى الاعتماد على الدعم العسكري والمالي لحكومة الهند البريطانية، من أجل تثبيت سيطرتها على السلطنة، ثم بدأت سلسلة من التمردات تثيرها القبائل الجبلية ضد قادة عُمان خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر حين انتهت هذه التمردات في العام ١٩١٥ في معركة بيت الفلاج قرب مسقط وهُزمت تلك القبائل المتمردة متكبدة خسائر بشرية كبيرة.

في العام ١٩٢٠ تدخلت حكومة الهند البريطانية وفاوضت من أجل قيام هدنة وسلام بين زعماء القبائل وقائد البوسعيد في حينه تيمور بن فصيل بن تركي وقد ألحق هذا الاتفاق باتفاق سيبس والذي سمح بحفظ السلام في عُمان حتى العام ١٩٥٠ إلى حين بدايات التنقيب عن البترول التي قلبت الأوضاع.

إن الحرب الأهلية التي وجدت متسعاً لها، ربحها السلطان سعيد بن تيمور. وكذلك فإن جلالة السلطان قابوس استطاع ربح الحرب التي ثارت في ظفار عام ١٩٦٥ وأخمدت في السبعنات.

مكنت العائدات البترولية الحيوية أكثر فأكثر عُمان من التخلي عن إرث الماضي الثقيل بسبب العزلة الاقتصادية والفقر الناتج عن انحطاط الاقتصاد خلال القرن التاسع عشر.

ويعتبر بناء الطرقات واحداً من العناصر الأكثر دلالة، هو الذي تلى مرحلة استلام السلطان قابوس السلطة، وقد جاء في إطار مرحلة النمو السريع التي ساهمت في إقامة صلات بين عمان والدول العربية المجاورة. بالإضافة إلى ذلك، مكنت الاتصالات الجوية واللاسلكية العمانيين من اللحاق بالتيار

الكبير والممارسة السياسية السائدة في الدول العربية المنتجة للنفط: العربية السعودية، الكويت، البحرين، قطر، دولة الإمارات العربية المتحدة وبخلاف نظرة أجداده الطبيعية أو آبائه نحو المحيط الهندي، فإن الجيل الجديد من الشباب العماني يتجه أكثر فأكثر وبإرادته نحو شبه الجزيرة العربية ليعثر فيها على الأفكار السياسية واحتمالات التبادل الاقتصادي والمثال الاجتماعي. ويعتبر التحاق عمان بالدول العربية الخمس المجاورة لها، في مجلس التعاون الخليجي مؤشراً في هذا الاتجاه وتظاهرة قوية في الاتجاه الجديد للسلطنة.

الأمطار والمياه

بسبب الموقع والتركيب الجغرافي الجيولوجي فإن مناخ شبه الجزيرة العربية بوجه الإجمال يعتبر جافاً باستثناء بعض المناطق الساحلية، ولا يتعدى المعدل السنوي لهطول الأمطار ٦٠ملم في السنة لكن هذا الرقم يرتفع ليجاوز حدود ١٨٠ إلى ٢٠٠ملم في المناطق الجبلية الجنوبية، الغربية في عسير واليمن الشمالية، وفي أقصى الجنوب الغربي لعُمان في إقليم ظفار ويمكن تقسيم مجمل هذه المناطق إلى بضعة أنواع:

١ ـ اليمن وعسير وظفار ٢٠٠ملم.

٢ ـ الحجاز الشرقي وسواحل الخليج ٢٠٠ ـ ١٠٠ملم.

٣ ـ السهول المحاذية للخليج ١٠٠ ـ ٣٠ملم.

٤ ـ إقليم الصحاري أقل من حدود ٣٠ملم.

وأما توزيع الأمطار ومواسمها خلال السنة فهو وفق الترتيب التالي:

أ ـ أمطار تسقط بفعل حركة الرياح الموسمية التي تهب على الأقسام الجنوبية من شبه الجزيرة العربية في مناطقها الجبلية جنوب عُمان واليمن وعسير خلال فصل الخريف.

ب ـ الأمطار التي تنهمر على الجزء الشمالي والشرقي خلال فصل الشتاء ويعتبر بالإضافة إلى ذلك مناخاً قارياً باستثناء الجبال الحجازية والحجر الشرقي والغربي وظفار وعمان. أما في المناطق الأخرى فترتفع درجة الحرارة

إلى حدود ٤٠ ـ ٥٠ درجة مئوية في الظل خلال فصل الصيف، لتعود إلى الانخفاض الحاد خلال الليل لتصل إلى ما دون ١٥ درجة مصادر المياه.

يوجد نوعان من مصادر المياه الطبيعية بفعل الأمطار، والاصطناعية وهي الناتجة من التقنيات الحديثة التي يستعملها الإنسان لتنقية مياه البحار.

١ ـ مصادر المياه الطبيعية

إن جميع عوامل الموقع والتكوين والغطاء البحري والتضاريس جعلت من مناخ شبه الجزيرة العربية مناطق قاحلة باستثناء السلاسل الجبلية الساحلية، وعلى وجه الإجمال لا يوجد في الجزيرة العربية مجارٍ مائية دائمة التدفق والجريان، وإنما يقتصر الأمر على بعض المجاري التي يسببها هطول الأمطار على السلاسل والمنحدرات الجبلية والتي تصب إما عبر الأودية باتجاه البحر الأحمر وبحر العرب وإما نحو الصحارى الداخلية في الربع الخالي وثمود والدهناء.

ويتسرب بالطبع بعض مياه السيول إلى باطن الأرض ليشكل المياه الجوفية التي تتغذى بدورها من كميات أخرى تجمعت خلال فترة ذوبان الطبقات الجليدية التي غمرت الأرض خلال العصور الجليدية.

غير أن كل هذه المصادر تعتبر غير كافية وتقوم الدولة بجهود جبارة لتأمين مصادر جديدة.

وإذا تناولنا مساحة الأرض المروية في دول مجلس التعاون الخليجي نلاحظ أنها لا تتعدى نسبة ٥٪ وتجدر الملاحظة إلى أن نسبة تخزين المياه آخذة بالانخفاض نتيجة الهدر الكبير والإفراط في إقامة المشاريع الزراعية الضخمة.

٢ ـ مصادر المياه الإصطناعية

أدت صناعة النفط والصناعات البتروكيمائية إلى تجميع السكان داخل مدن قريبة من مراكز هذه الصناعات، فجذبتهم لترك مناطق الاستقرار القديمة الزراعية والقائمة على الاصطياد وأدت بهم إلى التوجه نحو إنتاج النفط. ومن بين هذه المدن، الظهران وينبع والجبيل في المملكة السعودية والنحل في عُمان.

وتضخمت عواصم هذه الدول بأعداد كبيرة من السكان.

٣ ـ المصادر الأخرى

إن تطور تكنولوجيا تكرير ومعالجة المياه المبتذلة في دول مجلس التعاون الخليجي وإعادة استخدامها في مجال الري، أدى إلى توفير كميات كبيرة من المياه ولكن لغاية الآن فإن استخدام هذه المياه المنقاة لا يتم إلا في مجالات ري الحدائق العامة وهناك حذر في استخدامها ضمن الزراعة. وهناك مسألة استخدام مياه البحر المحلاة في العمليات الصناعية الخاصة بالنفط وتوسع استخدامها لتشمل المدن الكبرى وتأمين احتياجاتها.

الحلول المقترحة أو المعتمدة

تقدر المساحة المزروعة في عمان بحدود ٢٧ ألف هكتار مربع، ويتركز السكان ضمن المناطق الساحلية والسلاسل الجبلية الثلاث، ظفار والحجر الشرقي والحجر الغربي.

أما متوسط تساقط الأمطار السنوي فهو بحدود ١٥٠ ـ ٢٠٠ملم في مناطق ظفار المتميزة بالخضرة والإمكانيات الزراعية المتنوعة من زراعة الحبوب كالقمح والذرة والفاصوليا وهذه تعتمد على الأمطار.

بالإضافة إلى ذلك، فإن مياه الأمطار تفسح في المجال لتدفق عيون المياه الطبيعية مثل عين رزّات، وتتوافر في سهول ظفار وأوديتها مياه جوفية غزيرة وصالحة للاستخدام المنزلي والزراعي.

أما في مناطق تساقط الأمطار في الأجزاء الأخرى فإن المعدلات تكون ضعيفة ولا تكفي للزراعة.

وقد طور العمانيون نظاماً فريداً للري وهو الأفلاج ويقوم على حفر قنوات تحت الأرض تربط بين آبار موزعة للاستخدام المنزلي والزراعي، وهذه التقنية معروفة بالجبل الأخضر، وبالإضافة إلى المنطقة الجبلية الزراعية، هناك وادي الباطنة الخصيب الذي تصله من الحجر الغربي.

لا تواجه عُمان مشكلة فعلية في مياه الشرب، كونها قليلة السكان والذين لا يتجاوزون مليوني نسمة.

لكنها تواجه مشكلة توسيع رقعتها الزراعية والمحافظة على الزراعة الكثيفة القائمة حالياً كالنخيل والحمضيات والأشجار المثمرة الأخرى.

الآفاق الجديدة

إن الحرب العالمية الثالثة إذا حصلت لن تكون بسبب تفاقم الأزمات الاقتصادية، أو كثرة التسلح، بل إن سببها الرئيسي سيكون المياه.

وانطلاقاً من مؤتمر مدريد حول السلام في الشرق الأوسط والتوصيات العديدة التي توصل إليها المؤتمران وقت ذاك، وأجواء التحالف ضد العراق كانت لا تزال مسيطرة تقرر أن تبدأ مفاوضات متعددة الأطراف حول مسائل إقليمية مهمة تواكب المحادثات السياسية الجارية بين الأطراف المعنيين ولقد دُعيت جميع دول العالم لتكون أطرافاً على طاولة المفاوضات المتعددة وخاصة حول المياه.

وسوف نحاول هنا استعراض تلك المؤتمرات والتوقف عند بعض النتائج التي توصلت إليها مع الإشارة إلى أن النتائج الحاسمة لم تظهر بعد وأن أوانها ربما ما زال مبكراً.

١ ـ مؤتمر فيينا ١٢ و١٣ أيار ١٩٩٢

حضرته وفود تمثل ٣٨ دولة عالمية من أميركا وروسيا وكندا واليابان والصين بالإضافة إلى دول المجموعة الأوروبية، والخليج العربي والمغرب ودول شرق أوسطية، وتغيبت كل من سوريا ولبنان ورفضتا المشاركة قبل أن تحقق مفاوضات السلام مع إسرائيل تقدماً ملحوظاً.

وتجدر الإشارة إلى أن إسرائيل كانت بين الدول الحاضرة، أما أهم البنود التي تم تدارسها ومناقشتها فهي:

أ ـ الوضع الحقيقي للمياه والكميات المتوافرة داخل منطقة الشرق الأوسط بشكل عام.

ب ـ الحاجات الحالية والمستقبلية وكيفية الحصول عليها.

ج ـ توفير الشروط الملائمة لعمليات التخزين الاحتياطية.

د ـ إدارة صادر المياه والتعاون حولها.

وقد تم الاتفاق في نهاية اليوم الثاني على تبادل المعلومات حول المياه وخاصة بين الدول التي تستفيد من مجار مائية واحدة أو الدول المشاطئة. والمؤتمر الثاني حصل بعد عدة أشهر في أيلول ١٩٩٢.

٢ ـ مؤتمر واشنطن أيلول (١٩٩٢)

اجتمعت نفس الدول التي حضرت في فيينا واستمر ابتعاد لبنان وسوريا لنفس الأسباب، وتدارس المؤتمرون البنود التالية:

أ ـ ملوحة مياه البحار وكميات تبخر المياه الراكدة وخاصة في البحار المغلقة.

ب ـ أوضاع الأراضي الفلسطينية داخل الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة على الصعيد المائي.

وتم الاتفاق على تكليف لجنة من الخبراء الاختصاصيين للتعمق في درس هذه المواضيع داخل منطقة الشرق الأوسط وإمكانية الإسهام في حلها مع متطلبات ووسائل الحلول المقترحة.

٣ ـ مؤتمر جنيف نيسان (١٩٩٣)

أهم مقرراته:

أ ـ التفاوض بشأن إقامة بنك للمعلومات حول مياه الشرق الأوسط ومسائل حفظ المياه وزيادة كميات المياه الجوفية.

وقد برز خلال المؤتمر توجه ياباني لإنشاء مشاريع تحليه لمياه البحر في الأردن وذلك لتشجيعه على خطواته على طريق السلام مع إسرائيل.

بالإضافة إلى القيام بدراسات تقنية توضح نوعية المساعدات المطلوبة من قبل دول المنطقة.

٤ ـ مؤتمر بكين، تشرين الأول (١٩٩٣)

أ ـ درس قضية تنقية المياه المبتذلة.

ب ـ تدريب القوى البشرية في المجالات التقنية المتعلقة بالمياه.

وأقرت بخلاله مسألة بنك المعلومات الشرق أوسطي، وإنشاء قناة تربط البحر الأحمر والمتوسط والميت وذلك للتخفيف من ملوحة البحر الميت ونسبة التبخر والجفاف التي تزداد عاماً بعد عام.

٥ ـ مؤتمر مسقط، نيسان (١٩٩٤)

أ ـ إنشاء مركز أبحاث لتحلية مياه البحر في عُمان.

ب ـ الاهتمام بمسألة الصرف الصحي في منطقة الخليج والشرق الأوسط وكيفية الاستفادة منها ومعالجتها.

ج ـ تحضير وإعداد الكوادر التقنية بمساعدة ودعم المجموعة الأوروبية والإدارة الأميركية.

د ـ صيانة وتنظيف شبكات المياه العائدة للقرى والمدن.

٦ ـ مؤتمر اوسلو تموز (١٩٩٤)

أ ـ إعداد دراسة حول المسائل الحقوقية والقانونية والمتعلقة بإدارة موارد المياه داخل الشرق الأوسط.

ب ـ توقيع وثيقة حول حقوق المياه تتضمن وضع أطلس مائي للمنطقة.

٧ ـ مؤتمر اثينا (١٩٩٤)

أ ـ تدارس ميثاق المياه وكيفية التعاون للوصول إلى خطوات عملية.

ب ـ تأليف لجنة عمل من الإدارة الفلسطينية للحكم الذاتي والأردن وإسرائيل للعمل حول مواضيع المياه التي تهم الأطراف الثلاثة.

بعد عقد مؤتمر المياه في مسقط تعالت بعض الانتقادات التي اعتبرت أن المؤتمر بحد ذاته يشكل خرقاً للأعراف التي سادت في الماضي في كيفية وأسلوب التعاطي مع العدو الإسرائيلي، وكان مصدر هذه الانتقادات كل من سوريا ولبنان، اللذين اعتبرا أن أي خطوة للتطبيع مع إسرائيل سابقة لأوانها وقبل تحقيق تقدم فعلي على مستوى تطبيق القرارات الدولية وروح مدريد هي خطوة ناقصة، ويمكن أن تكون بعكس الاتجاه الصحيح.

ويومها أوضح وزير الخارجية العماني الأمر بقوله إن الانتقادات التي صدرت لا تمثل إزعاجاً أو مفاجأة للحكومة العُمانية وأبدى تفهماً لأسبابها كما أكد أنها لن تؤثر في الدعم الذي تقدمه بلاده والدول الخليجية لسوريا ولبنان والأطراف العربية الأخرى في عملية المفاوضات مع إسرائيل. وشدد على عدم القيام بأي تطبيع مع الدولة العبرية قبل اكتمال عملية السلام، مؤكداً أن الحديث مع الوفد الإسرائيلي لم يتعدَ موضوع المحادثات المتعددة الأطراف.

أما حول موافقة مؤتمر عُمان للمياه على إقامة مركز دولي لتطوير تكنولوجيا المياه وتحلية مياه البحر والسماح أو عدم السماح بوجود خبراء إسرائيليين فيه فقد أكد أن المركز المشار إليه سيكون دولياً وتستفيد منه جميع الدول العربية ودول أخرى في الشرق الأوسط من بينها إسرائيل. ولكن النتائج لن تكون قريبة لأن ذلك يتطلب أبحاثاً متقدمة ومتفرقة بعضها في الولايات المتحدة وبعضها الآخر في اليابان والأخرى في روسيا أو الاتحاد الأوروبي، ويقال إن هناك بحوثاً متقدمة في تحلية المياه في إسرائيل وجنوب أفريقيا، وأن الدول الصناعية المتقدمة لديها أبحاث في هذا المجال وعُمان تنوي الاستفادة من كل هذه الأبحاث والتقنيات من الجانب النظري إلى التكنولوجيا التطبيقية، فإذا كانت أبحاثاً مفيدة وموجودة في إسرائيل فهذه مسألة علمية وليست لها علاقة بالأمور السياسية، لأن بلادنا تحاول أن فصل بين القضايا العلمية والقضايا السياسية.

خط أنابيب السلام

خلال الحرب الإيرانية العراقية التي اندلعت عام ١٩٨٠، وبعدما وصلت علاقات الجوار الحسن التركية ـ العربية إلى ذروتها في منتصف الثمانينات، تقدمت تركيا بحل مبتكر وإن جزئي للمشكلة المائية. وقد دفعها حماسها لإظهار أوراق الشرق أوسطية ولتعزيز علاقاتها بالعالم العربي إلى إعلان مشروع خط أنابيب السلام عام ١٩٨٨ وحمل لواء هذا المشروع تورغوت أوزال رئيس الوزراء التركي آنذاك.

يقضي المشروع بإنشاء خط أنابيب مائي تركي يخدم بلدان الشرق الأدنى وبلدان الخليج، وأدت مقاربة أوزال إلى اعتبار الماء مادة منتجة ويجوز بيعها والاستفادة منها.

الاقتراح كان يقضي بأخذ المياه من نهري جيحان وسيحان اللذين يصبّان في الشاطىء التركي في المتوسط ولا يسببان أية مشكلة دولية في ما يتعلق بالسيادة المائية، وينقل فائض مياه الشرب من مستجمعات مياه النهرين إلى سوريا والأردن والسعودية ودول ساحل الخليج الجنوبي. وكان المفترض في البداية أن يؤخذ الماء من منابع دجلة ولكن المعارضة العراقية الشديدة فرضت تغييراً في الخطة وبنتيجة ذلك لم يشمل أي من مشروعي الأنابيب العراق.

قدرت الهيئة العامة لأشغال المياه مستوى تدفق نهري سيحان وجيحان معاً بنحو ٣٩,٢ مليون متر مكعب يومياً من المياه غير الملوثة والجيدة النوعية وكانت الخطة تقضي باستخدام ما يقارب ٢٣,٤ مليون م^{٣} يومياً في تركيا. وهكذا يسقي نحو ١٦ مليون م^{٣} يومياً تتدفق هدراً في المتوسط وذلك على الرغم من مشاريع التنمية الكثيفة لمواقع مستجمعات النهرين وبناء العديد من السدود.

ووفقاً لمشروع أنابيب السلام كان من المفترض اعتماد خطين لتوصيل المياه من النهرين، الأول هو الخط الغربي الذي يمرّ بالقرب من حلب وحماه وحمص في سوريا ومن ثم إلى المرتفع الواقع بين دمشق وعَمّان حتى

يصل إلى مكة المكرمة في السعودية، ويبلغ طوله الإجمالي ٢٥٦٠ كلم تقريباً.

أما الخط الآخر فهو الخط الشرقي (الخليجي) الذي يتبع الخط الأول نفسه حتى حماه حيث يبتعد ويمر في شرق الأردن وشرق العربية السعودية، ويمضي في محاذاة شاطىء الخليج العربي حتى يصل إلى الإمارات العربية المتحدة وإلى عُمان إذا تطلب الأمر. ويبلغ طول هذا الخط نحو ٣٥٠٠كلم.

وكان من المفروض أن يُدخل إلى الأراضي العربية ٣,٥ مليون م٣ من المياه عبر الخط الغربي و٢,٥ مليون م٣ عبر الخط الشرقي. وهذا يعني أن نسبة إمداد مائي للشخص الواحد تبلغ نصف م٣ يومياً، والمشروع بشكل إجمالي يمكنه نقل مياه الشرب إلى أكثر من ١٥ مليون شخص بكلفة إنشاء تبلغ ٢١ مليار دولار (قدرت الكلفة وفقاً لأسعار ١٩٨٦) واحتسب معدل كلفة المتر المكعب من المياه في الخط الغربي ٠,٨٤ دولاراً و١,٠٧ في الخط الشرقي.

والتصنيع المحلي لأنابيب الإسمنت ومكوناتها يولد عدداً كبيراً من الصناعات وفرص العمل في المنطقة وسيطمر القسم الأكبر من الخط على عمق مترين تحت الأرض، وتشق الأنفاق لتمريره في المناطق الجبلية.

وأنهت شركة براون الأميركية، وهي المتعهد الرئيسي للمشروع، الدراسات التمهيدية في عام ١٩٨٨، وخلصت إلى أنه يمكن التغلب على كل العقبات أو التهديدات المحتملة. وتم التأكيد على نوعية المياه وضمان استمرارها، ولكن حتى لو تأمنت مصادر التمويل لخط السلام فإن إنجازه يحتاج إلى عشر سنوات على الأقل، واعتبرت تركيا أن خط أنابيب السلام يمكن أن يساعد على حل مشاكل مائية أخرى ويقيم اعتماداً متبادلاً على المستوى الاقتصادي ويحسن العلاقات السياسية بين الدول المعنية، لكن الشعوب العربية استقبلت المشروع في البداية بلا مبالاة تامة لم تتوقعها تركيا ثم ما لبثت هذه اللامبالاة أن تحولت إلى انتقاد صريح في الأشهر اللاحقة، فالعرب، وخصوصاً السعودية والكويت، اعتبروا أن ثمن المياه التي يتم إرسالها عبر الأنابيب مرتفع جداً قياساً إلى كلفة التحلية المحلية. ولكن على

أي حال، تبقى الحقيقة أن الاعتراضات السياسية أكثر أهمية من العقبات الاقتصادية. وتقدّر تركيا تحليه مياه البحر من بلدان الخليج العربي بنحو ٥ دولارات للمتر المكعب وهي كلفة تزيد كثيراً على كلفة إيصال المتر المحعب بواسطة الأنابيب.

والحقيقة أن رد الفعل العربي يعود إلى أن الاعتماد على مصدر خارجي في إمدادات مياه الشرب يعرّض الأمن القومي للخطر في ما يتعلق بهذا المورد الستراتيجي. وخشي كبار المؤولين السعوديين والكويتيين من إعطاء الأتراك دوراً يمكنهم من التحكم في سيادتهم المائية.

هذا فضلاً عن أن البلدان العربية كانت تشك في أن تركيا ستسمح لإسرائيل بالاستفادة من خط الأنابيب الغربي. فالتقارب الأولي بين إسرائيل وتركيا من جهة والمزاعم القائلة بأن تركيا خططت لتصدير المياه إلى إسرائيل من الجهة الأخرى ساهما في ازدياد القلق العربي، ولكن على الرغم من أن تركيا تعرّضت للانتقاد في الصحف العربية فإن أياً من البلدان العربية المعنية بمشروع أنابيب السلام لم يرفض المشروع رسمياً، ولكن ليس هناك ما يدعو إلى التفاؤل، إذ أن تنفيذ مشروع أنابيب السلام يعتمد على اتفاق كل الدول المعنية على تقاسم مشترك للمياه، وهو ما كان يتعذر التوصل إليه في الشرق الأوسط في الماضي حتى عندما كان الأمر يقتصر على مشاريع فردية.

وبعدما وضع مشروع أنابيب السلام جانباً، حاولت تركيا ومرة أخرى بمبادرة من أوزال، أن تعقد مؤتمراً لمناقشة المصادر المائية في الشرق الأوسط بشكل علمي، واقترحت أن يُعقد المؤتمر في اسطنبول خلال تشرين الثاني ١٩٩١ تحت اسم «مؤتمر مياه الشرق الأوسط» على أن تنظمه مبادرة قمة مؤتمر المياه الكوني الأميركية، وقد دعت تركيا ممثلين من كل بلدان الشرق الأوسط، وممثلي ٢٢ دولة أخرى بما فيها الولايات المتحدة الأميركية وكندا والاتحاد السوفياتي السابق واليابان وممثلي بعض الأعضاء البارزين في الجماعة الأوروبية والهند، كما دعت أيضاً البنك الدولي ومنظمة التنمية التابعة للأمم المتحدة. وتضمن برنامج العمل الدعوة إلى إيجاد دليل مائي إقليمي وإنشاء مركز السياسة المائية للشرق الأوسط لتنسيق السياسات الإقليمية

وجمع المعلومات والقيام بالأبحاث التقنية وتقويم فرص الاستثمار. إلا أن الدعوة إلى مؤتمر مدريد بعد انتهاء حرب الخليج جعلت تأجيل هذا المؤتمر حتمياً إلى أن تنتهي عملية السلام إلى حل معقول ومقبول، فيصار إلى البحث الجدي في كل المشاكل العالقة وعلى رأسها المياه، خاصة في عُمان حيث المياه تعتبر أكثر أهمية في البترول نفسه.

القسم الثالث

قطر

عاطف عيد

لمحة جغرافية

الموقع والمساحة

تقع قطر على الساحل الغربي للخليج العربي بين خطي العرض ٢٤,٣٠° و ٢٦,٣٤° شمالاً، وخطي الطول ٥٠,٤٥° و ٥١,٤٠ إلى الشرق من خط غرينتش.

وهي تشكل شبه جزيرة تحيطها مياه الخليج من ناحية الشمال والشرق والغرب. أما في الجنوب فتحدها أبو ظبي والمملكة العربية السعودية، وتجدر الملاحظة هنا إلى وجود بعض مسائل الحدود العالقة بين قطر والسعودية. ويبلغ طول هذه الحدود مع السعودية حوالي ٤٠كلم.

تبلغ مساحتها الإجمالية ٢٢ ألف كلم٢ أما عدد السكان فلا يتجاوز ما مجموعه ٤٠٠ ألف نسمة.

ظلت قطر لوقت طويل تعتمد على حياة التنقل والرعي، حيث سكنتها قبل اكتشاف البترول قبائل متعددة مثل النعيم، والكعبان والمريخات والحباب. ولكن بعد اكتشاف البترول اتجهت إليها جموع من المهاجرين أتت من سواحل عُمان واليمن وحضرموت وبلاد الشام وإيران والهند وذلك بهدف العمل والكسب، مما ضاعف أعداد السكان، لكنه أوجد بالمقابل فرصاً للعمل والاستقرار والانتقال شيئاً فشيئاً إلى حياة يغلب عليها الطابع الغربي.

إن طبيعة السطح رملية صحراوية، منخفضة تجاه الشاطىء، وتكثر عليها المستنقعات، وتظهر بوضوح حركة المد والجزر.

أما أهم تعرجات الشاطىء فهي عند خليج سلوى ودوحة سناد وخور العديد، وخور الذخيرة.

ومن الرؤوس والنتوءات نذكر رأس الشامية، وأبو عمران، وقرطاس وأبو عبود. وتقابل الشاطىء بعض الجزر غير المأهولة والتي تستعمل كمحطات صيد. من أهمها على الساحل الشرقي السفالية والعالية والإسحاط.

أما مناطق السواحل الشمالية الغربية فأكبر جزرها حوار.

لا يوجد جبال إنما تلال بسيطة الارتفاع لا تتجاوز ٧٥ متراً ويبلغ أعلى مرتفع في ساحل خور العديد ١٨٠ متراً عن سطح البحر.

مناخ البلاد

يسود مناخ الإقليم الصحراوي الذي يتميز بصيف طويل وشديد الحرارة يبدأ مع مطلع نيسان ويستمر حتى أواخر تشرين الأول، ويشهد هذا الفصل فترات هبوب رياح صحراوية حارة.

أما الفترة الباقية فيسودها شتاء قصير ومعتدل نسبياً وتشهد انخفاضاً في معدلات درجات الحرارة. لكن الأمطار تبقى نادرة ودون المستويات المطلوبة. تبلغ درجة الحرارة أعلى معدلاتها خلال فترة تموز وآب وتصل إلى ٤٢ ـ ٤٣ درجة مئوية لتعود إلى الانخفاض نحو النصف تقريباً في كانون الثاني ـ شباط. وما يزيد من حدة الحرارة ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو.

أما الفروقات الحرارية بين الليل والنهار فتكاد تصل كذلك إلى النصف خلال اليوم الواحد.

نسبة الأمطار

يتراوح معدل سقوط الأمطار السنوية بين ٢٥ و ٢١٢ملم، لذلك فهي نسبياً قليلة جداً ولا يتجاوز عدد أيام التهاطل أقل من فترة ١٥ إلى ٢٥ يوماً خلال السنة بين تشرين الثاني ونيسان وتكون الأمطار كناية عن أعاصير تهب ثم لا تلبث أن تهدأ.

قطـــر ما قبل التاريخ

ساد الاعتقاد أول الأمر، أن قطر بكونها منطقة صحراوية شهدت أنماطاً من العيش القائمة على التنقل الدائم بسبب عدم توفر الموارد الزراعية أو الغابات الضرورية لعيش الإنسان القديم. وأنها لم تشكل موطناً دائماً لهذا الإنسان الساعي أبداً خلف صيده وحياته القاسية في الكهوف والمغاور. لكن علم الآثار ووصول البعثات العلمية غداة اكتشاف البترول، أظهرا بشكل لا يقبل الشك، أن المناطق القطرية شكلت ميداناً لسكنى الإنسان وعيشه يستدل عليها من مخلفاته الحجرية ونماذج الأسلحة والأدوات التي استعملها. وقد وجد المنقبون الأثريون ومعظمهم من الأوروبيين حوالي الخمسين موقعاً دلت على وجود إنسان ما قبل العصور التاريخية واستقراره في هذه المواقع حيث بدأ باستعمال وصنع الأدوات غير المتقنة التي راحت تتطور مع تطوره وتوسع مداركه وانتقاله شيئاً فشيئاً إلى اتباع بعض أنماط التجمع القبلي أو المدني.

ويرجح العلماء أن عمر تلك الآثار المكتشفة يرجع إلى ما بين عشرين ألفاً وحتى أربعة آلاف سنة، دون الدلالة على عامل حاسم يؤكد بشكل دقيق عمر توطن الإنسان داخل شبه الجزيرة.

لكن ما يهم أن قطر لم تكن ممراً فقط تعبر منه وإليه القبائل أو الرحلات الباحثة عن أمكنة لتستقر فيها وتنعم براحة العيش إنما كانت فعلاً مكاناً للاستقرار وتأسيس أنماط الحياة والمساهمة بقسط وافر في الحضارة الإنسانية القديمة والحديثة على السواء.

ويبدو من شبه المؤكد، أن معيشة الإنسان اعتمدت بشكل كبير على حياة الصيد وخاصة صيد الأسماك لوفرتها، ولعدم وجود مصادر غذائية كافية معتمدة على الرعي أو صيد الحيوانات الأخرى بسبب قلة الأمطار والغطاء النباتي القليل أو الذي ينعدم في بعض المناطق السحطية.

المراحل التاريخية القديمة

يرجّح الباحثون أصل التسمية «قطر» إلى مدينة قديمة كانت تسمى قطراً على مسافة قريبة من مدينة الجرعاء الحالية، وربما أن هذه المدينة أعطت اسمها للبلاد فغلبت على الكل تسمية الجزء، إما لفرادته أو لعراقته في القدم والزمن.

وشكلت قطر قسماً من ضمن منطقة عرفت منذ القرن الرابع الميلادي باسم البحرين لوقوعها بين الخليج العربي وبحر عُمان بالإضافة إلى مناطق تصل إلى الجنوب العراقي عند مدينة البصرة.

وكانت هذه البلاد أو المناطق تشمل كذلك المنطقة الشرقية في الأراضي السعودية الحالية والكويت، والبحرين، وأبو ظبي وبعض الإمارات الخليجية. ويذكر أنه عند قدوم البرتغاليين نحو الخليج أطلقوا اسم البحرين على كامل المنطقة وكان ذلك خلال القرن السادس عشر وبعد الاكتشافات الجغرافية الحديثة. وازدهار الاستعمارين البرتغالي والإسباني نتيجة لتلك الاكتشافات.

أما الشعوب القديمة التي توطنت في هذه البلاد فتنتمي إلى الشعوب الأكادية والأمورية وبقايا كنعانية حيث ترجح بعض الدراسات أن الفينيقيين سكان السواحل اللبنانية انطلقوا فيما مضى من هذه المناطق باتجاه شواطىء لبنان وفلسطين وبعض مناطق الساحل السوري عند أرواد.

يضاف إليهم الأشوريون والكلدانيون وقبائل عاد وجديس وطسم وغيرهم من عناصر الشعوب القديمة، وكذلك العرب القحطانية.

لكن هيرودوس المؤرخ اليوناني الشهير يرجح أن يكون الكنعانيون أول من سكن مناطق الخليج وقطر، ويستند أصحاب النظرية هذه على أن تلك

الشعوب اشتهرت بركب البحار والسكن في المناطق الساحلية، ويربطون ذلك بمنشئهم في مناطق تحاذي البحار كما هو حاصل في الخليج عموماً.

ويروي المؤرخ فيليب حتّي في كتابه «تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين» بأن الفينيقيين أتوا بالأصل من منطقة الخليج حيث كانت لهم مدن تحمل الأسماء نفسها مثل أرواد وصور وصيدا، مستنداً في ذلك إلى سترابون.

وخلال عهد الدولة الأكادية وقعت المنطقة البحرية وقطر تحت سيطرة سرجون الأكادي بحدود سنة ٢٢٥٠ وامتدت سيطرته إلى عُمان بعد أن شملت مناطق عديدة في سوريا وبلاد الرافدين ولبنان وفلسطين.

ولا بد أن هذه البلاد اتبعت الأنماط الحضارية في الكتابة والفن والأدب، وكذلك في الحياة العلمية والعبادة، مما كان بدأه السومريون في بلاد ما بين النهرين. وكلنا يعلم أن حضارة الشعب المهزوم كانت تنتقل إلى الشعوب المنتصرة بعد إبدال التسميات، والقيام بإدخال بعض المظاهر الجديدة في حقول الإدارة والمال والجيش، وبعض مظاهر العبادة.

ويروي الدكتور أسد رستم في كتابه «تاريخ اليونان» أن الإسكندر المقدوني توجه في ربيع سنة ٣٢٧ق.م إلى كابل، ثم سار منها على ضفة السند اليمنى، فاخضع عدة قبائل جبلية. ثم اجتاز هذا النهر من أتوك فدخل تكيلة وتقبل هدايا أميرها... ووصل إلى البنجاب حيث أخضع قبائل الزط، ومن هناك بلغ السند إلى حصبه.

وفي صيف سنة ٣٢٥ وصل إلى المحيط الهندي، وقام أمير البحر التابع له من مصب السند إلى دجلة على الخليج.

أما هو فإنه اجتاز صحراء جدروسية في بلوخستان فقاسى والذين معه الأمرين، ولاقوا أهوالاً وشدائدَ كثيرة من جوع وعطش ومشقة، حتى أن كثيرين من جنوده كانوا يقعون على جانبي الطريق إعياءً.

وسنة ٣٢٣ق.م عاد إلى بابل، فاستقبل الوفود الليبية والقورينية، والحبشية والقرطاجية واليونانية والكلتية البلقانية. وأرسل بعثة إلى سواحل

بحر قزوين، وأنفذ بعثات ثلاثاً إلى سواحل الجزيرة العربية للاستطلاع لكن أسطوله لم يصل إلى أبعد من البحرين.

أما أهم القبائل التي سكنت في البحرين خلال المرحلة السابقة لظهور الإسلام فهي بني قضاعة الذين ينتسبون إلى العرب القحطانية والذين توزعوا في مختلف أقاليم شبه الجزيرة العربية سعياً وراء الماء والكلأ، وبحثاً عن ظروف ملائمة للعيش والعمل.

واشتهر منهم بنو أياد الذين استقروا في تهامة ومناطق الحجاز وقسم من بلاد ما بين النهرين القريبة من نواحي الخليج. فيما القسم الآخر تركز في البحرين. وبرع هؤلاء القوم بالأعمال الحربية فذاع صيتهم بعد انتصارهم على أحد ملوك الدولة الساسانية في بلاد فارس. لكن سابور الثاني استطاع في نهاية الأمر دحرهم والقضاء عليهم.

وهناك قبيلة أخرى تعود بنسبها إلى بني عدنان وتسمى القبيلة البكرية نسبة لبكر بن وائل.

وبعد حين دخلت قطر ومناطق البحرين تحت سيطرة اللخميين حلفاء الفرس. وقبل ظهور الإسلام توزعت ديانات القبائل القطرية مثل باقي القبائل على ما كان معروفاً من الأديان كاليهودية، والمسيحية والمزدكية، فيما بقيت الأكثرية الساحقة وثنية.

قطر في ظل الإسلام

سنة ٦٣٠م ٨ هـ قام النبي محمد ﷺ بحملة على واحة تبوك الواقعة في شمالي بلاد الحجاز ومنها بادر إلى التفاوض مع المناطق المجاورة، وكان نتيجة المفاوضات أن خضع السكان فأمنوا على الأرواح والأعناق وكل الممتلكات. واشترط لأجل ذلك أن يتم دفع الجزية. وكانت مقنا الواقعة على ساحل الخليج أولى المناطق التي نالت الأمان. ويذكر الدكتور فيليب حتي أن سكانها كانوا من اليهود الذين يمارسون صناعة الحياكة وصيد الأسماك.

ويقال بأن حاكم البحرين دُعي من قبل النبي محمد إلى اعتناق الإسلام بموجب كتاب خاص، فلبى الدعوة وأعلن إسلامه وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم.

وفي السنة التي تلت وفاة النبي محمد ﷺ أعدت العدة للفتح بعد أن انتهت حروب الردة داخل الجزيرة العربية. ومما لا شك فيه أن الإسلام أثّر بشكل كبير في عقلية العرب بحيث أن تعاليمه السمحاء بدلت المفاهيم التي كانت سائدة آنذاك، وفي مستوى آخر أثرت لناحية امتداد سلطة المسلمين إلى أقطار ومناطق جديدة، لفتح فارس والدخول إلى مناطق سيطرة البيزنطيين في فلسطين ولبنان وسوريا.

واستطاع الإسلام أن يهدم الروح القبلية، والعنصرية القائمة على الانتماء إلى جنس بشري معين، وعلم أن معتنقي الإسلام كلهم كتلة واحدة، لا تفاضل بينهم ولا درجة متقدمة لأحدهم على الآخر. وهناك عبارة شهيرة في هذا السياق تقول: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى». وحتم الإسلام الطاعة لله، والطاعة للرسول، والطاعة لأولي الأمر في الأمة ما أطاع ولي الأمر أوامر الله.

ولا شك أن هذه التعاليم أثرت في العرب، ورفعت مستوياتهم العقلية والفكرية، واستطاع هؤلاء الأقوام أن يفهموا أن الله لا مادة له، وهو واسع السلطان، والعلم.

وكان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب، فارتفعت قيمة أشياء، وانخفضت قيمة أخرى. وتبدلت نظرتهم إلى أسس الحياة ومقوماتها.

وتجدر الإشارة إلى التعاليم التي طبقها المسلمون عند الفتح وهي تتلخص أو تقضي بأن يدعوا أهالي البلدان المفتتحة إلى دخول الإسلام والحصول على الأمان. واختلط الفاتحون بسكان البلاد الجديدة الداخلة تحت راية الإسلام، واشتركوا معاً في الحركة الاقتصادية والاجتماعية، حتى أن أكثر من نصف سكان الكوفة كانوا من الموالي، وكان هؤلاء يحتكرون الحرف والصناعة والتجارة وأكثرهم من الفرس جاؤوا الكوفة كأسرى حرب ثم أعتقوا ودخلوا الإسلام لكنهم ظلوا بحاجة إلى حماية المسلمين. وأصبح العنصر العربي والآخر الأجنبي ممتزجين تماماً في فارس والشام ومصر والمغرب، وحتى جزيرة العرب نفسها لم تعد جزيرة العرب، بل صارت جزيرة المسلمين جميعاً، فقد كانت المدينة مقر الخلافة في عهد الفتوح الكبرى والخلفاء الراشدين، فكان والحالة هذه يقصدها الرسل وذوو الحاجات من الأمم الأخرى، ويأتي إليها الأسرى.

وقد طبق الخليفة عمر بن الخطاب تدابير تقضي بمنع توزيع الغنائم والسبي إلا داخل مقر الخلافة، فامتلأت المدينة وما حولها بالعناصر غير العربية. وكان أن قتل عمر على يد أبي لؤلؤة الفارسي، بالإضافة إلى أن مكة والمدينة باتتا مقصداً للحجاج المسلمين من كافة أنحاء العالم الإسلامي آنذاك. كما جعل جزيرة العرب شائعة بين المسلمين، تختلط فيها العناصر المختلفة، وأصبح شأنها في ذلك على غرار الممالك الأخرى إنما بقي العنصر العربي طاغياً داخل مناطق الجزيرة العربية.

وتوالت عهود الخلفاء الراشدين خلال المرحلة الأولى من عمر الدولة الإسلامية الناشئة. وبعد اغتيال عمر لم تلبث الخلافة أن انتقلت إلى عثمان

بن عفان الذي اغتيل بدوره هو الآخر، وقامت قيامة معاوية بن أبي سفيان الذي راح يطالب بالثأر لدم عثمان، وقد تولى علي الخلافة. وكان الإمام علياً رضي الله عنه ابن عمر الرسول محمد ﷺ فأصبح هدفاً لمطالبة معاوية بالاقتصاص من قتلة عثمان، وما لبث أن تحول إلى اتهامه بأنه هو من يقف وراء اغتيال الخليفة الثالث طمعاً بوراثته وهذه الأسباب دفعته إلى موقعة صفين الشهيرة وظهور الخوارج الذين سوف يسيطرون على قسم من مناطق الخليج ومن ضمنها قطر.

الخـوارج

خلال معركة صفين بين جيشي علي ومعاوية، وبعد أن بقي الأمر سجالاً بادىء الأمر، طلب معاوية تحكيم كتاب الله. إلا أن معاوني علي رفضوا الأمر معتبرين أن ذلك حيلة، وأنهم إنما يحاربون في سبيل كلمة الله ونصرتها.

لكن بعد طول تردد قبل علي بالتحكيم حقناً لدماء المؤمنين، ولأنه كان ورعاً طيب القلب.

واختار معاوية عمراً بن العاص ليمثله في عملية التحكيم. أما علي وصحبه فاختاروا أبا موسى الأشعري. ومقابل هذا الموقف الذي وقفه علي وبعض معاونيه برز موقف آخر أعلنه قوم ينتمون إلى قبيلة تميم رفضوا أن يصار إلى التحكيم لأن الأمر واضح، معتبرين أن قبول علي به هو تراجع عن أحقيته بالخلافة. ورأوا أن في ذلك خطأ كبيراً. ونادوا بأن «لا حكم إلا لله». فسرت هذه العبارة بشكل سريع وتجاوب معها العديد من المسلمين وأصبحت شعار هذه الطائفة.

وذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك حين طالبوا علياً بالتراجع عن قبوله بالتحكيم والإقرار بخطئه وكفره ونقض الاتفاق الذي أبرم مع معاوية. لكن علياً رفض الأمر وأبى التراجع عن اتفاق كان قد وقعه.

وبعد فترة وجيزة انضم إليهم عدد آخر من جيش علي واجتمعوا في أحد المنازل، وخطب فيهم أحد الحاضرين بقوله: «أما بعد فوالله ما ينبغي

لقوم يؤمنون بالرحمن، ينيبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا. . . آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق، وإن مُنَّ وضُرَّ، فإنه من يَمنّ ويُضرُّ في هذه الدنيا فإن ثوابه يوم القيامة رضوان الله عز وجل، والخلود في جناته، فاخرجوا بنا، إخواننا، من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة».

وبعد ذلك خرجوا فعلاً إلى مكان قريب من الكوفة، إلى قرية تسمى «حرُوراء» وسموا حينذاك بالحرورية نسبة إلى هذه القرية وبالمحكِّمة أي الذين لا يقبلون إلا بحكم الله، «لا حكم إلا لله». وأمروا عليهم رجلاً منهم اسمه عبدالله بن وهب الراسي واشتق اسمهم من حكاية خروجهم على علي وصحبه.

واستطاع علي أن ينازلهم في وقعة النهروان ويهزمهم، بعد أن قتل منهم خلقاً كثيراً إلا أنه لم يتمكن من إبادتهم. وقد زاد حقدهم عليه وكرههم له، ودبروا مكيدة لاغتياله فقتله عبدالرحمن بن ملجم الخارجي الذي كان متزوجاً من امرأة قتل معظم أفراد أسرتها في موقعة النهروان.

ومن ناحية ثانية رفض الخوارج الاعتراف بشرعية حكم معاوية والأمويين واستمرت الحرب بين الفريقين، وأظهر الخوارج شجاعة نادرة وأدركوا بعض الأحيان الغلبة على الدولة التي عانت منهم كثيراً. وكانوا فرعين:

١ ـ الفرع الأول: تركز في العراق وما حوله ومن أهم مراكزه البطائح قرب البصرة، وقد استولوا على كرمان وبلاد فارس وهددوا البصرة واشتهر من رجالهم نافع بن الأزرق وقطري بن الفجاءة.

٢ ـ الفرع الثاني: في جزيرة العرب وقد استولى على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف. ومن أشهر أمرائهم أبو طالوت، ونجدة بن عامر.

ولم يتمكن الأمويون من التغلب على الخوارج إلا بعد حروب طويلة وشديدة استمرت طول عهد الدولة الأموية.

أما في قطر والبحرين فتمكن الخليفة عبدالملك بن مروان من الانتصار عليهم خلال فترة ولايته سنة ٧٣هـ، ٦٩٢م.

تعاليم الخوارج

ابتدأ الخوارج بالتعبير عن أمور تتعلق بالخلافة فقالوا بصحة خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وصحة خلافة عثمان خلال المرحلة الأولى من حكمه، لكنه ما لبث أن بدّل سيرته وآراءه وأتى بأعمال استوجبت عزله وفق منظورهم، وأقروا بصحة خلافة علي لكنه غالطوه بقبوله مبدأ التحكيم. وطعنوا بأصحاب معركة الجمل طلحة والزبير وعائشة، وأكدوا كفر أبي موسى الأشعري وعمروٍ بن العاص لقبولهما التحكيم والقيام به خلال صفين.

وكانت لهم نظرية تتعلق بالخلافة وبمن يجب أن يتولى أمور المسلمين حيث اعتبروا أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، والذي يقع عليه الاختيار يجب أن يحكم، ولا يحق له التنازل أو الاعتزال، وأن حق كل مسلم في الترشيح لمنصب الخلافة حق مقدس، وليس ضرورياً شرط الانتماء إلى قبيلة قريش. وسموا من تولى أمورهم أمير المؤمنين وخالفوا آراء الشيعة بالنسبة لقولهم بحق آل البيت بالخلافة دون سواهم وحق قريش الذي يقول به أهل السنة.

بدأوا كحركة سياسة ثم دخلوا في متاهات لاهوتية تركت أثر الأزارقة واضحاً على الحركة، وأتباع نافع بن الأزرق، فقرروا أن العمل بأوامر الدين من صلاة وصيام وصدق وعدل هي أجزاء من الإيمان وليس الإيمان هو فقط الاعتقاد وحده. فمن اعتقد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين، وارتكب الكبائر فهو كافر.

وهكذا فإن الخوارج لم يكونوا وحدة تتمتع بالحفاظ على تماسك داخلي شديد؛ فالطبيعة القبلية جعلتهم يختلفون سريعاً، وينضمون تحت قيادة ألوية متنافرة مختلفة يضرب بعضها البعض الآخر، لكنهم في المقابل اتفقوا على الأمرين السابقين. ومن فرقهم النجدات، أتباع نجدة بن عامر وأهم

تعاليمه التي انفرد بها، أن المخطىء بعد أن يجتهد معذور، وأن الدين أمران، معرفة الله ومعرفة رسوله، وما عدا ذلك فالناس معذورون بجهله إلى أن تقوم عليهم الحجة. كذلك اشتهرت فرقة الأباضية لكنها لم تتطرف شأن الأزارقة.

يذكر أن أكثر الذين اعتنقوا مبدأ الخوارج هم من العرب البدو، على أن بعض الموالي انضموا إليهم نظراً إلى نظرتهم الديمقراطية بالنسبة لمنصب الخليفة الذي لا يجب أن يكون حكراً لفئة معينة. فهؤلاء الموالي وجلهم من الأعاجم كان في مصلحتهم إزالة جميع الحواجز التي تحول دون وصولهم إلى مراكز عالية داخل الدولة الإسلامية.

لكن بالرغم من هذا كله بقي عدد الموالي قليلاً جداً داخل صفوف الحركة لأن البدو كانوا شديدي العصبية لجنسهم وأعراقهم ويحتقرون الموالي معتبرينهم أقل مرتبةً منهم وأدنى مستوى.

وعلى وجه الإجمال عرف عن الخوارج أمران اثنان ميزاهم خلال مراحل تاريخهم، وهما:

١ ـ التشدد في أمور العبادة وفرائضها، فهم كما تدل المصادر العديدة من أهل الصوم والصلاة، يكرهون الكاذب وأصحاب المعاصي.

٢ ـ الأمر الثاني هو إخلاصهم لعقيدتهم واستماتتهم في الدفاع عنها، ولهذا عطفت عليهم العوام، وقد روى بعضهم عن الإمام علي رضي الله عنه أنه في أواخر أيامه قال: «لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه».

أما تاريخ الخوارج فمملوء بالشجاعة النادرة، وكانت النساء منهم يقاتلن إلى جانب الرجال ويذكر صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً وأحسنهم بالدين تمسكاً.

واشتهر منهم كذلك بعض الخطباء مثل أبي حمزة وقطري بن الفجاءة. أما في الأدب فتذكر ابن المثنى.

وقطري هذا سمي كذلك نسبة إلى قطر مكان ولادته. وكان يعد من أشجع الشجعان في أيامه، لا يختشي الموت، واستطاع إنزال الهزيمة تلو الهزيمة بالعساكر التي أرسلها الحجاج بن يوسف الثقفي لمقاتلته، ويقي يناوىء الدولة وعمالها حتى سنة ٦٩٧م عندما قتل.

الشيعة

لا بد من إلقاء الضوء على بدايات ظهور الحركة الشيعية التي أسست لحركة القرامطة الذين استطاعوا أن يقيموا لهم دولة في البحرين ولذلك سوف نولي هذا الأمر أهمية كبيرة.

وكانت الإطلالة الأولى للجماعة الشيعية بعد وفاة النبي ﷺ وقد رأوا أن أهل النبي وأقاربه هم أحق الناس بالخلافة، وعلى رأس هؤلاء العباس الذي كان عم النبي فهو أقرب إليه من ابن عمه علي بن أبي طالب. وظهرت الفكرة إلى الدعوة أول الأمر بشكل بسيط جداً.

ورأى جمع من الصحابة أن الخلافة يجب أن يفوض بها إلى علي كونه المؤتمن على أمور الدين وليس من الجائز أن يفوض بها إلى الأمة لكي تقرر بشأنها. ونشأت فكرة الوصية بمعنى أن النبي ﷺ يجب أن يوصي بها إلى أحد ثقاته ليكون مؤتمناً على الدين والدنيا بعده. ولقب علي بالوصي دون أن يكون هناك نص مكتوب أو وثيقة مدونة تثبت هذا الموضوع، وانطلق أصحابه من أن علياً كان حاضراً في الكبيرة والقصيرة وساعد الرسول في كل المسائل التي طرأت أثناء حياته.

وينظر هؤلاء إلى أن علياً ليس إماماً بطريق الانتخاب بل بطريق النص وعلي أوصى لمن بعده ليخلفه. ولذلك انتشرت كلمة الوصي بين الشيعة، ومن هنا قالوا بعصمة الأئمة وبعدم خطئهم كونهم أولياء من قبل الله ولا يجوز أن يقعوا في المعصية.

أما أهم الفرق الشيعية فهي الزيدية والإمامية، فالأولى من اتباع زيد بن حسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومذهبهم من أقرب المذاهب الشيعية إلى أهل السنة وأكثرهم اعتدالاً.

وقد انتهى زيد بعد ثورته على هشام بن عبدالملك الخليفة الأموي فقتل وصلب سنة ١٢١هـ وخرج بعده ابنه يحيى فقتل هو الآخر بعد أربع سنوات. ولا تزال الزيدية منتشرة إلى اليوم في اليمن.

أما الإمامية فقد حملت هذه التسمية لأن أهم عقائدها تركزت على الإمام وأن النبي محمد أعطى هذه الرئاسة أو الإمامة من بعده لعلي. لكن الخلفاء مثل أبي بكر وعمر اغتصبوها. وهي تقول بأن الإمام هو جزء من الإيمان والعقيدة. وأشهر فرقهم الإثنا عشرية التي تسلسل الأمر إلى اثني عشر إماماً تقف عند إسماعيل بن جعفر الصادق.

ولما كانت الدعوة العباسية تنشط على المسرح السياسي خاصة في المناطق الشرقية من الخليج العربي وأرض فارس، لأن ذلك الإقليم هو المناخ الطبيعي لترعرع دعوة تناوىء البيت الأموي وتسعى لتقويضه. ومن خراسان، أكبر أقاليم بلاد فارس طفق العباسيون ينشرون دعوتهم، ويعملون على تمكينها في القلوب، متسلحين بالكتمان، متسترين بحلهم وترحالهم بزي التجار. وبدأت هذه الدعوة تشكل تيارها الجارف وخطرها الكبير على الدولة الأموية حين ألقت بمقاليدها إلى واحد من أفذاذ التاريخ حنكة ودراية وحسن سياسة وقوة عزيمة، هو أبو مسلم الخراساني سنة ١٢٨هـ.

ولما قدر أبو مسلم الخراساني أنه يستطيع الانطلاق من موقع القوة رفع الراية السوداء، شعار العباسيين، وأعلن في ١٥ رمضان سنة ١٢٩هـ الثورة على الدولة الأموية. وانضمت إليه جماهير الفرس من هراة وجوشنج ومرو الروذ والطالقان ومروونسا وابيورد وطوس وسرخس وبلخ والصاغنيان وطخارستان وختلان وكش ونسف، فتوافوا جميعاً مسودي الثياب، وقد سودوا أنصاف الخشب التي كانت معهم وسموها كافر كوبات، وأقبلوا فرساناً وحمارة، وبلغ عددهم حينها مئة ألف رجل.

وسرعان ما سيطر أبو مسلم على الأقاليم الفارسية التي كانت في أيدي الولاة الأمويين، «وأخذت الدعوة العباسية تسعى لجمع كل عناصر التذمر تحت لوائها وتسيرها لخدمتها، فبعثت الوعي عند الفرس وقوت فيهم روح التوثب والسيادة، بل روح إحياء الأمجاد القديمة المفقودة.

ثم زحفت جيوشه على العراق فاحتلت قسماً منه وأعلنت الحكم العباسي بمبايعة عبدالله بن محمد أبو العباس الذي عُرف بالسفاح، في مسجد الكوفة عام ١٣٢هـ الموافق سنة ٧٥٠م. وقد أطلق عليه هذا اللقب بعد أن استهل خطبته في مسجد الكوفة بقوله: «أنا السفاح المبيح...».

وما كاد أبو العباس يُبايع بالخلافة حتى أمر بإبادة الأمويين، وسارع الخليفة الأموي مروان بن محمد لدفع الخطر في محاولة يائسة، والتقى الجيش الخراساني وقد انضم إليه موالي العراق، بجند الشام على الضفة اليسرى من الزاب الأكبر، ودارت بينهما معركة مصيرية عنيفة استمرت تسعة أيام وأسفرت عن التجاء مروان إلى الموصل مع فلول جيشه، فتعقبه الجيش الخراساني، فانهزم متراجعاً إلى دمشق، ومنها إلى فلسطين، وظل يحارب متقهقراً حتى دخل أرض النيل. وكانت آخر معركة قاتل فيها العباسيين قرب أبي صير حيث سقط قتيلاً، فاحتزّ رأسه وحمل إلى السفاح في الكوفة. وبذلك انتهى حكم بني أمية وحل محله حكم العباسيين.

ويعتبر بروكلمان في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية» أنه «بسقوط الأمويين خسر العرب عموماً لا السوريون وحدهم، السيادة المطلقة في الإسلام. وإذا كان العباسيون مدينين بالنصر للشرق الإيراني، وإذا كان تنظيم الخراسانيين العسكري قد ضمن لهم نصيبهم من النصر، فقد رجحت كفة الفرس في الإسلام، بعيد قيام الدولة الجديدة، وإن لم يستطيعوا أن يقهروا نهائياً، العنصر العربي الذي ظل أفراده يشغلون مراكز رفيعة في الإدارة والجيش، ويجدون سناداً قوياً في السلالة الهاشمية الحاكمة». على كل حال، احتفظت اللغة العربية، في الأمبراطورية الجديدة، بسلطانها المطلق في المعاملات الرسمية وفي مجمل الحياة الفكرية، وفي الدين فوق كل شيء.

والواقع أن الموالي الذين أيدو الدعوة العباسية، وكانوا من أقوى أسلحتها في القضاء على الدولة الأموية، أخذوا بفكرة نقل الخلافة إلى آل البيت، دون أن يفكروا في أن آل العباس غير آل علي، وأن هؤلاء سيلاقون في عهد العباسيين من الاضطهاد مثل ما لاقوه خلال العهد الأموي.

وهكذا عاد العلويون إلى النضال السري، في سبيل الاستيلاء على

الحكم الذي يعتبرونه حقاً مقدساً لهم، ولا سيما بين الموالي الذين باتت تشدهم إلى العلويين رابطة القربى بعد أن تزوج الحسين بن علي حفيد الرسول أشهر بانون ابنة آخر الملوك الساسانيين. وكثيراً ما كان آل البيت أبعد ما يكونون عن هذه الحركات، وليس لهم أية علاقة بها، لا بل تتنافى هذه مع عقائدهم وأهدافهم. ولكن التشيع لعلي والانتصار للعلويين صار المظلة التي يستظل بها كل ثائر أو متمرد. من ذلك الحركة الروندية التي ادعت أن قبساً من النور الإلهي قد تجسد في علي بن أبي طالب، ثم في الأئمة واحداً بعد الآخر، فهم آلهة وأبو جعفر المنصور إله وعبادته واجبة على المؤمنين.

وحدثت ثورة الزنج التي قام بها علي بن محمد بعد أن اختلق لنفسه نسباً يربطه بوشائج القربى بالبيت العلوي، مستغلاً تردي الأوضاع إثر طغيان العنصر التركي في أواخر العهد العباسي بعد طغيان العنصر الفارسي في مستهله، دايعاً الرقيق إلى الثورة والالتحاق بالولايات التي سيطر عليها.

وبينما الدولة العباسية تعاني ما تعانيه من أمر الزنج، برزت على سطح الأحداث الحركة القرمطية كحلقة من سلسلة الثورات التي نشبت قبلها. غير أن هذه كانت تختلف عن سالفاتها في الغاية والجوهر. فبينما كانت الثورات التي تسمت بالعلوية تتسم بعدم تبلورها الفكري والتنظيم العسكري، ويعوزها تفاني رجالها أيام المحن، وكان كل منها أشبه ما يكون بكبش الفداء للأخرى، كانت الحركة القرمطية، وهي إحدى فرق الإسماعيلية، وتنسب لصاحب الدعوة حمدان قرمط بن الأشعث، تعمل بأناة وتنظيم وبموجب منهج ومخطط سابقين مستعينة على أمورها بالخفاء والتستر، واضعة نصب عينيها، بإثارة اتباعها واستغلال الاستياء العام من السلطة، أن تسدد الضربة القاضية لها، وتقيم دولتها على أنقاضها، متشربة روح الثورة الخرمية التي ظهرت سابقاً في فارس ومشبعة بالعقائد الإيرانية القائلة بالنعمة اللدنية، وبالنظريات الفنوستية التي تعود بأصلها إلى النساك، وبعض عناصر من الفلسفة اليونانية، وأخرى من المانوية ديانة الطبقة الممتازة، لتظهر في عقيدة باطنية تتلاءم مع الميل المعروف في الشرق إلى تأسيس الجمعيات السرية.

وكان مستهل هذه الحركة في ضواحي مدينة الكوفة حيث أنشأ حمدان

القرمطي مركزاً جديداً للدعوة الإسماعيلية سماه «دار الهجرة» فتوافدت إليه جموع القرويين وأبناء المدينة، بدافع من روح العلم لسماع مواعظه. وتطورت من ثم هذه النواة حتى غدت ذات خلايا منظمة تتسع وتنمو حتى انتشرت في أكثر مناطق الخليج العربي.

أما البغدادي فيقول في كتابه «الفرق بين الفرق»: «إن القرمطية فرع من فروع الدعوة الباطنية التي أسسها في سجن بغداد جماعة منهم ميمون بن ريعان المعروف بالقداح ومحمد بن الحسين الملقب بذيذان، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن، ثم ظهر في دعوته إلى دين الباطنية رجل يقال له حمدان قرمط، لقب بذلك لقرمطته في خطه أو في خطوه، وكان في ابتداء أمره حارثاً من أكرة سواد الكوفة وإليه تنسب القرامطة».

يضيف البغدادي: «... وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين. فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى موافقة أسسهم». ثم يضيف: «... ثم إن الباطنية لما تأولت أصول الدين على الشرك، احتالت أيضاً لتأويل الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس. والذي يدل على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع الملذات».

ويؤكد ذلك أن الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والإحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سن اللواط، وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع يد من أطفأ ناراً بيده ويقطع لسان من أطفأها بنفخة.

وهذا الغلام هو المعروف بابن أبي زكريا الطامي، وكان ظهوره في سنة ٢١٩هـ، وطالت فتنته إلى أن سلّط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه.

وكان أول عهد هذه الحركة في ظل حكم المعتمد ٢٧٩ ـ ٢٩٠هـ

(٨٩٢م ـ ٩٠٢م) ولم تلبث حتى شرعت تزعزع أركان الدولة، إذ انتقلت من العراق، وتفشت في أنحاء سوريا باستثناء دمشق، واستشرت في البحرين والإحساء، ونفذت إلى قلب الجزيرة العربية، وامتدت إلى ربوع بلاد فارس، وكانت تعشعش في بلاط العباسيين بالذات داخل بغداد.

ولا بد من القول إنه في أواخر العهد العباسي هاجم القرامطة الكعبة المشرفة وعاثوا فيها فساداً واندفعوا بخيولهم في المسجد الحرام، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخذوا الحجر الأسود، وكان زعيمهم سليمان الجنانبي الذي ادعى أنه المهدي المنتظر يحرضهم قائلاً: «أجهزوا على الكفار وعبدة الأحجار».

يذكر أن الحجر الأسود أعيد إلى مكانه بالكعبة المشرفة عام ٣٣٩هـ ـ ٩٥٠م بعد أن بقي حوالي العشرين سنة في منطقة الإحساء.

الإسماعيلية

تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ويؤمنون بنبوة محمد ﷺ ووصاية علي بن أبي طالب وابنه الحسن، فالحسين، فعلي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، فإسماعيل، فابنه محمد بن إسماعيل. وقد انقسمت هذه الفرقة بعد الإمام جعفر الصادق إلى فرقتين:

الإثنا عشرية التي تقول إن الإمام جعفر الصادق نص على ولده الثاني موسى الكاظم بالإمامة لوفاة وليّ عهده إسماعيل قبل والده سنة ١٤٥هـ ـ ٧٦٤م فعرفوا بالإثنا عشرية لأن إمامهم الثاني عشر محمد المهدي اختفى في مدينة سامراء بعد موت أبيه.

وما يهمنا هو أن دعاة الإسماعيلية الواسعة ونظرتهم العلمية واهتمامهم بإصلاح الواقع، ثم اختلاف الوضع في المجتمعات الإسلامية، دفعهم إلى تعديل مبادئهم ونظمهم، لتتناسب مع الوسط الذي يدعون فيه، رغم كون الأسس والأهداف بينهم وبين القرامطة واحدة. وخير مثال لتوضيح ذلك فحص تنظيمات القرامطة، في كل من العراق والبحرين، فنلاحظ كيف أدى اختلاف الأوضاع في هذين البلدين إلى اختلاف التنظيمات المنوه عنها.

فمن الناحية الاثنولوجية، كان سكان السواد مزيجاً من أجناس متعددة كما مر معنا، بينما كان عامة سكان البحرين عرباً بينهم أقلية فارسية.

النظم الاجتماعية الاقتصادية

أما من الناحية الاجتماعية الاقتصادية، فكانت عامة سكان السواد يشتغلون بالزراعة مع فوارق وتباينات كبيرة في مستويات المعيشة، بينما كان أكثر سكان البحرين بدواً رعاة، وبعضهم زراع في الإحساء الخصبة خاصة، وبينهم أقلية مهمة من التجار وأخرى من الصناع وأهل الحرف.

أما من الناحية المعنوية فلم تكن في مناطق السواد عصبية عنصرية بينما تواجدت أو سادت في البحرين نزعة عربية.

ومن الناحية الثقافية نجد بساطة في التفكير، مع الجهل في السواد.

وفي السواد ألغيت الملكية الفردية، وطبقت اشتراكية تامة يعطى فيها لكل فرد حسب حاجته بحيث يكون مركزه الاجتماعي متناسباً مع خدماته.

أما في البحرين، فكانت التدابير الاقتصادية تتصف بنزعة يسارية قوية، ولكن ليست اشتراكية بالمعنى الصحيح والتام وذلك لعدم وجود التطور والتعقيد الاقتصادي الذي كان سائداً في العراق (السواد) من جهة، ولأن فعاليات سكان البحرين الاقتصادية كانت في حقول متباينة من زراعة، وتجارة، ورعي وصناعة من جهة أخرى. فأبقيت فيها الملكية الفردية، ولكن الحكومة قامت بدور مصرف زراعي صناعي لتسليف المزارعين والصناع الأموال عند الحاجة، وتشجيعهم في أعمالهم ومنع الربا لحماية الناس من جشع المرابين.

وقد احتكرت الحكومة لنفسها التجارة الخارجية، وحاولت فتح الأسواق في الخارج لتنظيم أمر الصادرات والواردات، لفائدة الناس والمصلحة العامة.

وضربت الحكومة نقوداً من الرصاص لا تقبل خارج البحرين، حتى لا تمنع تسرب الثروات إلى الخارج، وخفضت الضرائب، وألغي الخراج في

منطقة الإحساء للتخفيف عن المزارعين، وأنشئت مزارع حكومية لتوفير المداخيل للخزينة كي تستطيع الدولة القيام بخدماتها الاجتماعية.

وصفوة القول أن الحكومة اتبعت سياسة من شأنها رفع مستوى المعيشة وتوفير الرخاء لكافة أقسام الشعب.

تلاشي النفوذ داخل قطر

ترافق ظهور دولة الفاطميين في المغرب العربي أولاً مع تبدل التحالفات السياسية، فعندما تولى الحسن بن أحمد بن أبي سعيد أمر القرامطة عام ٣٥٩هـ - ٩٦٦م سالم العباسيين وحارب الفاطميين واستطاع احتلال مناطق متعددة داخل سوريا ووجه جيوشه نحو مصر، لكن الفاطميين استطاعوا صده فتراجع إلى البحرين.

وحدثت بعد ذلك منازعات متعددة، أساسها الحصول على الزعامة والسلطة، وأخذ نفوذ القرامطة بالتراجع، وبرز في هذه الأثناء اسم العيونيين ثم بنو عصفور. وفي القرن الثامن الهجري، أو الرابع عشر الميلادي، برز بنو نبهان في عُمان وسائر البحرين، وقد دام حكمهم زهاء ٢٥٠ سنة.

وفي مستهل العام ٩٢٢هـ - ١٥١٧م قدم البرتغاليون إلى المنامة وقطر والقطيف وحملوا معهم الخراب والقتل والدمار.

السيطرة العثمانية

في الوقت الذي دخل فيه البرتغاليون إلى مناطق البحرين وقطر، كانت تجري في الشرق العربي معارك استطاعت أن تقلب رأس الأمور على عقبها. فاعتباراً من السنة ١٥١٦م دخل الشرق مرحلة السيطرة العثمانية التي أنهت عهد السيادة المملوكية. واستطاعت هذه الدولة أن تمد سيطرتها فيما بعد إلى مناطق الجزيرة العربية، مقيمةً بذلك أمبراطورية مترامية الأطراف ستدوم بحكمها حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (١٩١٨).

أما بدايات السيطرة العثمانية فكان موعدها في معركة مرج دابق في شهر آب ١٥١٦م وقد انتهت باندحار المماليك وبمقتل قانصو الغوري قائد المماليك.

غزو شبه الجزيرة العربية

الجزيرة العربية لها أهمية كبرى في نظر العالم الإسلامي، وكان المماليك يفخرون بحمل لقب خادم الحرمين الشريفين، ولقد بذلوا جهوداً جبارة في الدفاع عن شبه الجزيرة ضد الأطماع البرتغالية، حيث حاول هؤلاء النزول في مناطق الحجاز وتحطيم الأماكن المقدسة بالتعاون مع الحبشة.

لذلك أرسل المماليك أساطيلهم إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي، وسيطروا على اليمن. وعندما تسلم العثمانيون زمام الموقف انتقل إليهم أمر الدفاع عن الأراضي المقدسة فقاموا بالخطوات التالية:

أ ـ بسطوا سيطرتهم على البحر الأحمر.

ب ـ ضموا الحجاز واليمن، وفرضوا نفوذهم على السواحل الأفريقية للبحر الأحمر وحاولوا إخضاع الحبشة.

الحجاز خضعت سلمياً، إذ أن بعثة ابن الشريف من مكة المكرمة والمحسب قامت بتهنئة السلطان العثماني، وسلمته مفاتيح المدينة معترفة بخضوعها للعثمانيين، فكان أن اعترف السلطان سليم بجميل ابن شريف مكة وثبته بمركزه وجعله المتصرف المطلق في أمر المدينة.

أما اليمن فقاومت بشدة السيطرة العثمانية، وذلك للاختلاف المذهبي بين العثمانيين واليمنيين، ومع ذلك تم الاستيلاء على المنطقة عام ١٥٣٨م ثم توغل العثمانيون إلى الحدود الشمالية وسيطروا على الإمارات والبحرين وقطر، وعُمان والإحساء.

وللتأكد من السيطرة على شبه الجزيرة العربية، جرّد العثمانيون ثلاث حملات بحرية، لمجابهة البرتغاليين سنة ١٥٣٨م حيث تحققِ فيها نصر جزئي. والثانية سنة ١٥٥١م بقيادة بيري باشا، حيث شتتت عاصفة بحرية الأسطول العثماني في الخليج العربي، وخسر ثلاثين سفينة. والثالثة حصلت عام ١٥٥٤م. لكنّ هذه الحملات لم تؤدِ إلى أية نتيجة حاسمة بين القوتين.

غزو العراق

كان العراق بنظر العثمانيين نقطة استراتيجية هامة لأنه يتحكم بمدخل الخليج العربي، ومن ناحية ثانية لأنه ملاصق للدولة الصفاوية الشيعية المناوئة لهم، خاصة وأن هذه الدولة لم يتم القضاء عليها بعد معركة جالديران.

وخوفاً من قيام الصفويين بأية ردة فعل مستقبلية وخوفاً من قيام تحالف بينهم وبين البرتغاليين، سيطر العثمانيون على العراق، بعد أن توجه سليمان القانوني بنفسه على رأس الحملة سنة ١٥٣٤م.

ثم تابع زحفه نحو تبريز عبر جبال زغاروس، وبعد أربع سنوات هاجم بلاد فارس مجدداً واحتل تبريز وقلعة ڤان وانتزع العراق وأحكم الطوق على الصفويين، وطردهم سنة ١٥٣٦م من المنامة وقطر والقطيف بعد حملة بحرية قوية. وفي سنة ١٥٥٥م نزلوا جزر البحرين وقطر واضطر البرتغاليون إلى الانسحاب، وعندما ضعفت السلطة العثمانية في أطراف الخليج أخذ الحكام المحليون يقومون بالثورة على عمال الدولة العلية وأعلنوا أنفسهم ملوكاً على

الإحساء، ومنهم آل حميد بنو خالد الذين مدوا نفوذهم إلى قطر سنة ١٦٦٩م، ونجد، ثم أقطعوا آل مسلم الأمر فتسلموا منهم زعامة قطر.

وخلال هذه المرحلة ظهرت الدولة السعودية التي تنسب إلى مؤسسها ابن سعود الذي استطاع سنة ١٧٨٨ أن يستولي على قطر، ثم تكررت مثل هذه الغزوة سنة ١٧٩٣. ودمرت قرية الحويلة.

سنة ١٧٩٨م شنّ والي بغداد سليمان باشا بناءً على طلب من الدولة العثمانية بالقضاء على أتباع الحركة الوهابية، هجوماً كبيراً على منطقة الإحساء، إلاّ أن الحملة أصيبت بالفشل. وخلال هذه العمليات الحربية هرب العديد من الوهابيين إلى الساحل القطري للاحتماء من خطر الدولة العثمانية.

واستطاع أحد أفراد عائلة آل خليفة سنة ١٧٦٦ أن يتولى رئاسة عشيرته، وهو محمد بن خليفة بن محمد فترك الكويت ونزل في قطر ثم التحق به الجلاهمة.

ولما أعجب أهل البلاد القطرية به ولوه عليهم فكان مثال الحاكم العادل، وأنشأ المساجد والمدارس، ويعتبر بحق مؤسس الدولة العربية الحديثة في قطر.

وآلت الأوضاع لابنه بعده لكنه لم يعمر طويلاً، فخلفه أخوه الشيخ أحمد. وبرز في هذه الأثناء الشيخ ثاني بن محمد الذي يعتبر المؤسس لعائلة آل ثاني التي استطاعت طرد الإيرانيين من البحرين وأقامت لها إمارة هناك. وسنة ١٨٤٢ عيّن الشيخ محمد بن خليفة آل ثاني حاكم البحرين عيسى بن طريف رئيس قبيلة آل ابن علي والياً على قطر من قبله، لكن هذا الأخير كان طامعاً بحكم قطر وراح يثير المشاكل في وجه الشيخ محمد ويعمد إلى تأليب القبائل القطرية ضده، وما لبث الفريقان أن تواجها سنة ١٨٤٧ فقتل عيسى بن طريف وتشتت شمله في موقعة أم سوية.

يقول مصطفى مراد الدباغ في كتابه «قطر ماضيها وحاضرها» عن هذه المرحلة. . . «ولما انتهى أمر الدولة السعودية الأولى عاد آل خليفة لحكم قطر. ولما استقام الأمر لفيصل بن تركي السعودي عام ١٨٥٠ توجه إلى

قطر، فنزلوا «سلوى» ومنها إلى «جو العريق» جنوبي قطر، وعندما وصلت الحملة إلى «قصر البدع» في الدوحة الذي كان قد حصنه علي بن خليفة بن سلمان حاكم البحرين، عهد فيصل لولده عبدالله بمحاصرة القصر والاستيلاء عليه. وبعد معارك دامية هرب علي ابن خليفة ورجاله إلى البحرين بسفنهم التي كانت بالقرب منهم واستولى عبدالله على القصر. وهكذا عادت قطر مرة ثانية تحت حكم السعوديين ووضع أهلها تحت تصرف فيصل ٣٠٠ سفينة ليستخدمها في غزو البحرين. وكان ذلك في أيام محمد بن ثاني الذي خلف والده في رياسة قبيلته، آل ثاني، وكان في مقدمة المبايعين للأمير السعودي».

ومنذ مطلع القرن الثامن عشر الميلادي ستبرز عائلة جديدة في حكم قطر هي عائلة آل ثاني التي تنتسب إلى ثاني بن محمد بن ثامر بن علي جدهم، وستبقى هذه العائلة في حكم قطر منذ ذاك التاريخ ما خلا منه فترة قصيرة اضطرت إلى مغادرتها نحو إيران بسبب حرب قبلية.

وكان لآل خليفة حكام البحرين بعض النفوذ على سلطة آل ثاني الذين حاولوا التخلص من النير البحريني، لكن لن يتم لهم بهذه السهولة. وهاجم آل خليفة قطر سنة ١٨٦٤، لكن القطريين استطاعوا الانتصار عليهم ودحرهم بعد أن كبدوهم خسائر فادحة في الأرواح وأسروا عدة مشايخ كانوا يتولون هذه الحملة. وقد حصلت هذه الواقعة عند تلال تسمى الوكرة.

وتكرر هجوم حاكم البحرين سنة ١٨٦٧ على قطر بعد أن رفضت تأدية الضريبة، لكن بريطانيا التي بات لها تواجد في البحرين وجهت إنذاراً بواسطة مندوبها إلى ابن خليفة بوجوب العودة إلى بلاده. إنما لم يتمثل للأمر وتقدم نحو الدوحة وخرّبها وتلقى مساعدة الشيخ زيد بن خليفة حاكم «أبو ظبي».

لكن القطريين عادوا واستجمعوا قواهم وشنوا هجوماً معاكساً بقيادة الشيخ محمد بن ثاني وأجبروا المعتدين على التراجع. ويبدو أن الإنكليز وجهوا الإنذار للحاكم البحريني، من جهة وتركوه يكمل هجومه من ناحية ثانية حتى يخلقوا أوضاعاً تسمح لهم التدخل في قطر ومد نفوذهم إليها.

وبالفعل فإن المندوب البريطاني «بيلي» الموجود في البحرين عقد مع محمد بن ثاني اتفاقية سنة ١٨٦٨ اشترطت إقامة حاكم قطر في أحد الموانىء القطرية وعدم تدخله في النزاعات أو الشؤون الداخلية للبحرين، وحددت الجزية التي تدفعها قطر للبحرين.

لكن الدولة العثمانية وواليها في بغداد مدحت باشا لن يتركوا الأمر على غاربه في الجزيرة العربية ومناطق الخليج نظراً للأهمية التي ذكرت سابقاً، لذلك أعدت حملة جديدة بريّة وبحريّة وعلى رأسها محمد نافذ باشا، فسيطر على الإحساء. وما لبث أن أرسل حملة سنة ١٨٧٢ إلى قطر فدخلتها وأقامت فيها حامية عثمانية وحولتها إلى قائمقامية تتبع لمتصرفية الإحساء.

تاسيس الدولة الحديثة

يذكر مصطفى مراد الدباغ عن مآثر الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني قوله: «ليس قاسم بن محمد آل ثاني مؤسس «إمارة قطر المستقلة» فحسب، ولكنه فصل كامل مليء بالبطولات من تاريخها المعاصر».

هو «أبو فهر باسم بن محمد بن ثاني بن محمد بن تامر» التميمي، ولد عام ١٨٢٤ وتولى حكم قطر عام ١٨٧٨ وتوفي سنة ١٩١٣.

وهو مؤسس إمارة آل ثاني المستقلة تحت سيادة الخلافة الإسلامية العثمانية في قطر وقد ناب عن أبيه قبل وفاته.

استطاع هذا الشيخ بما تميز به من حكمة وفضائل وخصال وطنية وقومية أن يوحد جهود القبائل تحت راية آل ثاني، وأن يخضع خصومه الصغار حتى يتفرغ لما هو أهم، أي الانصراف إلى مناوأة العثمانيين والإنكليز وهم الأعداء الحقيقيون والفعليون.

توقف عن تأدية الجزية للبحرين وامتلك من القوة ما مكنه من مهاجمة خصومه الخارجيين وشن حملة بحرية على البحرين.

وحاول الإنكليز الحؤول دون نيل قطر استقلالها، لكنها عادت لتصحيح خطأها وفصلت قطر عن التبعية للبحرين.

وأما الدولة العثمانية فحاولت عبر الإيعاز إلى مشايخ الإحساء والقطيف ومن خلال الدسائس العديدة التي حاكها محمد حافظ باشا القائد العثماني داخل الإحساء، وضع يدها مجدداً على النجاحات التي حققها الشيخ قاسم في بلاده وتكبيل قطر، وإظهاره بأنه يريد الانفصال عن السيادة العثمانية. وتابع بث الخلاف، حتى استطاع جمع جملة عسكرية سار بها إلى الدوحة. ولكن الشيخ قاسم رفض الحضور لمقابلة محمد حافظ باشا واشتبك الفريقان سنة ١٨٩٢ في الوجبة وكان في عداد الجيش العثماني بعض الكويتيين والعجمان، ولكن النصر كتب للقطريين. وفي هذه الأثناء وصل السلطان عبدالحميد الثاني إلى الصدارة العظمى فأحدث تبديلاً في مراكز القواد والولاة وتمت تسوية الموضوع.

ولم يكتفِ الشيخ قاسم بهذا الانتصار الساحق، إنما أراد أن يمد سيطرته نحو الاحساء.

ويذكر أن عائلة آل سعود نزحت إلى قطر بعد مطاردة ابن الرشيد لها وطردها من الرياض سنة ١٨٩٠ قبل أن تنتقل إلى الكويت حيث آل الصباح.

لكن في أواخر عهده حدثت منازعة بينه وبين أخيه الذي فر إلى البحرين.

إتفاقية لندن

عشية الحرب العالمية الأولى وتحديداً في فترة ١٩١٢ ـ ١٩١٣، اضطرت الدولة العثمانية إلى تسوية خلافاتها مع الامبراطورية البريطانية علها بذلك تتفرغ للحرب في البلقان، فكان مؤتمر لندن الذي أنتج اتفاقية سميت باسم العاصمة البريطانية، وقد نصت في مادتها الحادية عشرة على ما يلي:

«تتنازل الدولة العثمانية عن جميع حقوقها في شبه جزيرة قطر التي سيستمر حاكمها الشيخ جاسم بن ثاني وخلفاؤه من بعده وتعلن الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بتدخل شيخ البحرين في أمور قطر الداخلية أو ضمها إلى أراضيه».

وقد مثل الحكومة العثمانية خلال هذه المفاوضات إبراهيم حقي باشا، أما بريطانيا فمثلها وزير خارجيتها السير إدوارد غراي.

وفي هذه الاتفاقية وبموجبها حددت حدود متصرفية الاحساء فشملت شبه جزيرة قطر. ووقعت اتفاقية لندن في آذار ١٩١٤، لكن نشوب الحرب العالمية الأولى بعد ذلك بأربعة أشهر أوقف تنفيذها. وخلال الحرب العالمية الأولى وقعت الامبراطورية، اتفاقية مع حاكم قطر خلال تشرين الثاني ١٩١٦ مماثلة لما كانت اتفقت عليه مع حكام ومشايخ عُمان والبحرين، وأصبح لها حق الإشراف على الشؤون الخارجية.

عصر النفط

حصلت شركة «بريتش بتروليوم» على أول امتياز لها في قطر سنة ١٩٣٢ وذلك بغرض البحث والتنقيب عن هذه المادة الهامة التي هي البترول.

وأتاح الامتياز الذي أعطي للشركة البريطانية التنقيب عن البترول في جميع الأراضي القطرية حيث دخل حيز التنفيذ اعتباراً من سنة ١٩٣٥ ولمدة ٧٥ سنة تنتهي سنة ٢٠١٠.

وحفرت أول بئر منتجة عام ١٩٤٠ وتوقفت الأعمال خلال الحرب العالمية الثانية لتعود فتباشر مع السنة ١٩٤٧ وبحلول السنة ١٩٦٠ بلغ عدد الآبار المنتجة حوالي خمسين بئراً.

وكانت شركة شل للتنقيب فيما وراء البحار حصلت على امتياز للتنقيب تحت مياه البحر، وحملت اسم شركة شل قطر المحدودة، ومدة امتيازها ٧٥ عاماً تنتهي عام ٢٠٢٧م.

وما تجب الإشارة إليه أن عمليات التنقيب عن البترول ليست سهلة وبسيطة بل تتصف بصعوبة التحريات، وفي حال العثور عليه تصبح عملية استخراجه سهلة لكنها باهظة التكاليف. وتتطلب عملية التنقيب عادةً الأمور التالية:

١ ـ دراسة جيولوجية مفصلة للمنطقة التي يجري التنقيب فيها.

٢ ـ سبر المنطقة بطريقة دقيقة محكمة، للتأكد من وجود المادة عن طريق دراسة العينات الصخرية أو الوصول إلى البترول مباشرة.

٣ ـ مهارات تكنولوجية وأموالاً باهظة، ومن هنا صعوبة قيام الأفراد بهذه المهمة التي تتطلب استخدام شركات ذات رؤوس أموال ضخمة في النظام الرأسمالي.

أهميته الاقتصادية

شكل البترول ركيزة الاقتصاد القطري الحديث، بالإضافة إلى مشتقاته العديدة خاصة الغاز الطبيعي حيث تحتل قطر اليوم مركزاً مرموقاً بانتاجه وتصديره.

وكان للصناعات البتروكيمائية أثرها الاقتصادي الواضح الذي انعكس على حياة الأفراد وزاد دخل البلاد، وجعلها اليوم تسير في ركب المدينة الجديدة، فتزدهر فيها الحياة العمرانية والصناعية والتجارية.

الخلافات الحدودية

الحدود السعودية ـ القطرية

إن هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى أمام الحلفاء، وانسحابها من جميع المناطق التي كانت تحتلها في الجزيرة العربية، أو الشرق الأوسط عامة، جعل هذه المناطق والولايات القديمة بحاجة إلى توضيح حدودها، وجعل سيادتها الوطنية تنطبق على رقعتها الجغرافية لأن تبدل السلطة الأجنبية بسلطة أخرى، وطنية أو أجنبية أوجد الحاجة إلى ضرورة تطبيق معايير جديدة تلائم الأوضاع القائمة.

وكانت المملكة السعودية قد حلت محل العثمانيين في مناطق الإحساء والحجاز فيما بعد، عندما اضطر الشريف حسين للرحيل بعد أن خذله البريطانيون. في الوقت عينه كانت بريطانيا تقوم بحماية المشيخات العربية في الخليج العربي في عُمان وقطر.

وابتدأت المفاوضات حول الحدود بين الفريقين في لندن، والرياض وجدة خلال السنوات ١٩٣٤ ـ ١٩٣٨، ثم توقفت بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية، لتعود فتستأنف عام ١٩٤٩ لكنها لم تصل إلى أية نتيجة. واتفق البريطانيون مع السعودية على عقد مؤتمر عام تحضره الأطراف كافة، وتم عقد هذا المؤتمر في منطقة الدمام السعودية بين شهري كانون الثاني وشباط ١٩٥٢، بحضور حاكم قطر وأبو ظبي، ووزير الخارجية السعودي والمندوب البريطاني في الخليج روبرت هاو. لكن المؤتمر لم يتوصل إلى نتائج حاسمة.

فالسعودية رفضت الأخذ بمطالب قطر في هذا المؤتمر بأن تبدأ

حدودها في خط يبدأ عند غار البريد قرب دوحة سلوى، ومن هناك يتجه شرقاً عبر ثلاث أماكن هي: حزم سودة وناثيل وعقلة المناصير، ويبلغ نقطة خور العديد على الساحل، بالإضافة إلى احتفاظ قطر برقعة من الأرض يبلغ مدى عمقها ٢٥ ميلاً تشكل قاعدة شبه الجزيرة وكانت ضمن المطالب السعودية.

وسنة ١٩٦٥ حصل اتفاق ودي دون أن يتم توقيع أي من الطرفين المعنيين عليه.

وبعد مشاكل حدودية مع البحرين تنازلت قطر عن الشريط الحدودي في منطقة خور العديد التي باتت بأكملها ضمن الأراضي السعودية.

وخسرت قطر المعركة حول الحدود عندما اضطرت للقبول أو العودة إلى اتفاق ١٩٦٥ مع السعودية، إثر الوساطة التي قادها الرئيس المصري حسني مبارك في كانون الأول ١٩٩٢ بعدما اجتمع الملك السعودي فهد بن عبدالعزيز والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني في المدينة المنورة. لكن قطر لم تحصل إلا على تعاون بسيط وبالمقابل تنازل بسيط هو الآخر من قبل السعوديين، وهو قبولهم بالإعداد لخريطة ثانية للحدود يتم انجازها خلال سنة.

ويذكر في سياق هذه الأزمة الحدودية أن الخلاف نشب بعد قيام قوات من حرس الحدود السعودي بمهاجمة مخفر حدود قطري في الخفوس جنوب شبه الجزيرة ويبعد عن الساحل عند خور العديد مسافة كلم واحد. وقد قتل أثناء الاشتباك جنديان قطريان، وكان الرد القطري إلغاء اتفاق سنة ١٩٦٥ حول مسائل الحدود من طرف واحد. والثاني القيام بحملة انتقادات عنيفة ضد السعودية لم تتوقف إلا بعد تدخل عدد من الدول العربية، وخاصة دول مجلس التعاون الخليجي.

مسائل الحدود القطرية البحرانية

كنا قد أشرنا إلى الخلاف بين قطر والبحرين حول عدد من المسائل الحدودية، وبالفعل عُرضت القضية على محكمة العدل الدولية في لاهاي بناء لطلب منفرد تقدمت به قطر بتاريخ ٨ تموز ١٩٩١.

وكانت البحرين تقدمت باعتراض عليه بتاريخ ١٨ آب ١٩٩١. وتم الاتفاق بين رئيس المحكمة وممثلي الطرفين على أن تنظر المحكمة فقط في أساس الطلب القطري من دون التطرق إلى أمور الخلاف بين البلدين حول تحديد الحدود البحرية والمسائل الاقليمية.

ويذكر أن البحرين تطالب بحقوق في «الزيارة» وبعض المناطق البحرية التي سبق لها أن مارست سيادتها عليها.

وتم الاتفاق أن يُصار إلى طرح الأمور التالية أمام المحكمة:

١ ـ إن الطرفين سيمثلان أمام المحكمة بكامل هيئتها.

٢ ـ إن الطرفين سيتوجهان إلى المحكمة وفقاً لاتفاق خاص يشكل أساساً لموضوع اختصاص المحكمة.

٣ ـ إن الطرفين لم يسبق أن وافقا على فكرة تقدم أحدهما بطلب منفرد حتى في حالة اختيار طريق بديل عن التقدم المشترك.

٤ ـ إن ما عرف بالصيغة البحرانية كان حلاً ممكناً في ما يختص بالتقدم بطلب مشترك إلى المحكمة.

٥ ـ إن الطرفين اتفقا على تضمين قضية الزيارة باعتبارها إحدى القضايا المختلف عليها.

الدولة المستقلة ومشاريع التنمية

نالت دولة قطر استقلالها في ٣ أيلول ١٩٧١، وقد أعلنه أميرها الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني.

وخلال عشر سنوات على الاستقلال خطت هذه الإمارة الفتية خطوات جبارة في جميع المجالات، واختارت أن تتقدم باستمرار وأن تعيش مع عصرها وتواكب ركب التطور الحضاري، غايتها بناء الإنسان القطري قبل بناء العمارات والمصانع والمدارس والمستشفيات.

وسوف نحاول من خلال إلقاء نظرتنا على بعض الانجازات أن نلاحظ أهمية التطور الذي بلغته هذه البلاد.

أ ـ في المجال العلمي

نظرت دولة قطر إلى شبابها على أنهم أعظم ثروة لديها، وأبقى وأقدر إمكاناتها وقدراتها، ورأت أن التنمية الحقيقية التي تعتز بها هي التنمية البشرية، فقد حرصت على التربية الشمولية المتكاملة والمتوازية، التي تعنى بالروح العلمية والثقافية والفنية، وتتيح لأجيالها فرص التعليم بتكافؤ تام، حسب الإمكانات والاستعدادات والقدرات، كما توفر لأبنائها فرص العمل بعد التخرج حتى يأخذ الشباب دوره في معركة البناء.

وفي إطار النهضة التعليمية التي حققتها الدولة كان الحرص على مجانية التعليم في كل مراحله والنهوض المستمر في مستوى المعلمين وتطوير الكتب والمناهج والمباني المدرسية.

وكانت الدولة رصدت لسنة ١٩٨١ وهي الذكرى السنوية العاشرة للاستقلال موازنة تربوية وصلت إلى ٦٧٨,٦ مليون ريال قطري في مقابل ٥٢٧,٢ مليون ريال للعام السابق.

وتشير الإحصاءات إلى زيادة أعداد المتعلمين في كافة مراحل التدريس وفي الدراسات العليا، والدكتوراه.

أما جامعة قطر فتضم الكليات التالية: التربية، العلوم، الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، الشريعة والدراسات الإسلامية، بالإضافة إلى كلية الهندسة. ولم يقتصر الأمر على المدارس والتعليم الجامعي ومراكز البحوث إنما تعداه إلى إنشاء مراكز للتدريب والتطوير المهني وإجراء التوسيعات والإضافات اللازمة في دار الكتب القطرية.

الصناعة

تسير التنمية الصناعية وفق تخطيط علمي مدروس من أجل إقامة القاعدة الصلبة للاقتصاد الوطني.

واستطاعت الدولة أن تنتهي من جميع البرامج التي وضعتها للتصنيع الثقيل منفذةً بذلك كل الخطط بدقة تامة.

وحققت صناعة الحديد والصلب أرقاماً قياسية، بالإضافة إلى تطور صناعة الأسمدة الكيماوية بحيث تصل إلى أعلى المستويات العالمية.

أما في مجال تكرير النفط فإن محطات التكرير استطاعت أن تحقق قدرات إنتاجية ضخمة وعالية.

ووصل إنتاج النفط اليومي إلى عشر آلاف برميل في ١٩٨١ في حين أنه بلغ في أول مصفاة مقداراً يومياً هو ٦٠٠ برميل سنة ١٩٥٣.

بالنسبة للصناعات البروكيماوية فقد أنتجت البلاد الاتيلين والبلاستيك ومواسير المياه وغيرها.

وتم خلال سنة ١٩٨١ تحميل الشحنة الأولى من الغاز الطبيعي القطري، من مشروع إنتاج الغاز المسيل، وبلغت الكمية المصدرة ٣٠ طناً من غاز البوتان والبروبان. ويقوم مشروع الغاز الطبيعي المسيل على معالجة الغاز المصاحب الذي ينتج من حقول النفط البحرية، ويصل إنتاج المشروع يومياً إلى ٢٢٠ طناً من غاز البروبان و٧٣ طناً من البوتان و٧٣ طناً من المكثفات.

وقد استغرق العمل في مشروع معمل الغاز مدة خمس سنوات، بهدف الاستفادة منه في معظم الصناعات القائمة ومحطات توليد الكهرباء وتحلية المياه.

الزراعة

توجه الدولة عناية خاصة إلى تطوير الزراعة، وإثراء محاصيلها من الخضر والفواكه وغيرها وزيادة الرقعة الزراعية وإقامة مزارع التجارب وزيادة مصادر المياه العذبة ومد شبكات الري.

وتشتمل الأصناف المنتجة على الخضار وإنتاج الأعلاف والسمك والفاكهة والتمر، وهناك سياسة جادة للوصول نحو الاكتفاء الذاتي بالنسبة للتموين الزراعي.

أما الثروة الحيوانية فقد انجزت من أجلها عدة برامج تنموية، من بينها توسيع مزرعة الأغنام في أبو سمرا، وإنشاء مختبر بيطري مركزي، وتقوم المؤسسة العامة القطرية للدواجن بزيادة طاقة انتاجها من البيض والطيور.

ويذكر أن قطر تغطي ٩٠٪ من حاجتها من الأسماك، وأدخلت إضافات عدة على مصنع تعليب الروبيان للاستفادة منه في تصنيع الأسماك الكبيرة.

قطاع الخدمات

في إطار الاهتمام بتطوير المجتمع القطري والنهوض به، تكفل الدولة لكل مواطن فرص العمل والخدمات الاجتماعية، وفي مقدم هذه الخدمات، السكن الصحي للمواطنين من ذوي الدخل المحدود.

وتعمد الدولة إلى وضع سياسة إسكانية تقضي بتشييد المباني وتقديمها للمواطنين لقاء تسهيلات عديدة.

ونفذت من جهة ثانية قانون العمل والعمال، ورخصت إعانة طلبة المدارس المحتاجين، وهناك برامج عديدة لتأهيل الأيتام ومن في حكمهم في دار الرعاية الاجتماعية، وتقدم مساعدات كبيرة في إطار الضمان الاجتماعي

والمساعدات الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة. بالإضافة إلى تقديم معاشات للعجزة والمسنين والأرامل والمطلقات والأيتام والمعوقين ممن لا معيل لهم.

ووصلت انجازات دولة قطر في مجال الخدمات الطبية والصحية والرعاية لكل مواطن، إلى أرقى المستويات والمعدلات العالمية لناحية التجهيزات والأدوية والأخصائيين. وصارت تجربة الوحدات الصحية المنتشرة في أنحاء البلاد من التجارب الرائدة في منطقة الخليج والدول العربية الأخرى، خصوصاً بعدما خففت الضغط على المستشفيات العامة وأوصلت الخدمات الطبية والصحية إلى المواطنين في مناطق إقامتهم.

حركة العمران والبناء

من يتجول اليوم داخل دولة قطر يلاحظ الحركة العمرانية الشاملة التي ارتكزت على التخطيط والإبداع. من عمارات مرتفعة، وأرصفة واسعة إلى تعبيد الطرق داخل الأحياء السكنية وتبليط الأسواق الداخلية، والفنادق المتنوعة وتوسيع الشوارع، وتمديد جميع عبارات الكابلات ومجاري الأمطار وتسهيل حركة المرور، وغير ذلك من الأعمال التي تهدف إلى إظهار مدينة الدوحة المظهر الذي يليق بها كعاصمة للدولة. بالإضافة إلى التحسينات الدائمة التي تدخلها الدولة على مطار الدوحة الدولي ليبقى في طليعة المطارات التي تتلقى وتقدم أفضل الخدمات.

هذا على صعيد النقل الجوي، أما على صعيد النقل البحري فقد جرى توسيع الموانىء وتزويدها بمحطة اتصال مركزية تستطيع ربط جميع السفن المبحرة في المحيطات وأعالي البحار، حتى يستطيع الإنسان العادي استعمال هاتفه الخاص للاتصال بتلك السفن.

السياسة الخارجية

بذلت جهود متواصلة لتحويل قطر دولة حديثة تحتل مكانة مرموقة في الأسرة العربية والإسلامية، وتتمتع بكلمة مسموعة ومؤثرة على صعيد المجتمع الدولي.

وقد استطاعت خلال فترة وجيزة من الاستقلال أن تتجه نحو تحقيق استقلالية اقتصادية، ونظام حديث متطور يرتكز على قاعدة متينة اقتصادية واجتماعية تتوافق مع تطلعات الشعب القطري.

وفي غمرة هذا الاهتمام الداخلي فإن الدولة لا تنفك تعمل على دعم الارتباط الإسلامي والخارجي الخليجي والعربي بكل الوسائل المادية والمعنوية، بما في ذلك المساهمة في صناديق التنمية التي تتولى مختلف المشروعات الإنمائية في البلدان الإسلامية والعربية.

وفي ضوء هذه المبادىء شاركت قطر في تأسيس مجلس التعاون الخليجي وعززت علاقاتها بالدول الخليجية في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية معتبرة أن «بناء القدرة الجماعية المشتركة» بدعم قضايا الأم العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء.

وساهمت في اجتماعات المجلس على كل المستويات مشددة على ضرورة رفع درجة التنسيق والتخطيط المشترك. واقترحت إيجاد دينار خليجي موحد تكون له منطقة خاصة يمثلها كما هي الحال مع العملة الأوروبية أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأميركي.

بالرغم من هذه الجهود المكثفة تبقى بعد مشاكل الحدود التي سبقت الإشارة إليها قائمة، خاصة بعد حرب الخليج التي أدت إلى تحرير الكويت والبدء بحصار العراق، حيث لقطر اليوم رأي آخر يقول بضرورة فك الحصار

وعدم معاقبة الشعب العراقي. يذكر أن قطر وقفت خلال الأزمة الأخيرة بين الولايات المتحدة وبريطانيا وبين الحكومة العراقية والرئيس صدام حسين في شباط ١٩٩٨ إلى جانب تزويد العراق بمساعدات طبية وغذائية وإنسانية وأرسلت بالفعل هذه المساعدات.

الصعيد العربي

انطلقت قطر في سياستها من الايمان بأهمية التضامن العربي واعتباره السبيل الوحيد لمواجهة الأخطار التي تحدق بالأمة العربية. وهي دعت باستمرار إلى نبذ الخلافات العربية باعتماد أسلوب التشاور والحوار الأخوي البناء وتغليب المصلحة القومية العليا على المصالح الأخرى. وتأكيداً لهذه الروح شاركت في مؤتمرات القمة العربية وشددت على وجوب تعزيز دور الجامعة وعلاقات الثقة بين كافة أعضائها.

ودعمت قطر منذ البداية حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، وعندما دعا المجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية إلى مؤتمر للسلام عقد في مدريد، دعمت قطر هذه الدعوة وأيدت فيما بعد الاتفاقات التي وقّعها كل من الأردن والفلسطينيين مع الدولة العبرية. وتبذل قطر جهوداً كبيرة في سبيل خدمة قضايا الأمة الإسلامية التي هي جزء منها، وهي لا تتأخر عن تقديم كل غالٍ ونفيس في سبيل النهوض بها وخدمة الدين الحنيف الذي يربط المسلمين جميعاً ويوحد مشاعرهم.

ومن أجل تحقيق ذلك اعتبرت أن حماية مقدسات العالم الإسلامي وتدارس قضاياه المصيرية واجباً قومياً يستدعي تضافر كل الجهود. وهي ترى أن استخدام طاقات العالم الإسلامي سيجعله يقوم بدوره الطليعي لنشر السلام وقيم العدل والمثل الأخلاقية العالية.

وتزداد صلات دولة قطر بالمجموعة الافريقية متانة، وتقف إلى جانب الشعوب الافريقية وحقها في حياة وطنية كريمة بعيدة عن الخضوع للآخرين، ومحاربة التخلف.

أما على المستوى الدولي فتحرص على أن يكون تحركها منسجماً مع

ميثاق الأمم المتحدة، وضرورة المحافظة التامة على الحقوق الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وهي كانت إحدى دول مجموعة عدم الانحياز ملتزمة التحرك الإيجابي النشط. وتؤمن بالسلام وتعمل من أجله، وتدعم مبادىء الأمم المتحدة بكل الوسائل حتى تحقق بفعالية رسالتها الإنسانية وأملها في أن يسود السلام العادل في كل أنحاء العالم.

وفي مجال حرصها على أمن واستقرار العالم، تطالب المجتمع الدولي بالتوصل إلى حلول جذرية للمشاكل السياسية والاقتصادية التي تواجهه وضرورة إقامة نظام اقتصادي دولي جديد، يتماشى مع التطورات السياسية في عالم اليوم، والهادفة إلى إرساء قواعد ونظم النظام العالمي الجديد، الذي كثر الحديث عنه فيكفل العدالة للجميع وبالأخص للدول الفقيرة أو النامية.

الإعلام ودوره

لقد واكب الإعلام القطري بفروعه كافة مسيرة البلاد التاريخية، طوال رحلة التحول الحضاري في حياة قطر منذ الاستقلال، وتابع هذه المسيرة وأبرز كل منجزاتها العظيمة ورسالتها الحضارية.

وانطلقت رسالة الإعلام هذه من أرضية صلبة، ارتكزت على القيم والمبادىء الإسلامية معبرة عن كل ما يتعلق بالتقاليد والتراث والحياة الحديثة التي بدأت تترسخ في ربوع البلاد.

أما على الساحة الدولية، فكان الحضور الإعلامي القطري كاملاً، ودوره بارزاً في شرح الخطوات الحضارية في المنطقة العربية وإنجازات وطموحات الإنسان العربي في الخليج ودوره البناء في كافة مجالات التنمية.

وقد تطورت كافة أجهزة الإعلام في السنوات الأخيرة، وأصبحت تؤدي رسالتها في خدمة المواطن والمجتمع.

وقد شاركت الدولة في معظم الاتحادات والاجتماعات، والمؤتمرات الإعلامية التي عقدت خلال السنوات الماضية، وأدت أدواراً نشيطة وبارزة للغاية.

وسعت إلى تحقيق التنسيق الإعلامي والثقافي مع معظم الدول العربية، فعقدت الاتفاقيات الإعلامية حتى يعرف المواطن العربي ما يحدث من تطورات وإنجازات على أرض قطر. إنّ أهم ما يميز الإذاعة القطرية أنها إلى جانب برامجها الجماهيرية تقدم خدمات إخبارية متكاملة، سريعة مدعمة بتقارير المراسلين في جميع أنحاء العالم.

أما فيما يتعلق بالتلفزيون فقد تم منذ الثمانينات استخدام النظام

السينمائي في إنتاج البرامج بطريقة النظام المزدوج للصوت والصورة وقد توسع استعمال التقنيات الحديثة كافة وإدخال الآلات الرقمية أو التي تعتمد على التكنولوجيا العالية جداً.

ولقد كفل قانون المطبوعات والنشر القطري حرية الصحافة في البلاد، ومن هذا المنطلق فإن الصحافة تتفاعل مع قضايا المجتمع والعمل على إبرازها بهدف إيجاد الحلول للمشاكل التي تعتري الحياة، وقد عملت الدولة على مساندة الصحافة القطرية بالدعم والتشجيع، ولعل أبرز ما تقدمه في هذا المجال أنها لا تمارس أية رقابة عليها.

والصحف تصدر ضمن قطاعين، صحافة يصدرها القطاع الخاص، وأخرى يصدرها القطاع العام، ويبلغ عدد الصحف والمجلات عدداً يتجاوز العشرين مطبوعة صحفية، منها اليومية والأسبوعية والشهرية والدورية، والتي تتناول الشؤون السياسية والاقتصادية والنسائية والصحية وغيرها من الشؤون الحياتية.

وكانت وكالة الأنباء القطرية تأسست سنة ١٩٧٥ وحققت خلال فترات وجيزة نجاحاً ملموساً على المستوى المحلي والخارجي من خلال الخبر الصادق والرأي الموضوعي المحايد، وأصبحت أخبارها محل ثقة على جميع المستويات. وتصدر الوكالة نشرة يومية باللغة العربية وأخرى بالإنكليزية، كما تقوم بإصدار المنشورات الوثائقية التي تسجل أهم أحداث دول مجلس التعاون الخليجي والعالم العربي، ومنطقة الشرق الأوسط.

وتعمل الوكالة حالياً على بث النشرة الإنكليزية على شبكتها وتقوم بتوزيعها على عدد كبير من المشتركين الدوليين. كما ترسل الصور بسواطة «الليزرفوتو» أو «التيلي فوتو» إلى عدد من الصحف المحلية في بلدان العالم بشكل مباشر.

ووزعت نشرتها باللغات الإسبانية والبرتغالية في دول أميركا اللاتينية، وتتميز خدماتها المستقبلية بالشمول والطموح نحو الأفضل والأحسن، وتدعيم الإرسال الداخلي والخارجي بأجهزة فنية جديدة ومتطورة.

الحركة السياحية والآثار

عملت إدارة الثقافة والفنون على تبني الحركة الثقافية بروافدها المختلفة لإثراء الحياة الفكرية والعمل على السمو بالإنسان على هذه الأرض، ليصبح مفعماً بالثقافة والفكر.

ولقد رعت الإدارة المواهب القطرية الشابة ودعمت الحركة المسرحية، وأصدرت بعض المطبوعات الخاصة بالأطفال ونظمت عدداً من المسابقات الأدبية، واهتمت بالفنون التشكيلية وتنظيم المعارض. ويتبع إدارة الثقافة والفنون العديد من الأندية والفرق المسرحية والشعبية وعدد من مراكز الصناعات والحرف الشعبية، كما تشرف الإدارة على مسرح قطر الوطني الذي يتسع لعدد كثير من المشاهدين، وعلى المرسم الحر الذي يرعى الموهوبين والموهوبات في الفنون التشكيلية. وقامت الإدارة بتجهيز مركز الدوحة الثقافي ليكون منتدى للأدباء والشعراء، وافتتحت مركزاً ثقافياً في الخور، واستضافت أعداداً من الأسابيع الثقافية العربية.

وفي المجال السياحي والتنقيب عن الآثار، تقوم إدارة السياحة والآثار بالاهتمام بكل ما يتعلق بالنشاطات السياحية ورفع مستواها والاهتمام بالتنقيب عن الآثار. ففي مجال السياحة تقوم بتنظيم سباق سنوي للقوارب التقليدية، وقد تنظمت مكاتب السفر السياحية والدراسات الإحصائية الدورية للفنادق ووكالات السفر والسياحة العاملة في البلاد وإصدار نشرات دورية بهذا الخصوص.

وغني عن التعريف ما تم من ترميم طاولت عدداً من المباني الأثرية مثل: أبراج الخور، ومسجد الذخيرة، ومسجد الخور، وبيت المطلق في الوكرة، والتنقيب في مواقع الزيارة بشمال البلاد.

وإلى هذا تشارك الإدارة في مختلف المؤتمرات الأثرية.

أما في مجال المتاحف فقد تم تطوير بعض أقسام متحف قطر الوطني ومتحف التراث الشعبي وإصدار الكتب المتعلقة بموجودات المتحف الوطني.

الإنقلاب

في ٢٧ حزيران ١٩٩٥ نفذ ولي العهد القطري وزير الدفاع الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، انقلاباً أبيض فأطاح والده الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أثناء وجوده في أحد فنادق سويسرا.

هذا الانقلاب جاء سريعاً وهادئاً ولقي اعترافاً من كبرى العواصم الغربية، مثل واشنطن. لكن الشيخ خليفة رفض الانقلاب وتعهد العمل للعودة لاسترجاع مركزه. ومع أن عملية الإطاحة بدت شكلية إلى حد كبير نظراً لكون الشيخ حمد هو الحاكم الفعلي منذ ثلاث سنوات، فإن الأمير الجديد منذ لحظة إعلان النبأ أغلق الحدود البرية الوحيدة مع السعودية ووضع الجيش المنتشر هناك في حال تأهب إجراءً احترازياً.

وحرص أن يتوجه إلى المواطنين القطريين ويطمئنهم إلى أن شيئاً لن يتغير وأن الأوضاع ستبقى هادئة وكذلك طمأن العرب والعالم إلى أن بلاده ستحترم جميع التزاماتها.

وقد حصل الأمير الجديد على مبايعة العائلة المالكة وتأييد مجلس الشورى، أما الأمير الوالد فقد أصدر بياناً من مقره السويسري اعتبر فيه تصرف الابن بأنه «شاذ وجاهل» وتعهد العودة إلى بلاده مهما كان الأمر مؤكداً على أن دول الخليج تدعمه.

وعلى رغم الحذر الذي أبدته السعودية حيال توجهات الشيخ حمد الذي وصفه الدبلوماسيون بأنه «المهندس الفعلي للسياسة الاستقلالية» لبلاده إزاء مجلس التعاون الخليجي وسياسة الانفتاح على إيران والعراق والولايات المتحدة وإسرائيل، فإنه عمد في أول خطوة ديبلوماسية يتخذها إلى إرسال وزيرين مقربين منه هما وزير الداخلية الشيخ عبدالله بن خليفة آل ثاني ووزير

الخارجية الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني إلى جدة وحملهما رسالة إلى العاهل السعودي فهد بن عبد العزيز.

وعُلم فيما بعد أن خادم الحرمين الشريفين أجرى اتصالات شملت دولة الإمارات العربية المتحدة لتبادل الرأي مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وكذلك تلقى الشيخ زايد اتصالاً من ولي العهد البحراني الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة تناول مستجدات الوضع في المنطقة.

يذكر أن الأردن كان الدولة العربية الأولى التي اعترفت بالنظام الجديد في قطر، حيث بعث الملك حسين ببرقية تهنئة إلى الشيخ حمد بعد ساعات من إطاحته والده تمنى له فيها الخير والتوفيق.

ثم اعترفت سلطنة عُمان بالشيخ حمد أميراً لقطر، وأصدرت وزارة الخارجية بياناً جاء فيه أن حكومة سلطنة عُمان تابعت باهتمام بالغ وعلمت بصفة رسمية ما أعلنته حكومة قطر، وانطلاقاً من المبادىء الثابتة لحكومة السلطان قابوس بن سعيد بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى فإنها تعتبر ما حدث من تغيير في دولة قطر شأناً داخلياً يخص دولة قطر وشعبها في المقام الأول.

أما ولي عهد أبو ظبي الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان فقد هنأ أمير قطر الجديد متمنياً له التوفيق في مهماته، وأكد الرغبة في تطوير العلاقات.

وصرح الناطق باسم جامعة الدول العربية أن ما حدث في قطر هو شأن داخلي، ووفق ميثاق الجامعة لا يمكن التدخل في مثل هذه القضايا.

وكانت فرنسا الدولة الغربية الأولى تعترف بالنظام الجديد. فقد صرح ناطق باسم وزارة الخارجية أن المسألة داخلية في قطر ويجب أن تبقى كذلك. وأكد أن العلاقات الممتازة بين فرنسا وقطر ستبقى على حالها لا بل ستعزز.

واعتبرت بريطانيا أن ما جرى في قطر مسألة داخلية لا يمكن للآخرين التدخل فيها. وتمنت الخير للحكومة الجديدة متطلعة إلى العمل معها في دعم الأمن والاستقرار في منطقة الخليج ذات الأهمية الكبيرة لبريطانيا.

وأعلنت الولايات المتحدة اعترافها بالحكم الجديد في قطر، وأوضح الناطق باسم الخارجية الأميركية أن بلاده تعترف بالحكومة الجديدة وأضاف أن كبرى عائلات قطر وقبائلها تعهدت علناً قبولها هذا التغيير وأنه تم سلمياً. وأكد أن حكومته تلقت تأكيدات أن هذه الحكومة ستضمن الأمن والسلام الداخليين، وستعمل على تعزيز الأمن الإقليمي وتعتزم المساهمة في تحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط.

ملاحق

ملحق رقم ١

قطر وإسرائيل تبحثان مشروعاً للغاز الطبيعي

أكد وزير الخارجية القطري الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني، أن حكومته تناقش مشروعاً للغاز الطبيعي مع إسرائيل. وأشار إلى احتمال القيام بتحرك قريباً لإنهاء المقاطعة العربية ضد إسرائيل.

وقال الشيخ حمد «صفقة الغاز ليست صفقة سهلة».

وكان صحفيون قد سألوا الشيخ حمد بشأن الصفقة خلال التقاط الصور له مع وزير الخارجية الأميركي وارن كريستوفر في وزارة الخارجية. ووقع الوزيران اتفاقاً للتعاون الأميركي القطري في مجال التعليم والثقافة.

وقال الشيخ حمد عن المشروع «يتعين علينا إجراء دراسة جدوى قبل ذلك. ويتعين أن تحرز عملية السلام (في الشرق الأوسط) بعض التقدم بين سوريا وإسرائيل على وجه خاص».

«لكننا نناقش هذا الموضوع بصورة أولية وان كان علينا إجراء دراسات كثيرة قبل اتخاذ القرار الأخير في هذا الشأن».

ولم يذكر الوزير القطري تفصيلات عن المشروع.

وفيما يتعلق بتحرك قطري محتمل لإنهاء المقاطعة العربية لإسرائيل قال الشيخ حمد «لقد ناقشنا هذه المسألة ونحن مستعدون لاتخاذ إجراء ما، وسأبحث ذلك مع وزير الخارجية كريستوفر».

وقالت وسائل إعلام إسرائيلية أن مشروع الغاز تقدر قيمته بمليار دولار ويشمل شحن الغاز الطبيعي من قطر لإسرائيل وعبر إسرائيل إلى أوروبا.

وذكرت تقارير أن الشيخ حمد ووزير الخارجية الإسرائيلي شمعون بيريز التقيا في لندن في مطلع الإسبوع.

وقال مسؤول قطري رفيع في تصريحات نشرتها صحيفة «غلف تايمز»، أمس الأول أن بلاده ستمضي قدماً في مشروعات غاز وبتروكيماويات تتكلف مليارات الدولارات رغم انخفاض أسعار النفط.

وقال جابر عبد الهادي المري رئيس الشركة القطرية للغاز المسال (قطر غاز) ونائب رئيس المؤسسة القطرية العامة للبترول «نريد الفصل بين تنفيذ مشروعاتنا الرئيسية المتصلة بالمواد وبين الشكوك المحيطة بأسعار النفط».

وفي القدس المحتلة، قالت متحدثة باسم وزارة الطاقة الإسرائيلية أمس الخميس أن عدة دول خليجية عرضت أمداد إسرائيل بالغاز الطبيعي.

وقالت المتحدثة باسم وزارة الطاقة الإسرائيلية يائيل نعيمان لـ «رويتر» أمس «لدينا عروض من دول أخرى في الخليج لتوفير الغاز الطبيعي»، ولم تذكر تفاصيل أخرى.

وتقول وسائل إعلام إسرائيلية أن قيمة صفقة الغاز القطرية تقدر بنحو مليار دولار وستشمل نقل شحنتان من الغاز من قطر إلى إسرائيل وعبر إسرائيل إلى أوروبا.

الأنوار ٢٨ ـ١ ـ ١٩٩٤

ملحق رقم ٢

مطالب جديدة حول النزاع الحدودي مع السعودية

علمت «الأنوار» أن الزيارات التي قام بها الوزير السعودي السيد عبد العزيز الخويطر إلى الدوحة ومقابلته مع أمير قطر وكبار المسؤولين في الدولة، هدفت السعي إلى تسوية الخلافات بشأن الحدود، وهي خلافات توسط فيها الرئيس المصري حسني مبارك إثر حادثة الحدود الشهيرة التي وقعت في منطقة الخفوس أواخر العام ١٩٩٢.

وكانت وساطة الرئيس مبارك قد أسفرت عن عقد اجتماعات بين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وبين أمير قطر الشيخ خليفة بن حمد في المدينة المنورة، بغرض إزالة الخلاف ورواسبه والاتفاق على خطوط عريضة ومفصلة لحل النزاع، والقيام بخطوات عملية تبدأ في استدعاء شركات عالمية متخصصة في شؤون مسح وترسيم الحدود تضع في نهاية أعمالها دراسة حول الأمر.

ويبدو أن قطر، وفقاً لمعلومات خليجية، عادت في الآونة الأخيرة عن موقفها وعادت إلى المطالبة بأكثر مما اتفق عليه سابقاً، الأمر الذي دعا المملكة العربية السعودية إلى إبلاغ مصر نقض قطر للاتفاق ومطالبتها بترتيبات جديدة.

وينتظر في ضوء هذه المعلومات أن تشهد الأسابيع القليلة القادمة تطورات بالنسبة لموضوع النزاع الحدودي بين السعودية وقطر وكذلك في ما يتعلق بمواقف الكويت من السياسة القطرية الجديدة.

الأنوار ٨ ـ ٢ ـ ١٩٩٤

ملحق رقم ٣

يتوقع العارفون بخفايا الوضع القطري والمتابعون لتطوراته منذ انقلاب الابن على الأب في ٢٧ حزيران الماضي أن تكون التشكيلة الحكومية الجديدة التي أعلنها الأمير الجديد، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني وبرئاسته، أول من أمس، عاملاً إضافياً في تعميق الهوة وتكبير الخلاف بين الأمير الجديد ووالده الأمير السابق الموجود حالياً في قصره، في مدينة «كان»، جنوب فرنسا. وهذه التشكيلة تضم ما يُسمّيهم الأمير السابق كل «وجوه الشلة» التي انقلبت عليه وعملت ضده. واللافت فيها هو غلبة اللون الواحد فيها. بحيث أن كل الحقائب الأساسية والثانوية أسندت إلى أشخاص من آل ثاني، على خلفية احتواء العائلة وتوسيع قاعدة الأمير الجديد في أوساطها. أما الوزراء الجدد، من خارج «الحلقة العائلية» للشيخ حمد، مثل وزير العدل، نجيب محمد النعيمي (كان مستشاراً قانونياً في مكتبه، ويتولى ملف الخلاف الحدودي مع البحرين أمام محكمة العدل الدولية في (لاهاي) ووزير الصحة علي سعيد الخيارين (كان قائداً للوحدة القطرية في الخفجي - السعودية - أثناء حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١) ووزير دولة للشؤون الخارجية، أحمد عبدالله المحمود (كان وكيل وزارة الخارجية) فهم محسوبون على الحاكم الجديد ومدينون له بمناصبهم، ويستمدون قوتهم من الولاء له، وقد لازموه يوم كان ولياً للعهد. وهذا يعني أن الحكومة الجديدة، وخلافاً لوعود الشيخ حمد المأخوذ بالتجربة الأردنية والتي يريد تطبيقها في قطر، لا توسِّع قاعدة المشاركة الشعبية في الحكم، بقدر ما تضيقها إلى درجة أن التشكيلة الجديدة باتت تدور حول شخص الأمير الجديد على أساس الولاء الشديد له. وهو يحصر كل شيء في يده حتى أن شقيقه الشيخ عبدالله والذي سعى إلى منصب رئيس الوزراء على أساس أن يكافئه الأمير على تأييده له

ضد والده، احتفظ بحقيبة الداخلية، وأسندت إليه مهمة مستحدثة وفخرية هي «نائب رئيس مجلس الوزراء» على سبيل «جائزة الترضية».

وترى المصادر الوثيقة الاطلاع أيضاً أن أمير قطر الجديد، وفي إطار بسط نفوذه على مؤسسات الدولة وأجهزتها وضمان استمرارية هذا النفوذ، بادر إلى تعيين نجله الأكبر ثاني، وينتقل من الأب إلى أحد أبنائه، وإن لم يوجد، فإلى من يختاره الأمير من أسرة آل ثاني». وكان النص السابق للمادة، نفسها يحلظ فقط «أن الحكم وراثي في أسرة آل ثاني».

ويقول العارفون أن من شأن التشكيلة الوزارية الجديدة أن تعمّق الشروخ بين الحاكم السابق والحاكم الجديد. وينقل شهود عيان في مدينة «كان» الفرنسية لـ «الأنوار»، حيث استقر الشيخ خليفة منذ الانقلاب عليه أنه يؤكد لزواره وبتصميم كبير، أنه ما يزال الحاكم الشرعي. ولن يعود إلى قطر إلا حاكماً شرعياً. وسوف يعود. . . وهو يقوم بزيارة يومية تقريباً إلى شقيقه الشيخ محمد بن حمد ووزير التربية السابق الذي ينزل في فندق «الكارلتون» في «كان». ويتحرك الشيخ خليفة بموكب رسمي يحوط به حراس فرنسيون وقلة لا تتجاوز أصابع اليد من حراس قطريين، من قصره في «كان» الذي يحمل اسم «الريان» تيمناً بقصر الحكم في الدوحة. ويفكر جدياً، الآن، بتغيير هذا الاسم ويقيم نجله، الشيخ عبد العزيز، وزير المال والبترول السابق، في قصره الآخر، في مدينة «كان». ويلتقي الشيخ خليفة شقيقه الشيخ محمد، ويتنزها معاً على كورنيش «كان»، أو يجلسان في مسبح الفندق، برفقة وزير الاعلام السابق، عيسى الكواري. وغالباً ما يشاهد الشيخ خليفة بلباس «السافاري» المريح، وهو مع نجله الثاني، الشيخ عبد العزيز، المعتكف في فرنسا منذ ١٩٩٢، في حالة اعتراض على سيطرة أخيه الأكبر، الشيخ حمد الأمير الحالي، على مقاليد الحكم. وكان والده قد طرح مبدأ عودته إلى الدوحة وتنصيبه رئيساً للوزراء، لكي يوازن من خلال نفوذ ولي عهده، الشيخ حمد. وتبين أن أصرار الشيخ خليفة على ذلك، شكّل واحداً من الأسباب العديدة والمختلفة التي دفعت بوليّ عهده إلى القيام بالانقلاب الأبيض، في خطوة خارجة على العُرف الخليجي في احترام الأجيال والابتعاد عن سياسة الانقلاب ضمن الأسرة الواحدة.

وعد بالتنازل

وخطوة إصلاحية

واللافت أن رئيس الدبلوماسية القطرية حرص خلال زيارته الأخيرة إلى عدد من العواصم العربية على تبرير الانقلاب الذي قام به الأمير الجديد على والده، وعلل الخطوة بصعوبة استمرار الوضع في الدوحة على ما كان عليه. وقال «لقد اضطررنا إلى تولي الحكم. ونأسف لحدوث هذا العمل. لكننا منذ سنوات، كنا نحاول الحصول على تنازلات من الحاكم السابق لكي ننفق على مشاريع مجدية للبلد. ونصوغ خطوات إصلاحية. وكان الشيخ خليفة يعارض ذلك في استمرار. ويمنع إنفاق المال حتى عن ولي العهد. فقد أوقف عنه مصاريف بناء قصره الجديد في الدوحة. وبعد قمة البحرين لدول مجلس التعاون في ٢٠ كانون الأول الماضي حصل ولي العهد على وعد من والده بالتنازل عن الحكم والمحافظة على كرامته. غير أنه لم يتنازل. ثم حصلنا على وعد منه بالتنازل بعد زيارته الرسمية الأخيرة إلى كل من مصر وتونس وألمانيا. غير أنه الأمير الجديد شكك في أن يلتزم والده الوعد الجديد. ولذلك قام بالتغيير بعد أن حصل على موافقة ومبايعة وتأييد العائلة والشعب القطري. وعلى الرغم من تسلم الشيخ حمد مقاليد الحكم خلفاً لوالده، فإن الشيخ خليفة يبقى والداً للجميع. ونكن له المحبة والتقدير والإجلال».

حق التوقيع

هذا الكلام ينفيه الشيخ خليفة جملة وتفصيلاً ويؤكد أمام زواره أنه لم يقدم أي وعد على الإطلاق بالتنازل. وتضيف مصادره أن ابنه الشيخ حمد، ومنذ ٣ أعوام، أحكم قبضته على الجيش والأمن والمخابرات. وأمسك بزمام مراكز القوة في البلد. لكن والده الشيخ خليفة، بقي مرتاحاً على أساس أن في جيبه مفتاح بيت المال. وهنا تكشف المصادر الوثيقة لـ «الأنوار» أن واحداً من الأسباب العديدة التي أدت إلى انقلاب الابن على الأب هو وأن كل الأموال الخاصة للدولة القطرية في الخارج مودعة ومسجلة باسم الشيخ

خليفة. وهو وحده يملك حق التوقيع على أي عملية سحب منها أو تصرف بها، وهذه هي ورقة قوة لا يستهان بها في يد الأب، فيما الابن يكمل سيطرته على الجيش والأمن والمخابرات. وقد ثبت على هامش تشكيلته الحكومية الجديدة، أول من أمس، الشيخ حسن عبدالله آل ثاني في منصبه كرئيس لجهاز الاستخبارات.

«النموذج الأردني»

وعلى الرغم من التطورات في الدوحة والتي تصب في اطار سيطرة الحاكم الجديد على الوضع، فإن الشيخ خليفة الذي التحق به بعض انجاله، مثل عبد العزيز وجاسم، يعيش في أجواء مختلفة تماماً ويكرر أمام كل الذين يلتقي بهم من أفراد العائلة الحاكمة، كما من المصطافين العرب، ما ورد في البيان الذي أعلنه يوم الانقلاب، ومفاده أن ما حصل هو «سرقة واعتداء وعمل غير شرعي، وإنه ما يزال الحاكم الشرعي والوحيد لدولة قطر». ويستعمل أحاديثه الخاصة النعوت والأوصاف التي وردت في بيانه الرسمي الأول مؤكداً أنه عائد لا محالة إلى الدوحة، أميراً وحيداً على البلاد. أما كيف؟ فلا أحد يدري في الواقع.

والمثير أن الشيخ خليفة يظهر معنويات مرتفعة جداً أمام زواره وأفراد العائلة الذين التحقوا به في «كان» ويهدد أمامهم بأنه لم يتخل ولن يتخلى عن حقه الشرعي في الحكم وانه عائد قريباً، وعائد حتماً...

وعلمت «الأنوار» أن الأمير الجديد، الشيخ حمد قرر إجراء انتخابات نيابية في قطر تمشياً مع ما أعلنه بنفسه منذ سنوات واقتفاء للنموذج الذي يمثله النظام الأردني الذي يعتبره الحاكم القطري الجديد «مثالاً يحتذى به». وبالنسبة إليه تحكم العائلة الهاشمية بقوة غير أنها تترك هامشاً للشعب الأردني لتشكيل أحزاب وإقامة تجمعات وإنشاء نقابات تمارس كافة الأنشطة السياسية. وتصدر صحفاً لا علاقة للحكومة بها، خلافاً لما هو معمول به في دول الخليج، كما يقول الشيخ حمد في مجالسه الخاصة. وقد تبنى هذه العلاقة الخاصة والمميزة مع الأردن.

ووجه وزير خارجيته دعوة شخصية إلى الملك حسين لزيارة الدوحة. كما أنه تبنى أيضاً العلاقة المميزة بين العاهل الأردني والرئيس اليمني، علي عبدالله صالح الذي جعل مع الدوحة محطته الأولى في جولة تقوده إلى كل من سورية والأردن ومصر. وهي الأولى له بعد تسوية الملف الحدودي مع المملكة العربية السعودية.

موجة من التداعيات

والثابت أن النموذج الأردني الذي يتطلع حاكم قطر الجديد إلى تطبيقه يتناغم ويتماشى مع خيارات وتوجهات السياسة الأميركية في الخليج، والتي تجد ترجمة لها الآن في الكويت، حيث المعارضة، حتى الأصولية منها، جزء من المعارضة السياسية والإعلامية والبرلمانية. وفي ضوء هذه التوجهات الأميركية، يسمح حتى للحركات الأصولية بأن يكون لها ممثلوها تحت قبة البرلمان. ومن المتوقع أن تحدث هذه الخيارات موجة من التداعيات قد تؤثر في كل أنظمة دول المنطقة. ويلاحظ مراقبون أنه ليست مصادفة أن يكون الأردن أول دولة عربية سارعت إلى الترحيب بالتغيير القطري، لما هناك من تنسيق بين الحكم الأردني وحاكم قطر منذ كان ولياً للعهد.

الأنوار ـ شباط ١٩٩٤

محلق رقم ٤

«إعلان الدوحة»

هنا النص الكامل للبيان الختامي لمؤتمر التعاون الاقتصادي الرابع للتنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا الذي انعقد في الدوحة من ١٦ تشرين الثاني إلى ١٨ منه والذي أطلق عليه «إعلان الدوحة».

«عقد المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الدوحة ـ قطر من ١٦ تشرين الثاني ١٩٩٧ إلى ١٨ منه برئاسة صاحب السمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني أمير دولة قطر. وقد جمع المؤتمر ـ الذي عقد تحت رعاية كل من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الروسي بدعم من كندا والاتحاد الأوروبي واليابان ـ كبار المسؤولين الحكوميين وقيادات القطاع الخاص من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومن مناطق أخرى من العالم.

وأعرب المشاركون عن شكرهم لصاحب السمو الشيخ حمد ولحكومة دولة قطر لاستضافتها هذا التجمع ولحسن التنظيم وكرم الضيافة. وإدراكاً منهم لحكومة دولة قطر في سعيها لاحلال سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط، وكذلك لوفائها بالتزامها الدولي باستضافة المؤتمر.

وأعرب المشاركون في مؤتمر الدوحة الاقتصادي عن التزامهم القوي تحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط على أساس صيغة مؤتمر السلام في مدريد والمتمثلة في مبدأ الأرض مقابل السلام وعلى أساس قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨.

وعلى رغم العقبات الراهنة التي تعترض المسيرة السلمية، دعا المشاركون إلى توسيع وتعميق التقدم حيال كل المسائل العالقة على مسارات

التفاوض بين العرب وإسرائيل في إطار العملية السلمية. وأكدوا مجدداً تصميمهم على دعم الاتفاقات التي تم التوصل إليها بين الأطراف كافة وخصوصاً تلك الاتفاقات التي تمت بين الإسرائيليين والفلسطينيين، كما أكدوا الأهمية القصوى للتنفيذ الدقيق والسريع للاتفاقات والالتزامات من الأطراف كافة.

كان شعار مؤتمر الدوحة الاقتصادي «خلق مشاركة جديدة للقطاع الخاص والعام لنمو التجارة والاقتصاد ما بعد سنة ٢٠٠٠». وقد تجسد ذلك بحضور ٨٥٠ مشاركاً من رجال الأعمال الأجانب بجانب ممثلين رسميين لأكثر من ٦٥ دولة إلى عدد من المنظمات الدولية. وقد لاحظ المشاركون أن إمكانات المنطقة في مجالات التجارة والاقتصاد والمبادلات قد تعززت في شكل كبير بفضل برامج الإصلاح الاقتصادي التي هي قيد التنفيذ في الكثير من دول المنطقة. وقد ساهمت التخصيصية والإصلاح الهيكلي وإزالة الحواجز التجارية في خلق مناخ اقتصادي أكثر ملاءمة للتجارة عبر المنطقة كما أنه سوف يعزز القدرة على استقطاب الاستثمارات الخارجية والتجارة. وقد أكدوا مجدداً دعمهم لتعميق البنية التحتية للسلام.

شدد المشاركون على الأهمية البالغة لتنمية الاقتصاد الفلسطيني. وقد لوحظ بقلق بالغ أن الاقتصاد الفلسطيني لا يزال يعاني القيود والإغلاقات المفروضة عليه والتي تعوق الحركة اليومية للعمالة والتجارة الفلسطينيتين. لقد تردى الوضع في شكل مثير خلال العام الماضي. وقد أكد المشاركون أن رفع هذه الإجراءات المقيدة والإغلاقات سيساهم في شكل إيجابي في أداء الاقتصاد الفلسطيني وهو أساسي لإعادة الثقة بين الأطراف المعنيين في التزامهم العملية السلمية وخلق الظروف الضرورية كي ينعم الأطراف كافة في المنطقة بالسلام والازدهار والأمن من أجل تعزيز الأداء الاقتصادي للمنطقة برمتها.

تمكن قادة التجارة الدولية من استشراف وتطوير فرص تجارية جديدة وتمت مناقشات بناءة ومثمرة حول مواضيع وثيقة الصلة بكل من دول المنطقة ومجموعة الأعمال الدولية. وقد وفر المؤتمر كذلك فرصة فريدة لرجال

الأعمال المشاركين لتوسيع شبكة اتصالاتهم وعلاقاتهم مع القطاعين الخاص والعام في المنطقة.

عرض المشاركون المؤسسات التي دعت إليها المؤتمرات السابقة المنعقدة في الدار البيضاء وعمان والقاهرة. وتم الترحيب بالتقدم الذي أحرز في شأن إقامة اتحاد السياحة والسفر لمنطقتي الشرق الأوسط والمتوسط في تونس. كما تم تأكيد أهمية بنك التعاون والتنمية الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال افريقيا الذي سيقام في القاهرة، وكذلك إمكان مساهمته في تشجيع تدفق رؤوس الأموال على المنطقة وإقامة مشاريع البنية التحتية وتطوير القطاع الخاص. وقد تم حض الدول التي لم تنته بعد من إجراءات المصادقة والتمويل على اتمام تلك الإجراءات على وجه السرعة لتمكين البنك من الشروع في العمل عام ١٩٩٨. كما تم الترحيب بالجهود التي بذلها الفريق الدولي الانتقالي في هذا المشروع. وقد عبر المشاركون عن رغبتهم في أن تستأنف الجهود لإنشاء مجلس اقليمي للأعمال.

وستواصل الأمانة التنفيذية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في الرباط العمل في الفترات الفاصلة بين المؤتمرات على استشراف وتطوير البرامج والنشاطات التي من شأنها أن تعزز الشركة بين القطاعين العام والخاص في المنطقة.

عرض المشاركون أنشطة سكرتاريا لجنة متابعة مجموعة عمل التنمية الاقتصادية الأقليمية التي أنشئت في عمان طبقاً لإعلان عمان والتي بدأت نشاطها الرسمي عام ١٩٩٦. كما تم عرض أنشطة مجموعة العمل المذكورة ولجنة المتابعة المنبثقة منها في مجالات البنية الأساسية والسياحة والتجارة والتمويل الواردة في خطة عمل كوبنهاغن.

أعرب المشاركون عن تقديرهم للدور الفريد الذي يضطلع به المنتدى الاقتصادي العالمي، حيث كانت جهوده التي لم تعرف الكلل عاملاً حاسماً في نجاح المؤتمر. كما عبروا عن امتنانهم لمجلس العلاقات الخارجية في نيويورك لمساهمته القيمة في عدد من جلسات المؤتمر.

وأكد المشاركون التزامهم عقد المؤتمر الاقتصادي الخامس للشرق الأوسط وشمال أفريقيا خلال سنة ١٩٩٨ واتفقوا على أن يجري أعضاء اللجنة التوجيهية مشاورات موسعة مع القطاع الخاص وفقاً لما تم الاتفاق عليه في إعلان الدار البيضاء، على أن تلتئم اللجنة قبل نهاية هذه السنة لاختيار مكان المؤتمر المقبل. وسيتم إعلان الدول المضيفة في الاجتماع السنوي للمنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس في نهاية كانون الثاني ١٩٩٨».

المحتويات

القسم الأول: اليمن

مقدمة عامة ٧

الصور ٩

لمحة جغرافية ٢٥

اليمن في الألفين الأولين قبل الإسلام ٢٨

اليمن الاقتصادية ٣٩

اليمن في العهد الإسلامي ٤٠

الغزو العثماني الفاشل ٥١

اليمن في السنوات الأولى للاستقلال ٥٣

اليمن والأزمة الاقتصادية العالمية ٥٨

تعزّز مواقع اليمن على الصعيد الدولي ٦٦

آخر سنوات النظام الملكي ٦٨

إنتفاضة الجيش والتحضير للثورة ٧٠

اليمن الشمالية ٧٣

اليمن الجنوبية ٨٧

الوحدة اليمنية ٩٨

ملاحق ١٠١

القسم الثاني: عمان

لمحة جغرافية ١٢٥
عمان في التاريخ القديم ١٢٦
جزيرة العرب ١٣٦
عصر الدولة الإسلامية ١٤٢
من السيطرة البرتغالية إلى الاستقلال ١٤٥
منجزات السلطان قابوس ١٥١
البترول ١٥٩
مجلس التعاون الخليجي ١٦١
تنمية المجتمعات المحلية ١٦٢

القسم الثالث: قطر

لمحة جغرافية ١٨١
قطر ما قبل التاريخ ١٨٣
المراحل التاريخية القديمة ١٨٤
قطر في ظل الإسلام ١٨٧
السيطرة العثمانية ٢٠١
الخلافات الحدودية ٢٠٩
الدولة المستقلة ومشاريع التنمية ٢١٢
السياسة الخارجية ٢١٦
الإعلام ودوره ٢١٩
الحركة السياحية والآثار ٢٢١
الإنقلاب ٢٢٢
ملاحق ٢٢٥